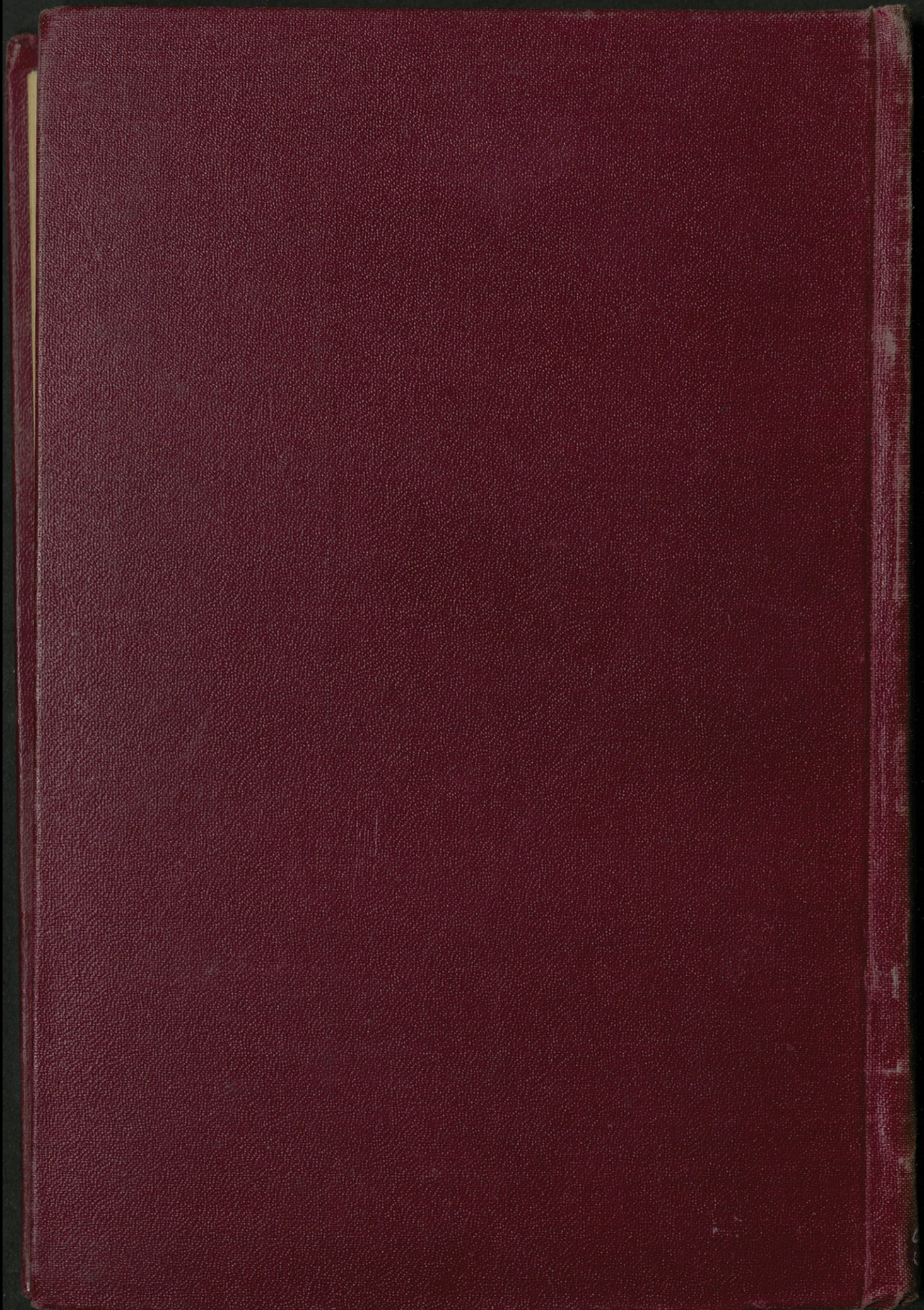




تجليد
صالح الدقر
بيروت - المزرعة

CA

281.5:T92taA:V.1

• توما ، سويريوس يعقوب •

• تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية •

MAR 26 F2J7

26. 2. 731-2449

CA:281.5

T92ta A:v.1:c.1

~~AP 15 55~~

~~12 MAR 1973~~

~~JAFET LIB.~~

~~28 MAR 1973~~

~~- 1 OCT 1980~~

~~12 APR 1973~~

A

CA
281.5
T926aA
V.1
C.1

محمدا وجبلا صوفسدا والكلم

وصبدا

لصمصمص مصمص

مصمصمصمص مصمصمصمص مصمصمصمص مصمصمصمص

مصمص مصمص

تاريخ

الكنيسة السريانية الانطاكية

تأليف

سويريوس يعقوب ثوما

متروبوليت بيروت ودمشق وتوابمها للسريان

الجزء الأول

**HISTORY
OF THE SYRIAN CHURCH OF ANTIOCH**

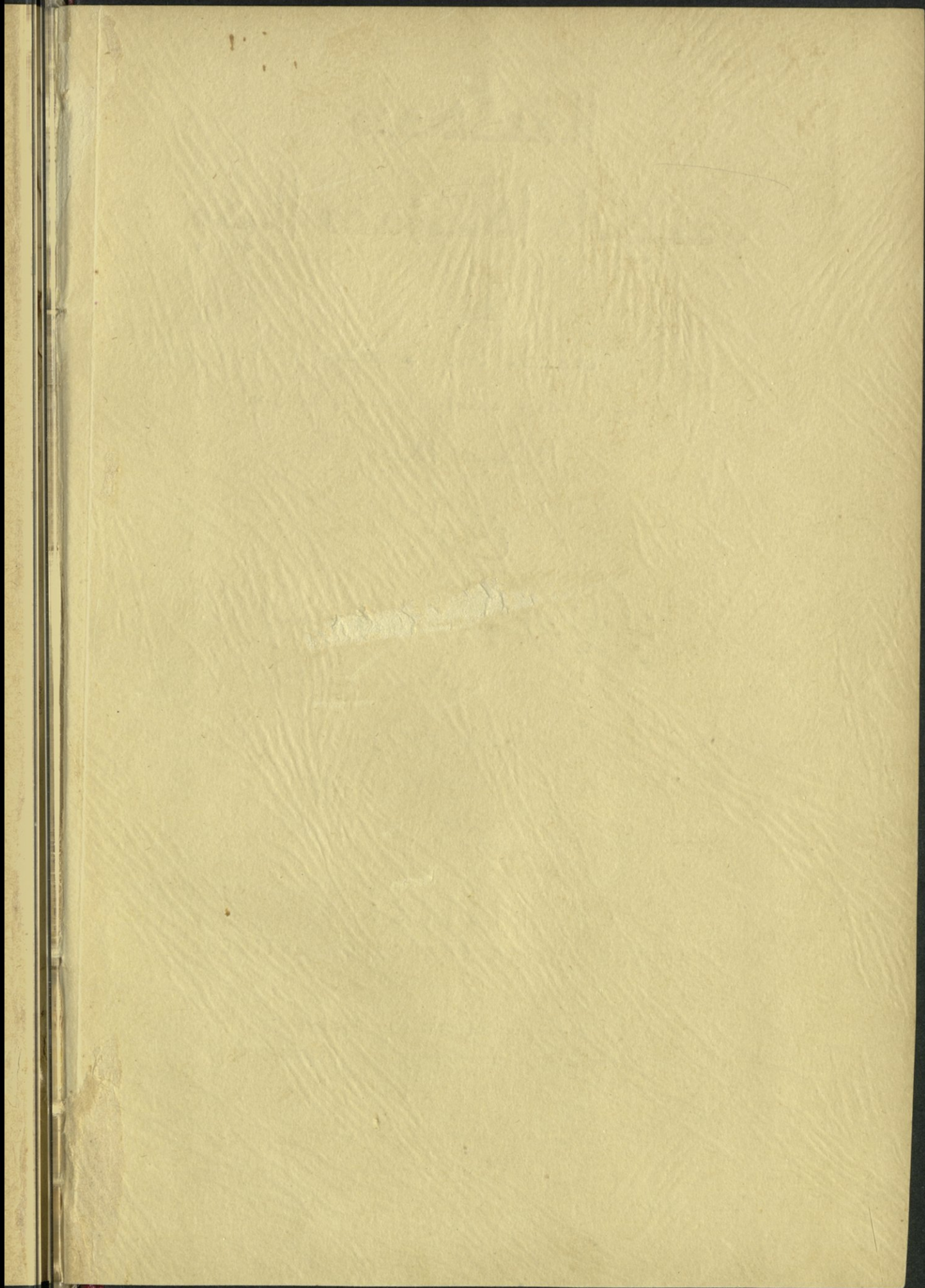
BY

Severius JACOB the Syrian
Metropolitan of Beirut and Damascus

PART I

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف

١٩٥٣



ܡܚܕܬܐ
ܕܡܚܕܬܐ ܕܡܚܕܬܐ ܕܡܚܕܬܐ

ܡܚܕܬܐ

ܡܚܕܬܐ ܕܡܚܕܬܐ

ܡܚܕܬܐ ܕܡܚܕܬܐ ܕܡܚܕܬܐ ܕܡܚܕܬܐ ܕܡܚܕܬܐ

ܡܚܕܬܐ ܕܡܚܕܬܐ

ܬܪܝܚ

ܬܪܝܚ ܬܪܝܚ ܬܪܝܚ ܬܪܝܚ ܬܪܝܚ

ܬܪܝܚ

ܬܪܝܚ ܬܪܝܚ ܬܪܝܚ ܬܪܝܚ ܬܪܝܚ

ܬܪܝܚ ܬܪܝܚ ܬܪܝܚ ܬܪܝܚ ܬܪܝܚ ܬܪܝܚ

ܬܪܝܚ ܬܪܝܚ ܬܪܝܚ ܬܪܝܚ ܬܪܝܚ

HISTORY
OF THE SYRIAN CHURCH OF ANTIOCH

BY

Severius JACOB the Syrian
Metropolitan of Beirut and Damascus

PART I

ܬܪܝܚ ܬܪܝܚ ܬܪܝܚ ܬܪܝܚ ܬܪܝܚ ܬܪܝܚ

ܬܪܝܚ ܬܪܝܚ ܬܪܝܚ ܬܪܝܚ ܬܪܝܚ ܬܪܝܚ

لحمه ولبا لها وحبها اذ حبهم بصفة الله وربه

صفحة ١٠٠ — ١٠ — اولها ١٠

فحصل وسبب املة بها حلا صلا وولا
لحنت حبها بعدا هفتا هفتا بقتلا
لحمه ولبا هفتا هفتا او حلتا
حلا حلا اذ حبها اجبا وحبها حلا
حب اذ حبها وحبها ، حلتا وحبها حلتا
حلتا حلتا حلتا حلتا حلتا حلتا
حبها وحبها حلتا حلتا حلتا حلتا
حبها حلتا حلتا حلتا حلتا حلتا حلتا
حبها حلتا حلتا حلتا حلتا حلتا حلتا
حبها حلتا حلتا حلتا حلتا حلتا حلتا
حبها حلتا حلتا حلتا حلتا حلتا حلتا

اهداء الكتاب

الى روح الصديق وصديق الروح ...
الى من اعلن الحق لانه حق وتمسك بالحق دون غفمة ولا
تهرب واستمات في سبيل الحق .
الى من احب كنيسته وقوى الدفاع عن حقها ، فانتشرت
لفحات فضله ولمعت آثار جهاده .
الى من كان المجلى في جميع الميادين بما اكتنزه في قلبه من
علم واسع ، تفور كلمته انسانية ونبلا ، يفزع الى رأيه السريان
وله في جميع القلوب مقام .
الى من ضحى فاضحى صفحة مخلدة مذهب في ازهى وامجد
صفحات التاريخ .
الى الاستاذ الكبير الاربغدافون نعمة الله دنو السرياني نهدي
كتابنا هذا « تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية » عداد ما
اسداه الينا والى هذه الكنيسة من فضل عميم ، رحمه الله .

المقدمة

تحتل الكنيسة السريانية الانطاكية منزلة سنية في التاريخ المسيحي، وتفتخر بتاريخها الحافل باقدس الذكريات، وآبائها وعلمائها الذين ذاع صيتهم في الاقطار بما خلفوه من نفائس القلائد، هي مصنفاتهم الحسان في كل فن ومطلب. ولم يكونوا في علم التاريخ الكنسي اقصر باعا من غيره من العلوم، فقد فازوا منه بسهم وافٍ، فوضعوا فيه مؤلفات جلية، فضلا عن نقلهم من اليونانية الى السريانية في القرنين الرابع والخامس: مصنفات اوسابيوس القيصري وسقراط وسوزمينس من مؤرخي اليونان. فاذا غرضنا الطرف عن ذكر الكتب الذين نبغوا منذ القرن الرابع فصاعدا، وخلفوا لنا مجلدات ضخمة من تراجم مطولة للقديسين والنسك ومشاهير السريان ومؤسسي الديورة والمدارس، ومئات من قصص الشهداء الذين تكللوا في اضطهادات ملوك الروم والفرس: فلا بد لنا من التنويه بالمؤرخين الشمامسة الذين تألق نجمهم في سماء الكنيسة السريانية منذ القرن السادس فصاعدا، في التاريخين البيعي والمدني، في مجلدات كثيرة واسعة،

اسدوا بها الى المدنية فضلا جزيلا كما هو معروف . واشهرهم
يشوع العمودي (حوالي سنة ٥١٥) ويوحنا الافسسي (٥٨٧+)
وزكريا الفصيح (بعد سنة ٥٣٦) ويعقوب الرهاوي (٧٠٨+)
والبطريركان ديونيسيوس التلمحري (٨٤٥+) وميخائيل الكبير
(١١٩٩+) والرهاوي المجهول (بعد سنة ١٢٣٤) ومار غريغوريوس
ابن العبري (١٢٨٦+)

ولما رأينا الشعب السرياني الكريم يحتاج الى تاريخ كنسي
لكي يلم باحداث الكنيسة ، ويطلع على مجدها فيحظى بتجديد
روحي ونهضة مباركة ، لانه عامل فعال في توجيه المؤمنين الى
المثل العليا ، واضرام قلوبهم بمحبة الكنيسة وخدمة البشرية :
اخذنا على نفسنا القيام بهذا العمل الشاق جهد الامكان .

التاريخ الكنسي هو مدة الزمان التي اجتازتها الكنيسة
منذ تأسيسها . وكما يتألف الوقت من ثوان ودقائق وساعات
وايام ، كذلك يتألف التاريخ الكنسي من احداث هي بمثابة
علة ومعلول . وهذه الاحداث هي على قسمين : داخلي وخارجي .
فالقسم الداخلي يشمل اولا : ايمان الكنيسة ومعتقداتها وتربيتها
المنظمة وحياتها الادبية بالنظر الى اعضائها . ثانيا : طبيعة الجدالات
المذهبية وتطور الاصطلاحات اللاهوتية . ثالثا : كيفية سياسة
الكنيسة . اما القسم الخارجي فيشمل انتشار الكنيسة في العالم
وعملها في المجتمع البشري وسيرها نحو التقدم والعوامل التي

ساعدت على ذلك او التي اعترضت سبيلها كعقبة كأداء،
وعلاقتها مع الامم الاخرى وبنوع خاص مع الدول المعاصرة لها.
ومع ان هذين القسمين لا ينفصلان عن بعضهما، وقد نشأ
كلاهما بتأثير واحد مشترك : الا ان لكل منهما بحثاً خاصاً. وعليه
سندرس في هذا الكتاب ايمان الكنيسة وعقيدتها والاصطلاحات
اللاهوتية وحياة المؤمنين الدينية والادبية، وعبادة الكنيسة
وسياستها : واعمال رسلها ومبشريها ورعاتها وشهادتها ومعترفها
ونسائها ورهبانها وعلمائها ومعلميها وقديسيها، الذين هذبوا الى
طريق الحق، وحملوا لواءها الى اقصى المعمور، و زادوا عن
جماها، وتميزوا بحسن رعايتها، وغدوا بنيتها بالتعاليم السماوية
مقدمين لهم مثالا صالحا في الطهر والقداسة، وضحووا بمهجم
الغالية بعد ان ذاقوا مر العذاب تأييداً لصحة ايمانها. لعل المؤمنين
يقتدون باعمالهم ويسيرون بهديهم ويخلدون ذكرهم. ولا سيما في
هذا الزمن الذي اصيب فيه الايمان والفضائل بالفتور. وكذلك
سنبحث المجامع المقدسة التي سنت القوانين والانظمة الرشيدة
ومحقت البدع الفاسدة، والاضطهادات التي اثيرت على الكنيسة
وكيف خرجت من تلك المعامع الدامية واعلام النصر تحقق
فوق رأسها.

واستندنا في وضع هذا الكتاب الى مصادر كثيرة، سريانية
وعربية وانكليزية، ولا سيما مصنفات آباء الكنيسة الاقدمين،

اشرنا اليها في الهامش . وعسى ان يرتاح اليه ابناء الكنيسة
ويرتشفوا منه المعرفة التاريخية الحقة . ونرجو اخيرا ان يكون
عملنا هذا لمجد الله ورفع شأن كنيسته .

في قلايتنا المطرانية في بيروت
في ١٢ كانون الاول سنة ١٩٥٣

سوربوس





قداسة مار اغناطيوس افرام الاول
بطريرك انطاكية وسائر المشرق الجالس سعيداً



جاءا معهما

أولهما أخ : جاءا أخا صبيتهما وجوا صبيهما
 حينما سمعا . هذين من المأقلا اخن إيا مأقلا :
 صبيتهما . ولأولهما مأقلا مأقلا أخا ،
 ولأولهما ولأولهما صبيتهما .
 حينما صبيتهما . ولأولهما صبيتهما .
 صبيتهما . هذين من المأقلا اخن إيا مأقلا :
 صبيتهما . ولأولهما مأقلا مأقلا أخا ،
 ولأولهما ولأولهما صبيتهما .

حينما سمعا . هذين من المأقلا اخن إيا مأقلا :
 صبيتهما . ولأولهما مأقلا مأقلا أخا ،
 ولأولهما ولأولهما صبيتهما .
 حينما صبيتهما . ولأولهما صبيتهما .
 صبيتهما . هذين من المأقلا اخن إيا مأقلا :
 صبيتهما . ولأولهما مأقلا مأقلا أخا ،
 ولأولهما ولأولهما صبيتهما .

مصمتا ومقتلا ، ولحمها مصمتا ولحمها مصمتا :
 مصمتا . ولحمها مصمتا ولحمها مصمتا ، ولحمها
 مصمتا مصمتا مصمتا مصمتا مصمتا مصمتا :
 مصمتا مصمتا مصمتا مصمتا مصمتا مصمتا :
 مصمتا مصمتا مصمتا مصمتا مصمتا مصمتا :
 مصمتا مصمتا مصمتا مصمتا مصمتا مصمتا :

[illegible]

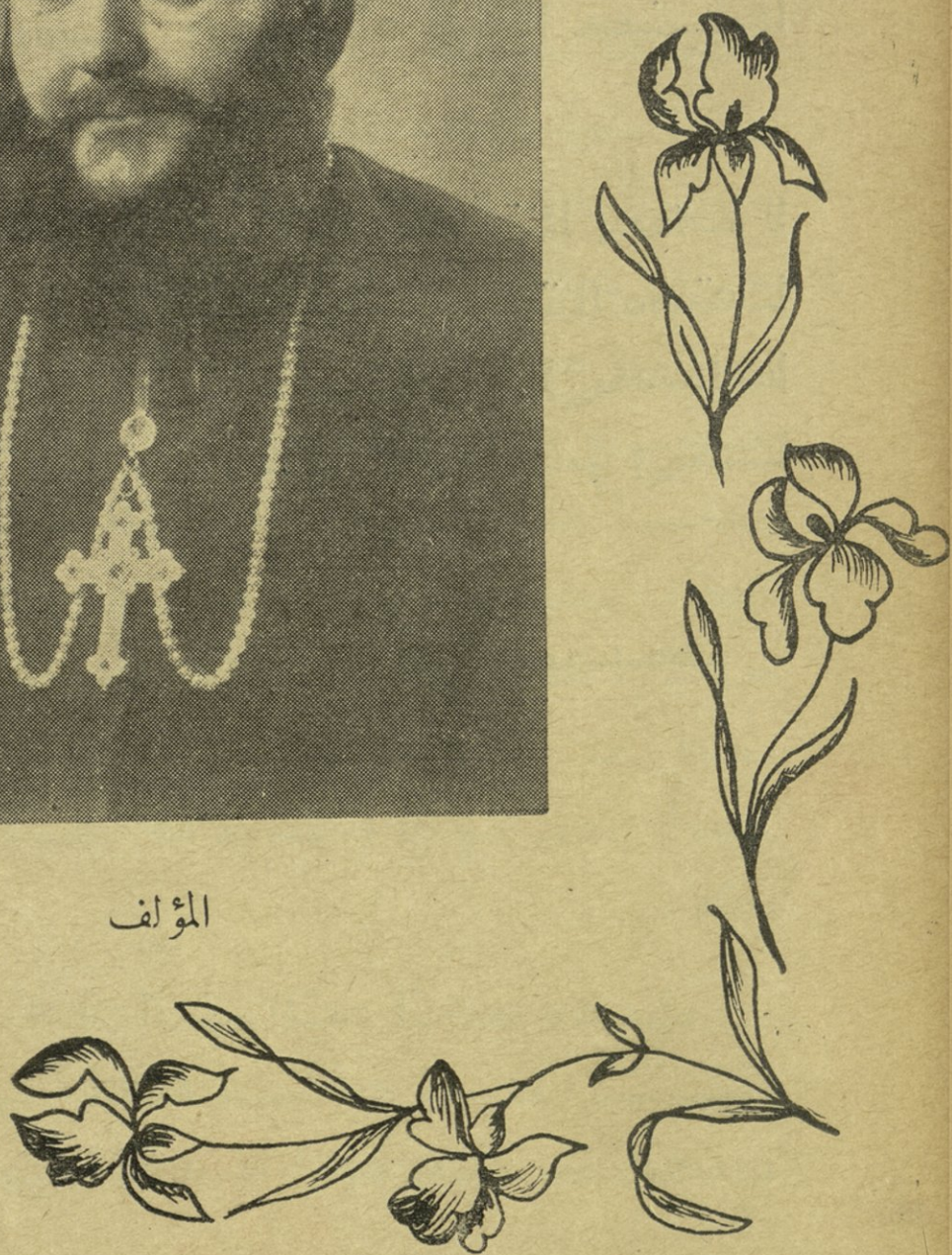
هه قسا وبع منالالا و نرسا انجه : حقا اقا
 صباستا وحقا نلبنج ، وناو : بع حوا ، نلا
 وحقا حامع . هفلاو ، حم حلا وحقا ههتا
 ههتا ملتبمه او ، فبفه ، حهفلا
 وناو ، هلا وناو ، وناو ، وناو
 وناو او . وناو او حهتا وناو
 وناو حهتا .

وناو حهتا حهتا وناو وناو لا
 وناو ، الا وناو وناو وناو
 وناو وناو . وناو وناو وناو
 وناو وناو وناو وناو وناو
 حهتا .

ههتا +



المؤلف



THE SYRIAN CHURCH

1 — THE SYRIAN CHURCH :

The Syrian Church occupies the highest rank in the history of Christianity, and it is proud of her glorious history which is full of the holy and eternal memories, and her illustrious scholars, good shepherds, holy martyrs, confessors monks, doctors, and saints who led her in the true path, carrying her flag to all the parts of the world, feeding her children with their heavenly teachings, offering themselves to them good models in purity and holiness, while most of them, after suffering much on her behalf: they sacrificed themselves confirming her truth.

2 — HER PRIVILEGES

There are many privileges for the Syrian Church especially two by which she is distinguished from other churches. The first is her Syriac language the second is her priority.

SYRIAC, was the language spoken by the first man, after that it became for many centuries the mother tongue of great peoples who lived in the western parts of Asia, while its alphabets were used by all the Eastern nations. Syriac was also the original language of the Jews of Palestine who lost it by mingling with the Egyptians and the Canaanites. But when they were captivated in Babylon by Nebukadnessar in 588 B. C. they regained it by mingling with

the Babylonians. Likewise Syriac was their mother tongue in the days of our Lord Jesus Christ, and it was sanctified by His birth, miracles, teachings, lectures, and establishment of the divine sacraments of incarnation and salvation.

With Syriac, the Church celebrated the holy Eucharist for the first time, and the Apostolic Council of Jerusalem discussed matters of the infant Church in 51 A. D. Besides Syriac is the language of revelation since some of the holy parts of the old and new Testaments were originally found in it, while the first translation of the holy scriptures was made into it.

HER PRIORITY. There is no doubt that the Syrian Church embraced Christianity from the very beginning, or rather to say that she was the first Church established by Christ Himself, since Syriac was the language spoken by Him, His blessed mother, Apostles and the Apostolic century. Moreover, by Syriac itself was the holy Gospel preached for the first time in Judia, Syria and surrounding countries.

3 — HER PATRIARCHATE :

The scholars of history admit the fact that all the countries situated between the bank of the Persian Gulf and the shore of the Mediterranean sea, and ecclesiastically ruled by the Holy See of Antioch : were Syrians, except some minorities in some of the Syrian cities, namely the Greek colony at Antioch, yet the order of the Church of Antioch was Syriac, just as that of the churches of India and China were. Therefore we can rightly apply to the large diocese of Antioch the name of the Syrian Church.

The Patriarchate of Antioch originally ruled over all the Christian east, just as the case was with Patriarchate

of Alexandria in Africa and the Patriarchate of Rome in the West. In another way, it ruled over whole Asia. The 6th rule of the Council of Nicea in 325 A. D. and the 2nd rule of the Council of Constantinople in 381 A. D. confirmed this authority.

In the 6th century the Patriarch of Antioch ruled over twelve metropolitans and hundred and thirty seven sufergan bishops. In the 9th and 10th centuries he ruled over twenty metropolitans and hundred and three sufergan bishops in Syria, Phenicia, Arabia, Palestine, Mesopotamia, Cilicia, Persia and India.

The Holy See of Antioch was established by St. Peter the Chief of the Apostles, and he was succeeded by many exalted Patriarchs most of whom astonished hnmanity by their glorious deeds and wonderful writings. The present Patriarch is H. H. Moran Mar Ignatius Aphraim I, the 120th in the serial of the lawful Patriarchs of Antioch and the 141 st including the lawful and unlawful Patriarchs.

4 — THE CATHOLICATE OF PERSIA :

The Gospel was preached everywhere, and the Syrian Church was widely spread in the East, where the number of the churches was increased and episcopal dioceses were established here and there. In the first quarter of the 3rd century there were more than twenty Syrian dioceses in the Persian Empire according to Meshiha Zcha the Nestorian historian in the middle of the 6th century.

Because of the difficulties of the management of the large diocese of Antioch : a catholicate was established at Slik and Ctesiphon the capital of the Persian Empire in the beginning of the 5th century. The catholicos was the

second dignity in the East, managing the affairs of the above mentioned dioceses as a vicar of the Patriarch.

In 480, the catholicos Babooyah was crucified by the order of Phirooz the Persian Emperor, due to the calumny of Barsom, the Nestorian bishop of Necibin. Babooyah was the 11 th in the serial of the bishops and catholicoses who succeeded Papa (329 †) the first bishop of Slik and Ctesiphon. Upon the martyrdom of Babooyah the Nestorianism was spread in that Empire by Barsom who persecuted by the orders of Phirooz and the help of the Persian soldiers : all those who refused to accept Nestorianism, murdering above seven thousand of the Syrian clergymen and laity. Likewise Barsom and his followers took the possession of the most of the Syrian churches in Persia and Iraq, and established a new catholicate for their own.

5 — THE UNBREAKABLE APOSTOLIC SUCCESSION IN THE SYRIAN CHURCH :

In 544 A. D. three bishops only remained for the church fulfilling their duties freely. One of them was Caris bishop of Sinjar in Iraq, the second in the mountain of Mardin, and the third at Alexandria. Some of the bishops were severely persecuted and put to death by the byzantian Government, and some others were exiled to Constantinople along with Mar Theodosius the Pope and Patriarch of Alexandria, where the orthodox queen Theodora, the daughter of a Syrian Priest of Manbaj and the wife of the Emperor Justinian protected and looked after them.

At this critical time the reputable Mar Jacob Boordaono visited Constantinople at the request of the believers to plead for the widowed church. The queen rejoiced in him

and gave him a cordial welcome. When Hareth, son of Jabla the Arab king of the Gassanites came to know of his visit : proceeded to Constantinople to request Theodora to help for ordaining a few bishops for Syria, since the Gassanites followed the Syrian Church in their belief. Hence St. Jacob and Rabban Theodore were ordained as bishops by the Patriarch Theodosius and company, the former for Edessa, Syria and Asia Minor, the latter for Busra (Aski-Sham), Arabia and Jerusalem. They were authorised to accept those who return to the faith in all the East. Besides, Mar Jacob was declared as a general Metropolitan.

Two bishops were not sufficient for the church, therefore, St. Jacob selected two virtuous monks called George and Gregory, and took them to Constantinople to the Patriarch Theodosius and company who ordained them as assistant bishops to St. Jacob.

In 548 A. D. the illustrious queen Theodora demised and her husband started persecuting the true believers. Hence St. Jacob, being endued with power from on high, started his agony by visiting the believers every where with a wonderful speed. Sometimes he was seen in Syria, other times in Armenia, Cappadocia, Cilicia, Ayooria, Pamphylia, Lucania, Phrygia, Caria, Asia Minor, the islands : Cyprus, Rhodes, Chios, Miletus, Egypt, Noba, Ethiopia, and Persia. Visiting churches, confirming them with the true faith, and ordaining bishops and priests according to the need of the church. His enemies tried to murder him, while Justinian reserved 300 pounds to whom he can take him to him. Many attempted but in vain. By walking he covered a distance of 40 miles in a day without feeling tired.

St. Jacob was famed for his wisdom, zeal and Piety. Being a great man as well as a good man. After fulfilling

every duty of a good shepherd, gloriously accomplished his course in 578 A. D.

6 — THE MAPHERIANATE OF TIGRIS :

St. Jacob ordained 102000 Priests, 27 bishops and one Patriarch for Antioch, Paul the 2nd in 550. In 559 he proceeded to Slik, visited Kisra Anusharwan the Emperor of Persia, and elevated Mar Ahodame, the Bishop of the Arabs to the Metropolitanship or Mapherianate of the East. Mar Ahodame, after ruling over the diocese of the East more than ten years with enthusiasm and energy, preaching Gospel to the Magis and others ended his course in 570 A. D. as a Martyr by the order of Kisra Anusharwan, for converting to Chirstianity a member of the royal family.

In 628, the Mapherianate's throne was established in Tigris by Mar Athanasius I the Patriarch of Antioch, by ordaining St. Marootha, the great scholar, as a Mapherian. During his days, the Eastern diocese flourished, and fifteen dioceses were established in Iraq, Arabia, Persia and Afga-nistan. The Mapherianate continued up to the death of the eloquent speaker Mapherian Behnam the 4 th (1859 ÷) the 81 st in the serial of the Metropolitans and Mapherians of the East who succeeded Mar Ahodame. Upon his demise a Council consisting of 17 Metropolitans and bishops was held and stopped the Mapherianate.

7 — THE ORTHODOXY OF THE SYRIAN CHURCH :

The orthodoxy of the Syrian Church is confirmed by the Holy Bible and the genuine historical documents previous to the Council of Chalcedon by which the Christian Church was devided into two. There is no doubt that the dogma

concerning one nature in Christ prevailed on the Christian Church before its division, while the dogma concerning two natures in Christ was declared for the first time by Nestor, the Patriarch of Constantinople, who was excommunicated by the first Council of Ephesus in 431 A. D. under the presidentship of St. Cyril the Pope of Alexandria. Subsequently, Leo of Rome embraced the theory of Nestor in his famous Tom which, for mere political matters, was accepted by the Emperor Marcian by whose violence it was decided in 451 A.D. by the Council of Chalcedon who devided the body of Christ into two.

In 476 A. D. the Emperor Basiliscos, protesting the Council of Chalcedon, convened a Council at Constantinople under the presidentship of Mar Peter II, the Patriarch of Antioch and St. Timothy II, the Pope of Alexandria. 500 bishops took part in it. Consequently, 600 bishops gathered at Ephesus and despatched a letter to the Emperor thanking him for his zeal towards the true faith. Accordingly he issued an edict against the dogma of the Council of Chalcedon. This edict was signed by Peter of Antioch, Timothy of Alexandria, Paul of Ephesus, Anestas of Jerusalem, the bishops of Asia Minor and others who were 700 in number. In 482, another Council was held at Constantinople by the Emperor Zeno, in which Peter of Antioch, Peter Mangos of Alexandria, Acacius of Constantinople and a big number of bishops were present, and confirmed the decision of the former Council. Successively, the Emperor issued his exalted edict Hanoticon, which was accepted by the Patriarchs of Antioch. Alexandria, Constantinople, Jerusalem and all the bishops of the Easl. In 509 A. D. a third Council was convened at Constantinople by the Emperor Anestas, in which the original decision of the Council of Chalcedon and the Tom of Leo were burnt according to the orders of the Emperor.

The Syrian Church, therefore, holds the doctrine prevailed before the division of the Christian Church, that was confirmed by the General Council of Ephesus in 431 A. D. and the Councils succeeded the Council of Chalcedon.

8 — THE FAVOUR OF THE SYRIAN CHURCH ON CULTURE :

The Church flourished and spread in all the parts of Syria, Palestine, Egypt, Mesopotamia, Asia Minor, Iraq, Arabia, Persia, Armenia, Afganistan and India, where hundreds of churches were erected, some of which were included among the wonders of the world. In 1236 we had twenty thousand churches with few millions of believers, and many dioceses were established as above mentioned. The names of one thousand of bishops who ruled over these dioceses during the four middle ages, are mentioned by the Patriarch Mar Michaiel the Great in his famous history, hundred of which are ordained by the Patriarch Dionnosius Talmahri in the 9 th Century.

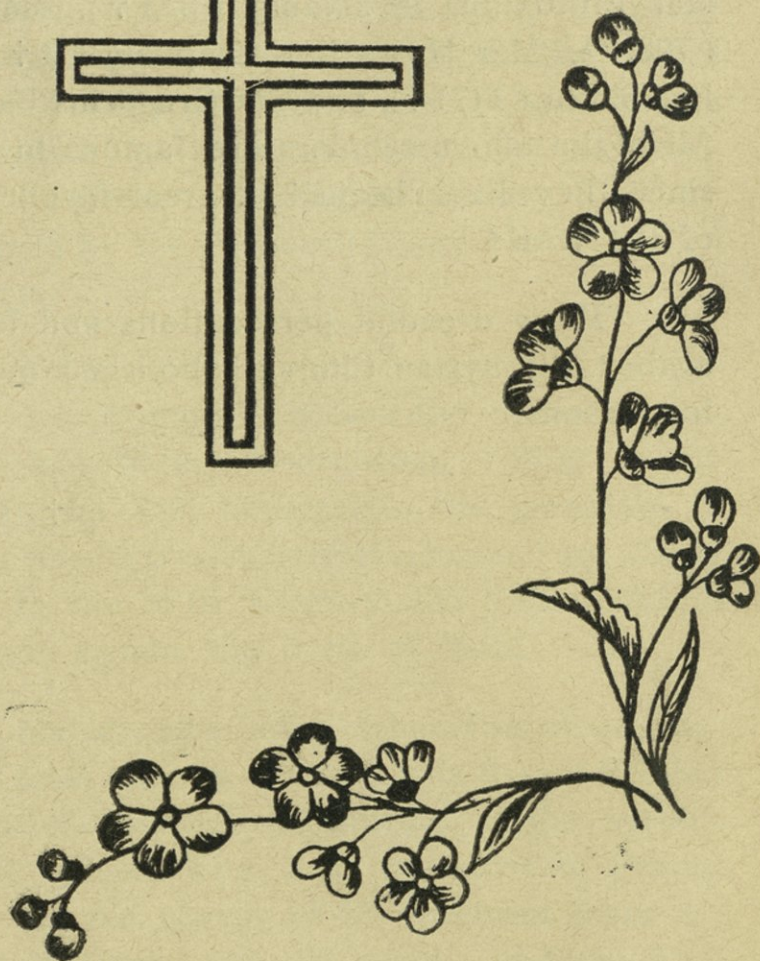
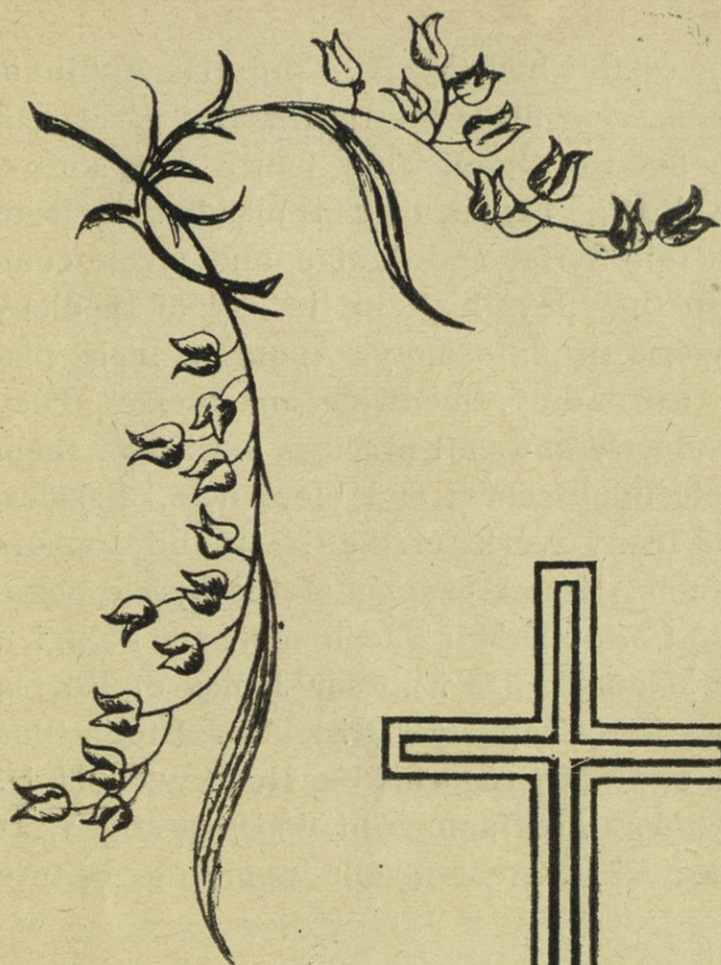
Hundreds of monasteries were constructed, where thousands of men and women exercised the monastic life, and worked in various parts of education, lifting up the head of culture. In the 5 th Century, in the mountain of Edessa alone there were 300 monasteries occupied by ninety thousand monks. In the 6 th Century 135 Syrian abbots in south Syria alone signed the book of faith.

Besides the above, also many schools and colleges were erected. The most famous of which was that of Necibin where St. Aphraim, the erudite and prophet of the Syrians lectured about 30 years. The 2 nd was that of Edessa which flourished by the energy of St. Aphraim from 363 to 373 A. D. and continued for 126 years ; and the 3 rd

that of Kennashrin, established by St. John Bar Aphtunia (539 +) and continued for five centuries. Many great and illustrious scholars flood of them. They had a deep knowledge of the Holy Book, hence they translated it from Hebrew and Greek into Syriac and Arabic, and wrote commentary on it. Also they flew high in the sky of theology and they were experts in philosophy, canonlaw, logic, mathematics, physics, astronomy, medicine and music. They handled all these subjects and left precious works on them which proved their intelligence and cleverness. Besides, they have translated many works of the Greek philosophers into Syriac and Arabic. Here are some of the Syrian Scholars : Mar Aphraim (373 +), Mar Jacob of Srooj (521 +), Mar Philoxinus of Manbaj (523 +), Mar James of Edessa (708 +), Mar Moses Bar Ceepha (903 +), Mar Dionnosius Bar Slaibi (1171 +), and Mar Gregorius Bar Hebrew (1286 +). All of the above scholars are famous in the East and West since they have heaped a great favour upon the culture of the world.

Many dreadful persecutions and fearful storms blew against the Syrian Church, abolished most of her glorious institutions.

+ Severius



الباب الاول

من سنة ٤ - ١٠٠ م

الفصل الأول

الكنيسة المسيحية وتاريخ تأسيسها

الكنيسة المسيحية هي جماعة المؤمنين بتوحيد الله وتثليث اقانيمه ايماناً مستقيماً ، والمبتاعين بدم الاقنوم الثاني المتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء . فيسمّون مؤمنين : لانهم يؤمنون بلاهوت المسيح ابن الله المتجسد . ويدعون مسيحيين لانهم يدينون بدينه وقد مسحوا بمسحة القدوس اي الميرون المقدس ^١ . وقد حصلوا على هذا الاسم في انطاكية اولاً ^٢ .

لقد أسس السيد المسيح كنيسة بواسطة تجسده الالهي الذي تم سنة ٤٠٠٤ للعالم بحسب التوراة العبرية ، او سنة ٥٥٠٨ بحسب التوراة السبعينية . وسبب هذا الاختلاف هو اختلاف ارقام اعمار الآباء الأولين من آدم حتى ابراهيم في هاتين الترجمتين ^٣ .

(١) رأي القديس تاوفيلس الانطاكي في مقالته ضد اوطوليكس ١ : ١٢

(٢) ع ١١ : ٢٦

(٣) مختصر الدول لابن العبري ص ١١٤

من المعلوم ان كتبة الاناجيل لم يدونوا تاريخ ميلاد المسيح ، ولذا لا يمكننا تحديد ذلك بالتدقيق . فاذا نظرنا الى المسيحيين في القرون الاولى : نراهم غير متفقين في ذلك . فمن جهة اليوم : فقد ارتأى بعضهم ان ربنا ولد يوم الاربعاء . وقال آخرون : يوم الجمعة . وذكر غيرهم : ليلة الاحد قبل صباح الديك في مثل الوقت الذي قام فيه من القبر وفيه عتيد ان يبعث الموتى ^١ .

اما عن التاريخ من الشهر فقد كتب اقليميس الاسكندري ان بعضهم كانوا يعتبرون اليوم الخامس والعشرين من شهر باكون (٢٠ ايار) يوم ميلاد المسيح ، غير ان آخرين كانوا يعتبرون اليوم الرابع والعشرين او الخامس والعشرين من شهر برمودا (١٩ نيسان) ^٢ . ومع هذا فان التاريخ الكنسي يخبرنا ان المسيحيين الشرقيين في القرنين الثالث والرابع خصصوا اليوم السادس من شهر كانون الثاني للاحتفال بعيد ميلاد المسيح وعماده معاً ^٣ . لذلك قال مار افرام في احد مداريشه « ان المسيح حُبل به في العاشر من شهر نيسان وولده امه في السادس من كانون الثاني » ^٤ . قال القديس ابيفانيوس « ان المؤمنين كانوا يحتفلون بهذا اليوم كأنه اليوم الثابت لميلاد المسيح » ^٥ . وفي النصف الثاني من القرن الرابع ، وخاصة منذ عهد الملك ارقاديوس : اخذت الكنائس الفلسطينية والغربية تحتفل بميلاد المسيح في الخامس والعشرين من كانون الاول ^٦ ، ثم اتفق عليه جميع المؤمنين ما عدا الارمن الذين لم يزوالوا يحتفلون بالميلاد والعماد

(١) تفسير ابن صديقي (بفتح اللام) لانجيل متى طبعة باريس ص ٨٨

(٢) كتابه ستروماتيس ١ ص ٣٤٠ .

(٣) جيزلر مج ١ حاشية ص ٥٤ ومرشد الطالبين ص ٥٧٨ .

(٤) مقدمة تفسير ابن صليبي لانجيل لوقا .

(٥) هرطقة ٥١ : ٢١ .

(٦) مقدمة تفسير ابن صليبي لانجيل لوقا ومرشد الطالبين ص ٥٧٨ .

معاً في السادس من كانون الثاني ١ . اما سبب اجماع المؤمنين على الاحتفال بميلاد المسيح في الخامس والعشرين من كانون الاول فهو ان النور يبتدىء يأخذ من الظلام في هذا اليوم كقول اوسابيوس القيصري في ميمره عن الميلاد والدنح ٢ . والحقيقة ان يوم ميلاد ربنا يسوع لا يعرفه احد بالتدقيق ، كما كتب مار يعقوب الرهاوي في رسالته الى موسى الطورعبديني ٣ .

واما السنة فقد قال بعضهم انها الحادية والاربعون ٤ من ملك اوغسطس اي سنة ٧٥١ من تأسيس مدينة رومية ، وارتأى آخرون انها الثانية والاربعون من ملكه ٥ ، وذكر غيرهم غير ذلك ٦ ، الامر الذي يبرهن لنا على ان المؤرخين والمفسرين القدماء لم يتفقوا على هذا الامر . وقد ظل المسيحيون الاولون حتى القرن السادس لا يستعملون التاريخ منذ سنة ميلاد المسيح بل سنة تأسيس مدينة رومية ٧ ، ما عدا السريان الذين كانوا يستعملون التاريخ اليوناني الذي يبتدىء منذ سنة تأسيس مدينة انطاكية ٨ .

واول من اخذ باستعمال التاريخ المسيحي هو الراهب ديونيسيوس الصغير السكيثي سنة ٥٣١ ميلادية . كان هذا رئيس دير ، وظن ان المسيح ولد في الخامس والعشرين من كانون الاول سنة ٧٥٣ من تأسيس مدينة رومية ٩ . فاستعملت هذا التاريخ اولاً بملكة انكلو ساكسون ،

(١ و ٣) مقدمة تفسير ابن صليبي لانجيل لوقا .

(٢) خطبة مار ساويرا موسى ابن كيفا في عيد الميلاد .

(٤) القديس ايريناوس ٣ : ٢٥ وترتليانس في تفسير رسالة يهوذا

(٥) اوسابيوس ١ : ٥ وابيفانيوس هرطقة ٥١ : ٢٢

(٦) جيزلرمج ١ حاشية ص ٥٣ و ٥٤

(٧) مرشد الطالبين ص ٥٧٦

(٨) التاريخ المدني السرياني لابن العبري ص ٣٧

(٩) جيزلرمج ١ ص ٥٤ ومرشد الطالبين ص ٥٧٦

ثم ملكا فرنسا ييبين وشرلمان ^١ واخيراً رحب به العالم المسيحي مؤرخاً به الحوادث ما عدا السريان الذين ظلوا يستعملون التاريخ اليوناني الآنف الذكر .

بيد ان العلماء المعاصرين اجمعوا على اضطراب هذا التاريخ ، استناداً إلى حادثين ذكرنا في الانجيل المقدس . الاول في متى ٢ : ١ ومنه يتبين ان المسيح ولد قبل موت هيرودس الذي حل في ربيع سنة ٧٥٠ منذ تأسيس مدينة رومية . فيكون ميلاد المسيح اذاً سنة ٧٤٩ منذ تأسيس مدينة رومية ، اي قبل التاريخ الديونيسي بربع سنوات . والثاني ذكر في لوقا ٣ : ١ ومنه يظهر ان يسوع كان ابن ثلاثين سنة في السنة الخامسة عشرة من ملك طيباريوس قيصر . وبما ان طيباريوس صار شريكاً في الملك لاوغسطس سنة ٧٦٥ من تأسيس مدينة رومية ، فاذا اضفنا إلى هذا التاريخ الاربع عشرة سنة التي ملك بعد هذا التاريخ : يكون المجموع ٧٧٩ اي السنة التي شرع فيها المسيح بخدمته . فاذا طرحنا من هذا المجموع ثلاثين سنة اي سني حياة المسيح في ذلك الوقت : يكون الباقي ٧٤٩ اي سنة ميلاد المسيح . وهكذا اجمع العلماء المعاصرون على ان ميلاد المسيح جرى حقيقة سنة ٧٤٩ من تأسيس مدينة رومية ، اي قبل التاريخ الديونيسي بربع سنوات ^٢ وقد اضيفت هذه السنوات الاربع الى حساب العالم قبل المسيح الذي هو ٤٠٠٠ سنة بحسب التوراة العبرية فاصبح ٤٠٠٤ كما اسلفنا .

(١) جيزلر مج ١ ص ٣٧

(٢) مرشد الطالبين ص ٥٧٦ . وورد في تاريخ الكنيسة العام تأليف ف موري Mourret

مج ٣ طبع سنة ١٩٣١ ص ٢١٧ ح ٣ : ان ديونيسيوس اخطأ باعتباره ميلاد ربنا سنة ٧٥٤ لرومية وكان ذلك قبل خمس سنوات على الاقل .

الفصل الثاني

نسب السيد المسيح بالجسد



لقد دوّن الانجيليان متى ولوقا جدولين لنسب السيد المسيح بالجسد .
وهذان وإن اختلفا ظاهرياً إلا انها يرجعان الى اصل واحد وهو داود .
فمتى يسلسل النسب من سليمان بن داود ، اما لوقا فينحدر به من ناثان
بن داود . والغاية من كليهما اثبات كون السيد المسيح من نسل داود
وابراهيم سواء كان من جهة امه مريم أو من جهة خطيبها يوسف البار .
كانت مريم ابنة هالي^١ الذي ورد ذكره في جدول لوقا ، ويسمى
يوياقيم ويوناخير ايضاً ، واسم امها حنة أو دينة . ولم يضم القديس لوقا
اسمها الى جدولهِ فاستعاض عنه باسم خطيبها عملاً بتقليد اليهود في تدوين
الأنساب . اما يوسف فكان الابن الطبيعي ليعقوب كما ذكر متى ، والابن
الناموسي لهالي كما ذكر لوقا ، إذ كان خطيباً لمريم ابنة هالي . وكان
جد مريم ويوسف واحداً هو ماتان أي مطث ، إذ ولد ماتان يعقوب
ابا يوسف وهالي ابا مريم^٢ .

كانت حنة عاقراً^٣ ، فنذرت وزوجها هالي ان يقدمها للرب ثمرة

(٢١) مشكاة الطلاب للأسقف ايسيدوروس ص ٤٤٢ - ٤٤٣

(٣) خطبة مار غريغوريوس النوسي في ميلاد الرب ، في كتاب التراجم السنوية السرياني للآباء

الارثوذكسين .

التي يمن بها عليهما ، فاعطاهما الرب ابنة سميها مريم ومعناها نور^١ . ولما تمت لها ثلاث سنوات حملها الى الهيكل لتخدم فيه بصفتها ابنة النذور . كان زكريا ابو يوحنا المعمدان احد كهنة اليهود من فرقة آبيا^٢ ، وكانت زوجته اليصابات نسيبة مريم ، ذلك ان امها وهي من سبط يهوذا كانت اخت حنة ام مريم ، إذ كان مأذوناً للكهنة ان يتزوجوا من أي سبط كان .

عاشت مريم في الهيكل محمية نفسها بالقداسة والتواضع وسائر الفضائل حتى فاقت جنس النساء . وقد اظهرت نحوها نسيبتها اليصابات عناية كبرى حتى بلغت الثالثة عشرة من عمرها^٣ . ثم أوحى الله الى الكهنة ليعقدوا خطبتها ، إذ لم يكن مأذوناً للشابات البالغات البقاء في الهيكل . فخطبوها ليوسف البار ، فتم بذلك ما قاله الكتاب « السفر المختوم الذي يدفعونه لعارف الكتابة قائلين اقرأ هذا فيقول لا يستطيع لأنه مختوم » (اش ٢٩ : ١١)^٤ .

كان يوسف نجاراً من الناصرة ، وكان قد تزوج ورزق سبعة اولاد هم يعقوب ويوسي وشمعون ويهوذا والآخرين المذكورون في الانجيل المقدس . ثم توفيت زوجته ، فعاش بعد وفاتها بعفة مربيةً لولاده بحسب ناموس الرب^٥ . فلما خطبت له مريم اخذها الى الناصرة . وفي هذه السنة بشرها الملاك بالجيل الالهي . فلما صدقت قوله حل عليها الروح

(١) خطبة مار غريغوريوس العجائي في بشارة والدة الاله ، في كتاب التراجم السنوية المشار اليه .

(٢) كانت نوبتها الثامنة بين الأربع والعشرين فرقة التي رتبها داود الملك (١ اي ٢٤ : ١١) وكانت هذه الفرق أو النوبات تبتدىء من عيد الفصح الواقع في ١٤ نيسان القمري . فتكون نوبة زكريا في الاسبوع الثامن أي في نصف حزيران .

(٣) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٨٨ والتاريخ المدني السرياني لابن العبري ص ٤٦ .
(٤و٥) خطبة الذهبي الفم في بشارة والدة الاله مريم ، في كتاب التراجم السنوية الآنف الذكر .

والخمسين من عمرها ١ ، فجنزها الرسل والمؤمنون ودفنوها في جثسياني ،
ثم نقلها ابنها الى الفردوس نفساً وجسداً تاركة للكنيسة بواسطة مار توما
الرسول نطاقها المقدس ، وهو ذخيرتها الوحيدة ٢ .

الفصل الثالث

زئار سبرتنا العذراء

ورد في اقوال بعض آباء الكنيسة ان العذراء لما دنت ساعة خروجها
من هذا العالم : اوعز الروح القدس الى الرسل الاصفياء ، فركبوا
متن الهواء ، واجتمعوا كلوا مع البرق الى اورشليم ما عدا توما . وفي
اليوم الثالث من دفنها وصل هذا الرسول من الهند الى اورشليم ، فرأى
مأتماً علوياً مجيداً ومشهداً خارقاً يخطف الابصار والعقول . رأى واذا
العذراء مسجاة على ملاء بيضاء تطير بها الملائكة الى السماء . فتردد حائراً ، ثم
مس منها ذخيرة ، فرأى واذا بنطاق العذراء المقدس يهبط من علٍ
ويسقط بين يديه ، فيستيقظ من اغفائة الشك ، ويأخذه الى الرسل مدلاً

(١) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٨٨ ، والتاريخ المدني السرياني لابن العبري ص ٤٦ وتاريخ
مختصر الدول بالعربية له ص ١١٠ .

(٢) هكذا اعتقدت الكنيسة منذ صدر النصرانية . قال ابن العبري « اذا نذر احد ان يصلي
في بيعة والدة الاله التي في انطرطوريا ، يتم نذره وان صلى في بيعة اخرى مشيدة على اسم والدة
الاله . ولكنه اذا نذر ان يصلي في بيعة مار يوحنا الانجيلي : لا يتم نذره الا اذا صلى في البيعة التي
دفن فيها . لانه كما انه لا يوجد ذخيرة لوالدة الاله في جميع الكنائس (اي شيء من رفاتهما) كذلك
لا يوجد في بيعة انطرطوريا ، وليس كذلك سائر لقديسين » (هدايات ٣٧ : ٢ ق ٣) .

به على انتقال والده الاله الى العلواء نفساً وجسداً ، ثم يعود الى الهند
يشفي به المرضى وذوي العاهات ويبارك المؤمنين . وبعد مدة نقل الى
الرها فحمص حيث أودع كنيسة السيدة ذخيرة ثمينة للمؤمنين ، كما نقل
رأس القديس يوحنا المعمدان وبعض رفاتة من فلسطين الى كنائس دمشق
وحمص وحلب الكبرى . ومنذئذ عيّدت له الكنيسة .

وهناك ثلاثة عشر كلنداراً سريانياً حوت عيد « وضع زنار والده
الاله » او « تزنيروا بها إياها » تتراوح بين المئة الثامنة والرابعة عشرة ،
اولها كلندار القديس يعقوب الرهاوي (٧٠٨ +) . وقد ذكر في بعضها
في ٣٠ آب ، وفي البعض الآخر في ٣١ منه . ولما كان موعد عيد الزنار
قريباً من عيد انتقال العذراء في ١٥ آب : فقد أهمل على تراخي السنين
مثلاً اهملت اعياد وذكارات عديدة تخفيفاً على المؤمنين .

وفي نيسان سنة ١٩٥٣ كان قداسة حبرنا الأعظم مار اغناطيوس افرام
الأول بطريرك انطاكية وسائر المشرق يتصفح بعض مخطوطات تخص
المرحوم القس يوسف عسكر الحمصي المتوفى عام ١٩١٦ فلقت نظره كتاب
ظهر ان غلافه مؤلف من اوراق ألصق بعضها ببعض . ولما فكها وجد
ستاً واربعين رسالة كرشونية وعربية ، وبينها رسالة انفذها وجهاء السريان
في حمص وحماة ودمشق وصدد وغيرها من قرى حمص الى وجهاء مدينة
ماردين يعلمونهم بها انهم في اثناء هدم كنيستهم في حمص قصد تجديدها
وتوسيعها : وجدوا فيها الزنار المريمي الشريف موضوعاً في مائدة التقديس ،
فتبركوا به دون ان يفتحوا الوعاء الذي حواه ، ووضعوه ضمن مائدة
التقديس في مذبحها الجديد بالحالة التي وجدوه فيها . وكان ذلك سنة ١٨٥٢ .

فسر قداسته بذلك واهتم بالبحث عن هذا الاثر الديني العظيم ، وأمر
بنقب المذبح الأوسط ، فظهر الزنار المريمي وتبرك به الحاضرون . ثم
كتب قداسته الى مديرية الآثار الدمشقية يخبرها بالأمر ، فأوفدت الى

حصص لجنة قوامها الدكتور جوزيف سبع محافظ متحف دمشق والاستاذ الحبير في البحث رئيس الحافظ . وبعد دراسة الزنار الشريف وكل ما تعلق به درساً كافياً ، كتبت تقريراً في ٦ آب ١٩٥٣ جاء فيه ما يلي « جرن من الحجر البركاني ، وقرص نحاسي مزين بدوائر متحدة المركز يغطي حفرة نصف بيضوية تقريباً ضمنها علبة اسطوانية الشكل من المعدن المتأكسد لدرجة انه لم يبق من المعدن شيء . وقد حفظ التأكسد شكل العلبة الاصلية . وعلى الأرجح انها من الفضة المزوجة بمعدن آخر . بقي قعر العلبة لاصقاً في حفرة الجرن فاخرجه غبطة البطريك محطماً الى عدة قطع . ووجد ضمن العلبة زناراً ملفوفاً حوله قطع من الخيطان والقماش . »

« طول الزنار ٧٤ سم وعرضه ٥ سم وسمكه ٢ سم . لونه بيج فاتح وهو مصنوع من خيوط صوفية طولانية في الداخل (او خيوط كتان) نسج عليها خيوط من الحرير . وطرز الزنار بخيوط من الذهب (المسماة قصباً) على سطحه الخارجي . وقد تأكل من اطرافه وظهرت عليه املاح وتأثر بتأكسد العلبة المعدنية . وكان معلق في جانب العلبة المذكورة من الاعلى اسطوانة نحاسية طولها ٦٥ سم فتحت فظهر ضمنها قطعة عظمية من ساعد انسان بنفس الطول . وظهر ضمن القطعة العظمية ما يشبه رقياً ملفوفاً يتطلب اخراجه معالجة خاصة دقيقة . »

« ان الزنار يعود الى العهد الروماني ، والجرن والقرص النحاسي يعودان الى العهد البيزنطي »

« يظهر ان العلبة المحتوية على الزنار كانت موضوعة في مذبح الكنيسة السابقة منذ زمن بعيد ربما يبدأ مع البيعة السابقة كما يدل على ذلك تأكسد العلبة الشديد الناجم حتماً عن وجودها في ارض رطبة مدة طويلة ، وتأكل الزنار اثناء وجوده ضمن العلبة وحالة العظمة والرق الموضوع ضمنها »^١

(١) ملخص عن بيان بطريكي مخطوط في زنار سيدتنا مريم العذراء في حصص ١٩٥٣

ومنذ اكتشاف الزنار المقدس : تبارك منه مئات الزائرين من جميع
الاديان والمذاهب . وما زالت وفود عديدة تتهافت الى حمص كل يوم
لنيل البركات من كنيسة السيدة ام الزنار .

الفصل الرابع

اخوة السيد المسيح بالجسد



ان اخوة السيد المسيح بالجسد هم اولاد يوسف البار خطيب والدته
العدراء من زوجة سابقة ، غير انهم لم يؤمنوا به في اول الأمر ، ولما
سمعوا انه يكرز في الجليل خرجوا ليمسكوه لانهم قالوا إنه مختل (مر ٣ :
٢١) وفي فرصة اخرى قالوا له « اذهب الى اليهودية واطهر نفسك للعالم »
(يو ٧ : ٢ - ٤) . ولكنهم آمنوا به بعد قيامته ، وربما لاجل هذه
الغاية ظهر لاخيه يعقوب في المدة التي تخلت قيامته وصعوده كما نخبرنا
بولس الرسول (١ كو ١٥ : ٧) .

بما انهم لم يؤمنوا به الى ما بعد قيامته ، لذلك لا يمكن ان يكونوا
رسلاً من الاثني عشر وهم غير مؤمنين . وقد ذهب العلامة الغربي مار
ايرونيمس في القرن الرابع وهو شاب بعد الى ان الرسول يعقوب بن
حلفى ويعقوب اخا الرب شخص واحد ، وان يهوذا اخا يعقوب هو يهوذا
احد الاثني عشر ، وان يعقوب واخوته هم اولاد مريم قليوفا المذكورون
في الانجيل ، وان قليوفا هو حلفى ابو يعقوب الرسول . لكنه عدل عن
هذا المذهب وهو شيخ في اثناء تفسيره الاصحاح الـ ١٧ من اشعيا قائلاً :

إن يعقوب واخوته هم اولاد يوسف البار من زوجة سابقة . ورأيه هذا
 الاخير هو المعول عليه ، وهو رأي علماء الكنيسة الاولين ، منهم اوريجانس
 واوسابيوس القيصري والذهبي الفم ، بل رأي الكنيسة السريانية ايضاً
 (انظر تفسير ابن صليبي لانجيل متى ١٢ : ٤٦ ومر ٣ : ٢١ ويو ٧ :
 ٣ ، ومقدمة تفسيره رسالة يعقوب) . اما اللاتين فقد اخذوا برأي علامتهم
 الاول ، غير ان العلماء البولنديين الكاثوليك يتبعون رأي الكنيسة الارثوذكسية .
 وبعد صعود المسيح انتخب الرسل يعقوب اخا الرب واقاموه اسقفاً
 لاورشليم ١ ، واستشهد سنة ٦٢ من اليهود ، نظراً لغيرته وإيمانه الراسخ
 بالمسيح ٢ . ثم اجتمع تلاميذ المسيح في اورشليم مع اقرباء الرب الذين
 كانوا بعد في قيد الحياة ، وتداولوا في امر اقامة خلف لمار يعقوب ،
 فاجمعوا على اقامة شمعون بن قليوبا ، وكان هذا ابن عم مار يعقوب ، وقد
 ذكره الانجيل الشريف مع اخوته وامه مريم قليوبا . واستشهد سنة ١٠٦
 مصلوباً إبان اضطهاد طريانس ، بالغاً من العمر مئة وعشرين سنة ٣ .
 ويهوذا المعنونة باسمه الرسالة في العهد الجديد : هو يهوذا اخو الرب .
 وقد وشي بابنيه الى دومطيانس الملك سنة ٩٥ على انها من نسل داود .
 فاستدعاهما الملك وسألها عن الامر ، ولما لم يجد فيهما شيئاً يدعو الى
 العقاب : اطلق سراحهما ، فزارا جميع الكنائس يثبتان المؤمنين . وقد
 احتفت بهما الكنيسة كلها ، وعاشا إلى زمن طريانس ٤ .
 هكذا احتلت اسرة يوسف مربي ربنا بالجسد منزلة رفيعة في الكنيسة
 كلها ، حتى ان كرسي اورشليم الاسقفي حفظ لافرادها لمدة تنيف على
 مئة سنة كما شهد المؤرخون .

(١) هدايات ابن العبري ٧ : ٤

(٢) اوسابيوس ٢ : ٢٣

(٣) فيه ٣ : ١١ و ٣٢ و ٤ : ٢٢ .

(٤) فيه ٣ : ٢٥ و ٣٢ .

الفصل الخامس

سياحة المسيح



لا نرى في التاريخ الانجيلي إلا نزراً يسيراً من اخبار طفولة المسيح . لقد اختتن في اليوم الثامن وسمي يسوع ، وأُصعد الى هيكل اورشليم في تمام الاربعين يوماً حيث حمله سمعان الشيخ على ذراعيه ، وتنبأت حنة النبية ، ثم أخذ الى الناصرة . وكان ابواه يذهبان به كل سنة الى اورشليم في عيد الفصح ويترددان الى بيت لحم . وفي السنة الثانية بينما هم في بيت لحم اتى المجوس من المشرق وسجدوا له . وفي تلك الليلة أخذ يسوع الى مصر بأمر الملاك^١ . وعادوا في هذه السنة الى الناصرة بعد موت هيرودس . ولما تمت ليسوع اثنتا عشرة سنة ، وصعد به ابواه الى اورشليم في عيد الفصح : تخلف عنها بعد الفصح دون علمها ، فصارا يطلبانه مدة ثلاثة ايام ثم وجداه جالسا في وسط المعلمين في الهيكل يسمعونهم ويسألهم وكانوا كلهم معجبين بحكمته وأجوبته السديدة . ثم اخذاه الى الناصرة . ومن هذه السنة التي هي الثامنة ميلادية حتى السنة السادسة والعشرين لا نرى عنه حادثاً ما في التاريخ الانجيلي . وفي هذه السنة لما تمت له ثلاثون سنة اعتمد في نهر الأردن من يوحنا المعمدان ، ثم صام اربعين يوماً في البرية ، وفي ختامها جربه إبليس وخذل . وبعد هذا اظهر نفسه للعالم ، واختار له اولاً اثني عشر رسولاً ثم سبعين مبشراً ، اشار بالرسول الى اسباط إسرائيل الاثني عشر ، وبالمبشرين الى مجلس اليهود الأعلى

(١) تفسير ابن صالمي لانجيل متى ٢ ص ٩٠ - ٩١ .

المؤلف من سبعين عضواً . ثم سن شريعة جديدة ، ناهجاً للبشر سبيل الكمال ، مثبتاً تعليمه الالهي بالآيات الباهرات .

نستنتج من انجيل يوحنا ٢ : ١٣ و ٦ : ٤ و ١١ : ٥٥ ان ثلاثة اعياد فصح او ربما اربعة جرت خلال خدمة يسوع العلانية ، الأمر الذي يبين انه قضى في هذه الخدمة نحو ثلاث سنوات ^١ وبضعة شهور . وفي هذه المدة اسس بيعته وسلم اليها تعاليمه المحيية المكتوبة وغير المكتوبة ، ومنحها الأسرار التي تدر عليها نعم الروح القدس . وقد اعطاها سر جسده ودمه لتتناولهما فيصير اتحاد ثابت بينه وبينها .

وهناك رسالة من يوليوس والي الجليل الى القيصر طيباريوس كما اثبت القديس يوسطينس والعلامة ترتليانوس في القرن الثاني ، يعلمه فيها عن المسيح وفضيلته السامية وآياته الباهرة وجماله الفتان وعظاته البليغة واخلقه الكريمة ومعرفته الطبيعية لكل العلوم البشرية . ثم يقص عليه كيف ان كثيرين من اليهود وعلمائهم مع تلاميذ يسوع يؤمنون بانه اله وابن الاله وخالق السماء والارض ، في الوقت الذي يبغضه غيرهم من اليهود ^٢ .

هاج كهنة اليهود ورؤساؤهم وماجوا ، وقد كوتهم توبيخات يسوع القارصة على اعمالهم الشريرة ، وترصدوا فرصة ليهلكوه ، ثم اسلمه اليهم يهوذا الاسخريوطي احد الاثني عشر ، فجاكموه ظمأ امام قيافا رئيس الكهنة وبيلاطس والي اليهودية وهيروودس والي الجليل وقضوا عليه بالموت على الصليب ، فصلبوه في جبل الجلجلة بين لصين وذلك يوم الجمعة المصادف ٢٣ اذار . وكتب بيلاطس عنواناً « يسوع الناصري ملك اليهود » ووضعاه على الصليب . وكان مكتوباً بالعبرانية اي السريانية الفلسطينية ، واليونانية لغة الادب والاجتماع يومئذ ، واللاتينية لغة السياسة في المملكة الرومانية عصرئذ .

(١) تقرير بيلاطس البنطي الى القيصر طيباريوس ص ١٠

(٢) الحريدة النفيسة جزء ١ ص ٢٩ و ٣٠

هكذا لما شاء يسوع ان يكمل سر الفداء وغفران الخطايا الذي تجسد
لأجله : حمل على رأسه خطايا العالم وذاق الموت بارادته في الساعة التاسعة
من ذلك اليوم . فانزل يوسف الرامي ونيقوديمس جسده المقدس ، وحنطاه
ووضعاه في قبر جديد منقور في صخر في جنيئة يوسف الآنف الذكر .
وفي اليوم الثالث في فجر الاحد قام من القبر ، ومنح بيعته سلطاناً
لتمنح غفران الخطايا الى انقضاء العالم . وبعد ان تردد الى تلاميذه اربعين
يوماً صعد الى السماء امام اعينهم بالجد الذي اتخذه من سيدتنا العذراء
مريم وجلس عن يمين ابيه .

وكتب بيلاطس البنطي تقريراً الى طيباريوس قيصر فيه يصف فضائل
يسوع مثلاً كان قد كتب يوليوس والي الجليل . واخبره كيف حسده
اليهود وصلبوه فبُعث حياً وآمن به كثيرون ^١ . فسر طيباريوس ، واخذ
من ثم يحل المسيح وتعليمه كما يشهد العلامة ترتليانوس ^٢ .

واليك شهادة الكاتب العبري يوسفوس الذي كان معاصراً لهذه الامور :
« وكان ايضاً في هذا الوقت رجل حكيم اسمه يسوع اذا جاز ان
يدعى انساناً ، وكان عاملاً عجائب كثيرة ومعلماً للذين ارادوا ان يتعلموا
الحق ، وكان له تلاميذ كثيرون من اليهود والامم ، هو المسيح
الذي اشتهى عليه رؤساؤنا واكابر امتنا وسلمه بيلاطس البنطي للصلب .
ومع هذا كله فان الذين تبعوه من البداءة لم يتركوه ، وقد نظر اليه
حياً بعد صلبه بثلاثة ايام كما كان قد تنبأ بعض الانبياء وفعل معجزات
أخر كثيرة ، ولم يزل الى يومنا هذا بعض الناس يدعون مسيحيين
الذين يعترفون به رئيساً لهم » ^٣

(١) تقرير بيلاطس البنطي الى طيباريوس بالمرية طبعة البصرة

(٢) اوسابيوس ٢ : ٢

(٣) تاريخ يوسفوس ص ٢١٤ طبعة بيروت

الفصل السادس

عمل الروح القدس في تأسيس الكنيسة



منح السيد المسيح رسله قبل صعوده الى السماء درجة رئاسة الكهنوت السامية ، وامرهم ان يذهبوا الى العالم اجمع ويبشروا جميع الامم بالانجيل ، واعدآ ان يرسل اليهم الروح القدس . وبعد ان عاينوا صعوده في جبل الزيتون رجعوا الى العلية في اورشليم حيث اقاموا مع مريم ام يسوع ومع اخوته والمؤمنين الذين كانوا نحو ١٢٠ نفساً ، مواظبين على الصلاة بنفس واحدة . وبعد عشرة ايام من صعود المسيح حل عليهم الروح القدس شبه السن نارية يوم الاحد المصادف ١٣ ايار ، وكان عيد العنصرة اليهودي . فاضطرب كهنة اليهود جداً اذ سمعوا في الهيكل صوتاً قائلاً : « فلننتقلن من ههنا »^١ .

اما الروح القدس فقد قلد الرسل ثلاثة اسلحة روحية ليقتحموا بها الاخطار ويونجخوا الملوك الطغاة وينشروا كلمة الانجيل في المسكونة .
اولاً - منحهم ان يتكلموا بجميع اللغات . فانقلب بغتة اولئك الصيادون البسطاء والجليليون الذين لم يكونوا يعرفون سوى اللغة السريانية^٢ ، واصبحوا يسمعون كل واحد لغته التي ولد فيها . لان كثيرين من سائر البلاد كانوا آتئذ في اورشليم في عيد العنصرة . وفي

(١) التاريخ المدني السرياني لابن العبري ص ٤٧ .

(٢) الظهور الالهى لاوسايبوس القيصري ٤ : ٦ .

تلك الساعة جذبوا الى الكنيسة بواسطة خطبة بطرس الرسول ثلاثة آلاف نفس .
ثانياً — درعهم قوة في عزائهم وجعل في اقوالهم قوة لتؤثر في السامعين .
فاخذوا يسبون عقول الناس وينهضون ضمائرهم لتقرعهم . وقد اثرت خطبة
بطرس في اولئك السامعين فايقظتهم ليسألوا : « ماذا نصنع ايها الرجال
الاخوة ؟ فقال لهم بطرس توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع
المسيح لغفران الخطايا » (ا ع ٢ : ٣٧ و ٣٨) .

ثالثاً — منحهم ان يجتروا بواهر المعجزات باسم يسوع المسيح .
وكانت اول معجزة اجتروها شفاء الاعرج من بطن امه بواسطة بطرس
ويوحنا . فأمن بالمسيح كثيرون ممن شاهدوها ، وبلغ عدد المؤمنين
خمسة آلاف نفس .

وبعد حلول الروح القدس شرع الرسل يكملون ما اوصاهم به المسيح ،
يهدبهم الروح القدس في اعمالهم كلها . وكانوا يأتون بالجماهير الغفيرة الى
حظيرة المسيح ، ويتكلمون بكلام الله بكل مجاهرة . فمن جهة وإن
ظهر الصدوقيون اعداء الداء للذين آمنوا باسم واحد قام من بين الاموات
(ا ع ٤ : ٢ و ٥ : ١٧ و ٢٣ : ٦) : ولكن من جهة اخرى فقد
اعتنق الدين المسيحي كثير من الكهنة (ا ع ٦ : ٧) والفريسيين (ا ع
١٥ : ٥) . وكانت تجري على ايدي الرسل معجزات كثيرة .

وكان الرسل والمؤمنون مواظبين على الصلاة وكسر الاوخابستيا ،
وكان لجمهور المؤمنين قلب واحد ونفس واحدة ، وكان عندهم كل شيء
مشتركا ، ولم يكن فيهم احد محتاجاً ، إذ كل الذين كانوا اصحاب حقول
او بيوت : كانوا يبيعونها ويأتون بأثمان المبيعات ويضعونها عند ارجل
الرسل ، فكان يوزع على كل واحد كما يكون له احتياج (ا ع ٤ :
٣٢ - ٣٥) .

الفصل السابع

المجامع الرسولية في اورشليم



كلما كانت تعترض سير الكنيسة مشاكل معقدة في زمن الرسل : كانوا يعقدون في اورشليم مجامع يتداولون في حلها . فكانت الكنائس كلها تسلك بحسب احكام تلك المجامع . وقد اخبرنا سفر اعمال الرسل بثلاثة منها . فالجمع الاول انعقد بعد صعود المسيح مباشرة لانتخاب رسول عوض يهوذا الاسخريوطي الذي قال عنه الكتاب « ووظيفته يأخذها آخر » (مز ١٠٩ : ١٨) ليكون مع الرسل شاهداً لقيامته المسيح . وفي هذا الجمع الذي كان مؤلفاً من ١٢٠ شخصاً ، بعد خطاب بطرس الرسول : انتخب يوسف الذي يدعى بارسابا ، ومتياس ، اللذان كانا مع الرسل كل الزمان منذ معمودية يوحنا الى اليوم الذي ارتفع ربنا يسوع . وبعد الصلاة ألقوا عليها قرعة بحسب عادة العهد القديم ف وقعت القرعة على متياس ، فحسب مع الاحد عشر رسولاً .

والجمع الثاني انعقد في السنة الثانية لصعود المسيح ، لاقامة شمامسة في الكنيسة ، وكان ذلك بعد ان تكاثرت التلاميذ ، لئلا يصير تشويش في الخدمة اليومية . فانتخب سبعة رجال ورسوموا شمامسة بوضع الايدي . وفي هذا الانتخاب نرى كل الميزات المطلوبة في انتخاب الاكليروس في الكنيسة . وذلك ان الرسل دعوا جمهور التلاميذ وقالوا لهم انتخبوا سبعة رجال منكم مشهوداً لهم ومملوئين من الروح القدس والحكمة فقيمهم على

هذه الحاجة . فاختار جمهور التلاميذ الاشخاص السبعة وأقاموهم امام الرسل . فصلى الرسل ووضعوا عليهم الايدي . وقد فرّح هذا العمل المؤمنين ، وغت بواسطته كلمة الله ، وتكاثر جداً عدد التلاميذ في اورشليم ، وأخذ اليهود مع جمهور كبير من الكهنة يطيعون الايمان .

أما المجمع الثالث فقد التأم سنة ٥١ بطلب مار بولس الرسول للبحث في امر الختان الذي اقلق المتنصرين من امم انطاكية خاصة ، وكان اكثر اهمية من المجمعين الآخرين . وذلك ان بولس الرسول لما شاهد كثيرين من الامم ينضمون الى الكنيسة ، وعلم ان قوماً من المؤمنين المرتدين عن اليهودية يعلّمون الاخوة الذين من الامم انه من الضرورة ان يحتنوا لينالوا الخلاص ، توجه مع برنابا الى اورشليم ليبسط الأمر امام الرسل ، فغعدوا مجتمعاً في اورشليم تكلم فيه اثنان من الرسل وهما يوحنا وبطرس ، وكذلك يعقوب اخو الرب اسقف اورشليم ، وحضر فيه المشايخ الذين كانوا يحبذون التقليد اليهودي . وبعد مباحثة طويلة : انتصب بطرس وقال : « ان الله لم يميز بين الامم واليهود ، إذ طهر بالايان قلوب الامم ايضاً . فلا يوضع إذاً نير ثقيل على عنق التلاميذ ، فانهم قد خلصوا جميعاً بنعمة ربنا يسوع المسيح » . وكان الجمهور يسمعون برنابا وبولس يحدثان بجميع ما صنع الله من الآيات والعجائب في الامم بواسطتهما . أما يعقوب اخو الرب فقد ضم رأيه الى رأيهم وقال : « لا يثقل على الراجعين الى الله من الأمم ، بل يرسل اليهم ان يمتنعوا من نجاسات الاصنام والزنى والمخنوق والدم » . (ا ع ١٥ :)

وفي هذا المجمع ايضاً تميز بولس وبرنابا لخدمة الامم ، وبطرس ويعقوب ويوحنا لخدمة اهل الختان (غل ٢ : ٧ - ٩) .

الفصل الثامن

القريسي بطرس الرسول



هو سمعان بن يونا من سبط نفتالي ١ . ولد في قرية بيت صيدا من اعمال الجليل ، وترعرع مزاولاً مهنة ابيه وهي صيد السمك في بحر طبرية . وكانت لغته السريانية ٢ . وربما سمع شيئاً في مدارس معلمي الناموس . قطن في اول امره كوخاً صغيراً على ساحل البحر في قرية بيت صيدا ، وبعد زواجه بيتاً فسيحاً له او لحاته في كفرناحوم . قيل انه رزق ابنة واحدة فقط . وكان له اخ اصغر منه يدعى اندراوس ٣ فتتلمذ كلاهما مع شريكيهما يعقوب ويوحنا ابني زبدي ليوحنا المعمدان . ولما شرع السيد المسيح بالانذار بالبشارة : قاد اليه سمعان بواسطة اخيه اندراوس . فلما رآه لأول وهلة قال له انت تدعى كيفا ، مشيراً بهذا الى طبعه وعمله العظيم في حقل الكنيسة في المستقبل . اما سمعان فقد توسم في المسيح من تلك اللحظة معلماً له ولكنه لم يؤمر بملازمته كتلميذ ثابت . فلم يحدث ذلك الامر تغييراً ما في عمله الظاهر ، فعاد الى كفرناحوم

(١) تفسير ابن صليبي لانجيل متى ١٠ : ٢ وتاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٩١

(٢) الظهور الالهى لاوسابيوس القيصري ٤ : ٦ وقاموس الكتاب المقدس بالانكليزية تأليف

وليم سميث طبعة ٤ ص ٧١٤ - ٧١٥

(٣) راجع في تفسير ابن صليبي لانجيل متى وفي مخزن الاسرار لابن العبري خبر تأدية الدرهمين حيث يقول الاثنان « ان ضريبة الدرهمين كانت مفروضة على الابكار ويسوع بكر وبطرس كذلك كان بكرآ . »

لمواصلة مهنته . اما دعوته الرسمية فقد جرت في بحر الجليل بقرب كفرناحوم حين فعل يسوع اعجوبة صيد السمك الكثير ودعاه ليلازمه كتميذ ثابت ، واعدآ اياه ان يجعله صيادآ للناس ، فتترك للوقت كل شيء وتبع الفادي ، وبعد مدة رفعه مع رفاقه الى رتبة الرسولية وسماه كيفا (بطرس) . ومنذ ذاك الحين درج اسم كيفا بدلاً من سمعان . وقد رأيناه مرارآ عديدة يتكلم بالنيابة عن رفاقه . بيد انه كان يصيب تارة ويخطيء طورآ . فلما سأل المسيح تلاميذه مرة قائلاً : « ماذا تقولون عني اني انا » ؟ اجابه كيفا مؤمناً بألوهيته ايماناً قوياً كما اوحى اليه الآب السماوي ، فاعطاه الطوبى جاعلاً ايمانه هذا اساساً لبيعته ^١ . ولما اعلن المسيح مرة اخرى عن آلامه وموته : انتهره كيفا قائلاً : حاشا ان يكون لك هذا ، فالتفت يسوع وقال له اذهب ورائي يا شيطان .

كان كيفا احد التلميذين اللذين ذهبا ليعدا فصحاء للمسيح ، وأحد الثلاثة الذين عاينوا احياء ابنة ياراس وتجلي المسيح وصلاته في البستان ، وأحد الأربعة الذين سمعوا نبوته عن خراب اورشليم والهيكل . وفي العشاء السري كان تائفاً ان يعرف من هو الذي سيسلم المسيح . وعند غسل الأرجل حاول جداً منعه من غسل رجله . ولما قال له انه سينكره

(١) نرى في قول المسيح لبطرس بحسب الترجمة اليونانية ، لفظتين متشابهتين لكنها ليستا معنى واحداً وهما « بطرس » و « بطرا » . « فبطرس » مذكر يعني حجراً مقطوعاً من صخرة . واما « بطرا » فهوثة تعني صخرة . وفي الترجمة السريانية الحرقلية وردت لفظتان متميزتان وهما ܡܬܪܬܐ وܡܬܪܐ اي « بطرس » و « الصخرة » . فيستنتج من قول المسيح : على هذه ال « بطرا » ابني بيعتي : انه لم يؤسس بيعته على « بطرس » . واما « بطرس » فقد وضع في بناء هذه البيعة . وقصارى القول ان البيعة لم تؤسس على شخص بطرس الرسول ، ولكن بطرس وضع مع رفاقه الرسل كحجارة في اساسها . ولذا صرح يوحنا الرسول قائلاً : « ولسور المدينة اثنا عشر اساساً ، فيها اسماء رسل الحمل الاثني عشر » (رؤ ٢١ : ١٤) . وبهذا المعنى فان كل مؤمن هو بطرس اي حجر في بناء بيعة المسيح كما شهد بطرس الرسول نفسه قائلاً : « وكونوا انتم ايضاً مبنيين كالحجارة الحية بيتاً روحياً » (١ بط ٢ : ٥) . الا ان حجر الزاوية هو المسيح كما قال الرسول « وقد بنيت على اساس الرسل والانبياء وحجر الزاوية هو المسيح يسوع » (اف ٢ : ٢٠) .

ثلاثاً قبل ان يصيح الديك مرتين : اجاب انه ولو انكره الجميع فهو لا ينكره ، ولو حدث له ان يموت معه . ولكننا نرى بعد هذا سقوطه المؤلم وإنكاره المسيح ثلاثاً^١ ، ثم ندامته العجيبة . ومن حادث صباح يوم القيامة يظهر ان كيفاً وإن سقط لم ييأس ، لانه هو ويوحنا كانا اول من اسرع الى القبر ، بل هو الذي دخله اولاً .

ان لوقا وبولس يخبراننا ان المسيح ظهر بعد قيامته لبطرس اولاً ، ولكنه يدعى باسمه الأول أي سمعان لا كيفاً . ولم يُردَّ لقبه السامي إلا بعد ايام قلائل بواسطة المسيح نفسه ، حين اعترف ثانية جهاراً بالمسيح عند بحر الجليل ، حيث لم يستطع ان يميز المسيح مثل يوحنا ، ولكنه كان الأسبق بالوصول اليه ، ثم سحب الشبكة الى الساحل . وبواسطة الاسئلة الثلاثة التي وجهها اليه المسيح لقاء إنكاره إياه ثلاثاً ، والاجوبة الثلاثة المفعمة بالحب والايان : ردّه المسيح ثانية الى رتبته ليرعى رعيته .

الفصل التاسع

اعمال القديس بطرس الرسول



بعد صعود المسيح الى السماء اخذ كيفاً يلقي شبكته في بحر العالم ويصيد الناس الى الحياة . وقد رأيناه في جميع الامور متقدماً بين اخوته . فهو الذي وقف في وسط التلاميذ وأوضح ضرورة انتخاب رسول آخر

(١) ان الرب وعد بطرس بالصلاة لأجله بناء على التجربة الخطيرة التي كان موشكاً ان يذهب ضحيتها في تلك الليلة ، لذلك صلى لأجله لثلاث « يفي » ايمانه بالكلية ، وليس لثلاث « ينقص » كزعم الغربيين . فقد خسر الايمان بجوده ، وهل يجتمع الكفر والايان على صعيد واحد ؟

عوضاً عن يهوذا الاسخريوطي . وفي عيد الغنصرة لما تزينت البيعة بحلول الروح القدس : جذب إلى الايمان بخطبته العجيبة ثلاثة آلاف نفس من قومه اليهود . وهو الذي اجترح المعجزة الاولى وهي شفاء اعرج من بطن امه كان يستعطي عند باب الهيكل الذي يدعى الجميل ، وقد اربى على الاربعين سنة . كما انه بكّت حنانيا وامراته شفيروا اللذين اتفقا على ان يكذبا على الروح القدس ، فحلّ بهما عقاب الموت حالا . وبسبب القوة الالهية التي كانت ترافقه : كان الناس يحملون المرضى خارجاً في الشوارع حتى إذا جاء نجيم ولو ظله على احد منهم فيشفيه .

وفي السنة الثانية لصعود المسيح نراه يقوم مع رفاقه برسامة الشمامسة السبعة . وفي السنة الثالثة عندما انتشرت البشارة في اليهودية والبلاد المجاورة ، وآمنت السامرة بكراسة الشماس فيلبس : اوفده الرسل مع يوحنا إلى السامرة ، فمنحنا المؤمنين الروح القدس بوضع اليد عليهم . وهناك حرم سيمون الساحر المبتدع الاول . ثم عاد إلى اورشليم مبشراً في قرى عديدة للسامريين . وبعد سنتين لما اتى بولس إلى اورشليم مكث عنده خمسة عشر يوماً . بعد هذا نراه يزور اللد ويافا وقيصرية . وفي اللد شفى مفلوجاً اسمه انياس منذ ثماني سنين ، فرجع إلى الرب بواسطة هذه الاعجوبة الباهرة جميع اهل اللد وسارون . وفي يافا احى تلميذة فاضلة تدعى طيما (غزالة) كانت مزينة بالأعمال الصالحة ، فذاعت هذه المعجزة الحارقة ايضاً في يافا كلها ، وآمن بالرب كثيرون من يافا . وفي قيصرية هدى وعمد القائد الايطالي قرنيلىوس واهل بيته وانسبائه واصدقائه الاقربين ، وذلك بوحي الهي حيث اراه الله اناء نازلاً من السماء ودعاه إلى هذا العمل الخطير . وهكذا بواسطته انفتحت ابواب ملكوت السماء امام الامم كما انفتحت بواسطته قبلاً امام اليهود . ثم توجه الى انطاكية حيث اسس كرسيه الرسولي ، وبني كنيسة ١ ، وعلم المؤمنين ان

يتجهوا نحو الشرق في الصلاة ١ ، ثم عاد الى اورشليم . وفي ربيع السنة الرابعة والاربعين طرح في سجن اورشليم بامر الملك هيرودس اغريبا (٤١ - ٤٤) فاخرجه الملاك ليلاً بمعجزة باهرة ، ثم ارتحل عن اورشليم . قال المؤرخون إنه قضى نحو سنتين في جولته هذه الرسولية ، ثم وصل الى انطاكية ٢ ثانية . وارتأى بعضهم انه في هذه الاثناء زار ايضاً مدن بنطس وغلطية وكبادوكية وبيثونيا واسيا ، المذكورة في رسالته الاولى . ثم عاد الى اورشليم .

وفي السنة الحادية والخمسين نراه في المجمع الرسولي في اورشليم حيث أفرز مع يعقوب ويوحنا لرسولية اهل الختان ، كما أفرز بولس وبرنابا لرسولية الامم (غل ٢ : ٧ - ٩) . وفي الثانية والخمسين توجه الى انطاكية الثالثة حيث وبّخه بولس الرسول لامتناعه عن مخالطة الامم عندما جاء قوم من عند يعقوب من اورشليم ، خوفاً منهم ، لكونهم من اهل الختان . ومن الثالثة والخمسين حتى الستين كان بطرس وحده في انطاكية كما تؤيد الوثائق القديمة . وفي هذه السنة غادر انطاكية في جولة رسولية . وقد اخبرنا التقليد الكنسي انه التقى ببولس رسول الامم في كورنثوس ٣ في سنة ٦٥ . وإذ بلغها نبأ الاضطهاد العنيف الذي اثاره نيرون الطاغية على المؤمنين في رومية : توجهوا اليها لتعزييتهم ، فبلغاها في اواخر هذه السنة ٤ . وفي تشرين الاول سنة ٦٦ اعتقل بطرس بعد ان اخذ سيمون الساحر الذي كان قد رحل الى رومية بعد ان حرمه . وأقام في السجن الى اليوم التاسع والعشرين من شهر حزيران سنة ٦٧ ثم صلب

(١) مقدمة تفسير ابن صليبي لانجيل مرقس .

(٢) التاريخ الكنسي لابن العبري ، مج ١

(٣) رسالة القديس ديونيسيوس اسقف كورنثوس (١٧٠ م) الى الرومانيين في اوسابيوس

٢ : ٢٥ .

(٤) الوضع الالهي في تأسيس الكنيسة للبطريك كيرلس مقار ج ٢ ص ١٤٤

منكساً رأسه بحسب رغبته ^١ .

لقد رسم القديس بطرس في انطاكية بمساعدة مار بولس : مار افوديوس نائباً عنه ، كما رسم مار اغناطيوس النوراني ايضاً . وهو الذي اسس كنائس قيصرية ^٢ وبيروت وجبيل ^٣ وصور وصيدا ^٤ وطرابلس ^٥ . ومنذ القرن الثامن اخذت كنيسة روما تحتفل بذكرى اسقفيته فيها في اليوم الثامن عشر من شهر كانون الثاني ^٦ .

وترك القديس بطرس للكنيسة رسالتين بعث بهما الى المدين الحس الآنفة الذكر تأييداً للمؤمنين الذين بشرهم هناك . فالاولى انفذها قبل سنة ٥٠ من اورشليم التي سماها بابل مجازاً مشيراً الى موهبة اللسان التي منحت في عليتها الشهيرة بواسطة حلول الروح القدس يوم العنصرة كما يؤيد آباء الكنيسة ^٧ . اما الثانية فيُظن أنها أنفذت من رومية بين سنتي ٦٥ - ٦٧ . قيل ان انجيل مرقس ايضاً كتب تحت اشرافه ، لذلك لم يذكر ثناء المسيح عليه ، بل تكلم بوضوح عن سقوطه وانكاره المسيح .

(١) من الغريب العجيب ان يلتقي الرسولان في روما زمناً ولا يشير احدهما عن الثاني في رسائله الى الكنائس ، ولا سيما بولس الذي اثبت في رسائله حتى الامور الخصوصية البسيطة فكيف يغفل عن ذكر مقدم الرسل وهو صحبته مساء وصباحاً ؟

(٢) الظهور الالهى لاوساويوس ٤ : ٦ .

(٣) تاريخ سوريا تأليف المطران يوسف الدبس مج ٣ ص ٥٥٤

(٤) بطريركية انطاكية تأليف الدكتور نيل ص ٥

(٥) الشرق المسيحي تأليف ليكيان الفرنسي مج ٣ ص ٤٨٢١

(٦) دائرة المعارف البريطانية بالانكليزية طبعة تاسعة مج ١٨ ص ٦٩٦

(٧) مار افرام في مدراسه عن العنصرة ، ومار يعقوب السروجي في ميمره عن هذا العيد ،

وابن صليبي في تفسيره رسالة بطرس الاولى ٥ : ١٣ وابن العبري في مخزن الاسرار في تفسيره هذه الآية

الفصل العاشر

الرسل اندراوس ويعقوب ويوحنا

•

أندراوس

هو اخو بطرس ، ولد في بيت صيدا ، وتعلم ليوحنا المعمدان ، ولما سمعه مرتين يقول عن يسوع « هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم » تبعه مع تلميذ آخر ومكث عنده ذلك اليوم معجباً بأقواله واعماله ، مؤمناً بأنه حقاً ماسيا المنتظر كما صرح بعدئذ لاختيه سمعان وجاء به اليه . وفي اليوم التالي رافق المعلم الجديد الى عرس قانا الجليل ثم عاد يزاول عمله الاول حتى دعاه يسوع من بحر الجليل بالمعنى الكامل . كان الرابع بين الرسل ، كما ذكره في جدول اسمائهم مرقس وسفر الاعمال ، اي بعد بطرس ويعقوب ويوحنا وبجانب فيلبس . يؤيد هذا ما جاء في إنجيل مرقس « ان بطرس ويعقوب ويوحنا واندراوس » يسألون يسوع على انفراد عن مجيئه الثاني (مر ١٣ : ٣) ، وفي انجيل يوحنا انه لما أراد قوم من الامم ان يروا يسوع ، تقدموا الى فيلبس وهذا بدوره استشار اندراوس ثم عرض ذلك اندراوس وفيلبس على يسوع (يو ١٢ : ٢٢) . ولما اراد يسوع إشباع الخمسة آلاف رجل في البرية : قال لفيلبس من اين نبتاع خبزا لياكل هؤلاء ؟ اجاب اندراوس هنا غلام معه خمسة ارغفة شعير وسمكتان (يو ٦ : ٥ - ٩) بشر في سيكيثية^١ وآسيا الصغرى وتراقيا وكبادوكية وغلاطية

(١) اوسايبوس ٣ : ١ .

وبيثونيا حول البحر الاسود واخائيا ١ ، وُصِّل في مدينة باتراس ،
وبعد مدة نقل رفاته الى القسطنطينية ٢ . اما الصليب الذي عُلق عليه
فكان بالشكل الذي يدعى Crux decussata (×) ويعرف حتى اليوم
بصليب القديس اندراوس ٢ .

يعقوب الكبير

هو ابن زبدى وسالومي ، من سبط زبولون ٣ . نشأ مع اخيه يوحنا
عند ساحل بحر الجليل ، في حالة لا بأس بها كما يُستنتج من ذكر الانجيليين
أجرى ابيهما (مر ١ : ٢٠) ومال امهما (لو ٨ : ٣) ومت ٢٧ : ٥٥
و ٥٦) وبيت يوحنا (يو ١٩ : ٢٧) .
قد يمكن ان يكون يعقوب تلميذ يوحنا المعمدان ، كما كان اخوه
وشريكاهما سمعان واندراوس . غير اننا نسمع عنه لأول وهلة في ربيع
او صيف سنة ٢٧ يغسل الشباك في بحر الجليل مع ابيه واخيه ، فدعاه
يسوع مع اخيه للتملذ له بعد ان دعا شريكيهما ، فتركا كل شيء وتبعاه .
كان يعقوب اكبر من يوحنا سنّاً ، والثاني بين الرسل . ولما منح
يسوع الاثني عشر رتبة الرسولية : جعل ليعقوب ويوحنا اسم بوانرجس
(مر ٣ : ١٧) وهو مركب من لفظتين سريانيتين هما ~~حرف~~ اي بنو
الرعد ، مشيراً بذلك إلى طبعهما الناري وغيرتهما الوقادة وروحيهما الملتهبين .
يؤيد هذا حادثان وردا في الانجيل ، جرى الاول في بدء انطلاق يسوع
الى اورشليم في سنة ٢٩ حيث لم يقبله اهل قرية السامريين ، فقال له
يعقوب ويوحنا أتريد ان تنزل نار من السماء فتقنيهم كما فعل

(١) قاموس الكتاب المقدس تأليف وليم سيث بالانكليزية طبعة رابعة ص ٤٤ نقلا عن
ايرونيمس وثاودوريط ونيكوفورس .

(٢) دائرة المعارف البريطانية بالانكليزية طبعة تاسعة مج ٢ ص ٢٠ .

(٣) ابن صليبي في تفسير انجيل متى ١٠ : ٣ وتاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٩٢ .

ايليا (لو ٩ : ٥١ - ٥٤) ، والثاني بعد الاول بثلاثة اشهر أي في نهاية هذه الزيارة ، حيث تقدم اليه الرسولان قائلين اعطنا ان نجلس واحد عن يمينك والآخر عن يسارك في مجدك (مر ١٠ : ٣٥ - ٣٨) .

كان يعقوب احد الثلاثة الذين اذن لهم يسوع معاينة احياء ابنة ياراس في خريف سنة ٢٨ وتجليه في ربيع سنة ٢٩ وصلاته في البستان في ربيع سنة ٣٠ ، وأحد الاربعة الذين سمعوا نبوته عن خراب اورشليم والهيكمل . كرز بالانجيل في اليهودية والسامرة ، ولغيرته الوثابة على نشر الايمان كعضو فعال في الكنيسة اتقد عليه غضب اليهود فشكوه الى هيرودس اغريفا الأول ابن اريسطوبوليس الذي قطع رأسه بالسيف ارضاء لهم سنة ٤٤ قبل عيد الفصح بمدة وجيزة . وهو الرسول الوحيد الذي نستطيع ان نسجل نوع موته بالضبط (ا ع ١٢ : ١ و ٢) . وبعد مدة نقل رفاتة الى اسبانيا حيث دفن في كومبوستيلا باكرام جليل^١ .

قال اقليميس الاسكندري ان الجندي الذي ساقه الى المحكمة لما سمع شهادته : حركت الثعمة قلبه فاعترف جهراً بانه مسيحي ، فسيق كلاهما الى المجزرة . وفي الطريق طلب من الرسول ان يغفر له ، فاعطاه السلام قائلاً : لقد خلصت يا بني وغفرت لك خطيتك ، وقبّله ، ثم نالا اكليل الشهادة^٢

يوحنا

هو اخو يعقوب الكبير ، ولد في بيت صيدا ، وتلمذ ليوحنا المعمدان ، ثم تبع يسوع المعلم الجديد مع اندراوس ، ورافقه الى عرس قانا الجليل فكفرناحوم فاورشليم ثم عاد لمزاولة عمله السابق حتى دعاه يسوع ثانية من بحر الجليل .

(١) دائرة المعارف البريطانية مج ١٣ ص ٥٥٢

(٢) اوسابيوس ٢ : ٩

كان الثالث بين الرسل ، وأحد الثلاثة الذين عاينوا إحياء ابنة ييراس وتجلي يسوع وصلاته في البستان ، وأحد الاربعة الذين سمعوا نبوته عن خراب اورشليم والهيكل ، وأحد الاثنين اللذين اعدّا له الفصح وتبعاه حين أُسلم ، واللذين اليهما أسرع مريم المجدلية بعد قيامته حاملة نبأ فراغ قبره ، فأسرعا كلاهما الى القبر وسبق يوحنا سمعان وتطلع الى القبر ولم يدخل حتى جاء سمعان ودخل . وبعد الغداء على ساحل بحر طبرية ، تبعه يسوع ، ولم يكتف سمعان ان يعرف مستقبله بل مستقبل يوحنا ايضاً ، الامر الذي يدل على المحبة الكامنة في ضلوعها لبعضها . وبعد حلول الروح القدس دخلاً معاً الى الهيكل للصلاة ، وحوكاً امام رؤساء اليهود وشيوخهم وحنان رئيس الكهنة وقيافا ، وكلاهما أُرسلا من قبل الرسل الى السامرة التي آمنت ليعمها اهلها الروح القدس .

كان يوحنا يحب معلمه الالهي ومحبباً منه ، لذلك رأيناه مرة يقول له « يا معلم رأينا واحداً يخرج شياطين باسمك وهو ليس يتبعنا فمنعناه » واخرى يتكلم على صدره ويسأله « من هو الذي سيسلمك ؟ » ولحبه هذه العميقة تلهّف ان يرى بل يشترك بكل احزان يوم الصلب وآلامه . وللمعرفة الخاصة التي بينه وبين قيافا رئيس الكهنة استطاع ان يدخل مع يسوع الى دار حنّان ، ويدخل سمعان ايضاً . ثم دخل معه الى بيت قيافا والى دار الولاية ، واخيراً تبعه مع امه ومريم العذراء واختها ومريم المجدلية الى الجلجلة ، حيث أسند اليه ذلك المعلم الذي كان كأخ له : واجب الاخوة ، وجعله ابناً للام التي تركها وحيدة واستودعه اياها . « فأخذها من تلك الساعة الى خاصته » ، الى بيته في اورشليم ، معنيا بها غاية الاعتناء حتى انتقلت الى الفردوس نفساً وجسداً .

في سنة ٥١ تميّز مع بطرس ويعقوب اخي الرب لرسولية اهل الختان ، فقال عنهم بولس « المعتبرون انهم اعمدة » (غل ٢ : ٩) . وبشّر في

انطاكية^١ وافسس وآسيا الصغرى واسس كنائس برغامس وثياتيرا وفيلادلفيا
ولاودكية^٢ وازمير . وبعد سنة ٧٠ كتب رسالتيه الثانية والثالثة^٣ .
ولما اثار دوميتيانوس الاضطهاد الثاني سنة ٩٥ أرسل مكبلاً الى رومية
حيث وُضع في خلقين زيت مغلي . وإذ لم يُصب باذى نُفي الى جزيرة
بطمس حيث تجلت عليه مناظر الرؤيا وأُرحي اليه بكتابتها سنة ٩٦ .
وبعد سنة زال الاضطهاد بموت دوميتيانوس ، فعاد الى افسس يفتقد
الكنائس ، مبشراً ، ومقيماً كهنة واساقفة ، ومنشئاً كنائس^٤ . وفي سنة
٩٨ كتب انجيله في افسس تثبيتاً للمؤمنين وتقنيداً لآراء بعض الهرطقة
الذين انكروا لاهوت المسيح ولا سيما كيرينتوس ، وحلّق في سماء اللاهوت
كما اشار اليه النسر في المركبة النارية التي رآها حزقيال النبي . وفيها
كتب رسالته الاولى .

كان يوحنا رسول المحبة وأكمل بالعمل معنى المحبة . فقد أحب
وأحب وعلم المحبة . وعاش حتى سنة ١٠٠ م ، ثم توفي بسلام بين
المؤمنين .

(١) ميمر مار يعقوب السروجي في تبشير انطاكية ، وشهادة ابن صايي في تاريخ مار ميخائيل
الكبير ص ٩٢ .

(٢) مرشد الطالبين ص ٢١٧ .

(٣) فيه ص ٣٤٠ .

(٤) اوسابيوس ٣ : ٢٣ نقلاً عن اقليميس الاسكندري .

الفصل الحادي عشر

بقية الرسل

فيلبس

من سبط اشير^١ ، ولد في بيت صيدا ، وتزوج ورزق ثلاث بنات ،
تزوجت احدهن ، والأخريان شاختا في البتولية وتوفيتا في افسس^٢
واظب منذ نعومة اظفاره على قراءة الاسفار النبوية ومنها ادرك قرب
زمن مجيء المسيح المنتظر . لذلك لما خرج يسوع الى الجليل ووجده في
بيت عنيا ودعاه : عرفه حالاً وتلمذ له . ولقظة « وجده » (يو ١ : ٤٣)
تحمل معنى سبق البحث عنه . ولا شك ان عبارة « اتبعني » قيلت له
بالمعنى الكامل قبل غيره من الرسل . ثم بشر ثثنائيل من قانا الجليل
بيسوع الناصري .

كان خامساً بين الرسل . واليه وجه يسوع سؤاله حين اراد اشباع
الخمسة آلاف رجل في البرية : « من اين نبتاع خبزاً لياكل هؤلاء » ؟
واليه تقدم قوم من الامم يريدون ان يروا يسوع ، فاستشار بذلك
اندرائوس ، وكلاهما اخبرا به يسوع . وفي فرصة اخرى نسمعه يقول
ليسوع « يا سيد أرنا الآب وكفانا » . ويرجح بعضهم انه احد التلاميذ
الذين كانا مع بعض التلاميذ في بحر طبرية بعد قيامة يسوع .

بشر في بلاد فارس وآسيا الصغرى وفريجية وهيرابوليس^٣ حيث صلب

(١) ابن صليبي (بفتح اللام) في تفسير انجيل متى ١٠ : ٣ وتاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٩٢ .

(٢) رسالة بوليكرتس اسقف افسس (١٩٦ م) الى فيكتور اسقف رومية في

اوسابيوس ٣ : ٣١ و ٥ : ٢٤ .

حوالي سنة ٨٤ . عيّدت له الكنيسة الغربية في اول ايار مع يعقوب الصغير حتى القرن السادس ، اما الكنيسة الشرقية فتعيّد له في ١٤ تشرين الثاني^١

برثلماوس

أجمع المؤرخون على انه نثنائيل الذي بشره فيلبس يسوع الناصري ، فأجابه « أمن الناصرة يمكن ان يكون شيء صالح » ؟ ولما رآه يسوع اعلن سلامة نيته التي كان اسمه « نثنائيل » مرادفاً لها ، قائلاً : « هوذا إسرائيل حقاً لا غش فيه » .

كان من قانا الجليل ، وسادساً بين الرسل ، وأحد الذين ذهبوا ليتصيدوا في بحر طبرية بعد قيامة المسيح . بشر في بلاد اليمن^٢ ، حيث ترك لليهود المتنصرين نسخة من انجيل متى باللغة العبرية اي السريانية الفلسطينية ، وجدها عندهم بنتينس الفيلسوف الاسكندري حوالي سنة ١٨٠^٣ . وُصِّل في ألبانوبوليس باريمنيا^٤ وعيدت له الكنيسة الشرقية في ٢ اذار و ٢١ نيسان ، والغربية في ٢٤ آب

مقي

هو مقي بن حلفى وسمي لاوي ايضاً (مت ٩: ٩ ومر ٢: ١٤ ولو ٥: ٢٧) من سبط يساكر^٥ . ولد في الناصرة ، وصار عشاراً يجبي الخراج للدولة الرومانية في كفرناحوم ونواحيها ، يربح بذلك اموالا كثيرة . ولما خرج يسوع مرة إلى بحر الجليل رآه جالساً عند مكان الجباية فقال له اتبعني ، فتترك كل شيء وتبعه ، وصنع له ضيافة كبيرة في بيته .

(١) دائرة المعارف البريطانية مج ١٨ ص ٧٤٢ وكندار ابن خيرون .

(٢) دائرة المعارف البريطانية مج ٣ ص ٤٠٣ وقاموس الكتاب المقدس تأليف وليم سميث ص ٩٧

(٣) اوسابيوس ٥ : ١٠

(٥) ابن صليبي في تفسير انجيل متى ١٠ : ٣ وتاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٩٢

نادى بالانجيل اولاً في اليهودية ، ولما اراد مغادرتها كتب انجيله بين سنتي ٣٩ و ٤٣ اجابة الى رغبة اليهود المتنصرين وذلك باللغة العبرية ^١ اي السريانية الفلسطينية لغة اليهود عصرئذٍ وقد افتتح انجيله بنسب المسيح كما اشارت اليه صورة « الانسان » في مركبة حزقيال . ثم بشر في بلاد المقدونيين والبارثيين والماديين والفرس ^٢ وسلبين . قيل انه استشهد في نضبار من بلاد كوش بطعنة رمح سنة ٦٢ ^٣ ، غير ان ترتليانوس واقليميس الاسكندري والعلامة اوريجانس يقولون انه مات موتاً طبيعياً ^٤ . ويحتفل بعيده كشهيد في الكنيسة اليونانية في ١٦ تشرين الثاني وفي الغربية في ٢١ ايلول ^٥ . وورد خبر استشهاده في صلوات الكنيسة الحبشية ايضاً التي ذكرت ان رفاته نقل الى ساليرنو Salerno حيث لم يزل في الكنيسة التي شيدها روبرت كويسكارد Robert Guiscard ^٦ .

وقد توشح بروح التواضع ، ولم يأنف من ذكره عن نفسه انه عشار حتى في تعداد اسماء الرسل ، مع ان هذه الوظيفة كانت محتقرة عند اليهود . وصار مثلاً يحتذى للتواضع وللزهد في الدنيا وشهواتها وغناها ، واتباع يسوع وحده .

توما

هو يهوذا ^٧ من بلاد الجليل ، دعي بالسريانية توما ومعناه « التوأم » كما ترجمه يوحنا الانجيلي (١١ : ١٦ و ٢١ : ٢) لانه ولد واخاه

(١) اوسابيوس ٣ : ٢٤

(٢) قاموس الكتاب المقدس المذكور ص ٥٢٧ .

(٣) مرشد الطالين ص ٢١٦

(٤) دائرة المعارف البريطانية مج ١٥ ص ٦٣٣ نقلاً عن ستروماتيس اقليميس ٤ : ٩

(٥) كلندار ابن خيرون في ١٧ تشرين الثاني و ١١ ايلول

(٧) اوسابيوس ١ : ١٣

ادى احد السبعين توأمين^١ . كان السابع بين الرسل^٢ . وقد ذكره يوحنا في ثلاثة حوادث ، برهنت على انه كان من جهة رجلاً وضعياً واقعياً لا ينفذ الايمان الى قلبه إلا بصعوبة ، وعند صعب الامور يستسلم للنأس . ومن جهة اخرى كان كله محبة خالصة لمعلمه ومستعداً ابداً ان يموت معه . فحين صمم يسوع على مجابهة الأخطار التي كانت تنتظره في اليهودية في انطلاقه الى بيت عنيا ليقم لعازر ، قال توما للتلاميذ رفقاءه « لنذهب نحن ايضاً لكي نموت معه » . وفي اثناء العشاء السري ، لما سمع يسوع يكلمهم عن انفصاله عنهم ، وانهم سيسيرون وراءه واليه ، قال له « يا رب لا ندري اين تذهب فكيف نعرف الطريق ؟ » وعندما اخبره رفقاؤه ان معلمهم قام من بين الاموات وظهر لهم ، اجاب جازماً انه لا يؤمن إن لم يبصر في يديه اثر المسامير ويضع يده في جنبه . وبعد ثمانية ايام جاء يسوع ثانية ودعا ليرضع يده في جنبه ، قائلاً لا تكن غير مؤمن بل مؤمناً ، فوضع وآمن .

وبعد قيامة المسيح رافق بعض التلاميذ للتصيد في بحر طبرية .
بشر اولاً في اليهودية وبعث باخيه أدى الى الرها^٣ ، ثم توجه الى المشرق حيث دعا الى الايمان شعوباً مختلفة ، برثيين^٤ وماديين وفُرسا وغيرهم ، كما بشر الحامية الفارسية المجوسية التي كانت في تكريت^٥ ، وختم اعماله التبشيرية في الهند على عهد ملكها كوندفر البرتي^٦ وبينما كان يجوب الهند المتراصة الاطراف تحت علم الصليب ، مغامراً بحياته ، إذا به يسمع في اعماق نفسه صوت معلمه الالهي يقول له : ها انت تغادر الهند

(١) انظر كتابنا تاريخ الكنيسة السريانية الهندية ص ١٤

(٢) ميامر مار يعقوب السروجي مج ٣ ص ٧٣٩

(٣) اوسابيوس ١ : ١٣

(٤) اوسابيوس ٣ : ١

(٥) التاريخ الكنسي لابن العبري في ترجمة مار توما

(٦) انظر كتابنا تاريخ الكنيسة السريانية الهندية ص ١٦-١٨

لتزوّد عينيك بالنظرة الاخيرة الى الأم التي حبلت بي وولدتني بالجسد ، ثم خطفه الروح القدس الى اورشليم ، وقبل ان يدخلها رأى مأتماً علوياً مجيداً ، العذراء والدة الاله تنتقل إلى العلاء نفساً وجسداً ، والملائكة وأرواح الابرار يواكبونها ساجدين . فشك كعادته ثم صدق حين رأى نطاقها الشريف يهبط من علٍ ويسقط بين يديه . ثم عاد به الى الهند ١ لمواصلة جهاده المثمر وحوالي سنة ٧٥ هجم عليه كهّان الوثنيين في ميلابور وسلخوا جلده وهو حي ثم طعنوه بالرماح في جنبه الأيمن ، وذلك في اليوم الثامن عشر من كانون الاول ، وفي ٢١ منه طارت روحه النقية الى الحذور العلوية ، وفي ٣ تموز سنة ٣٩٤ نقل رفاته الطاهر الى الرها فبلغها في ٢٢ آب وبني على اسمه كنيسة فاخرة ٢ .

يعقوب بن حلفى

من سبط منسى ، وكان عشاراً قبل دعوته ٣ بشر في غزة وصور وبلاد العرب والرقّة وقرقيسيون وسروج ، ومصر حيث صُلب .

سمعان القانوني او الغيور

من قانا الجليل ومن سبط افرايم ٤ . وقد سماه متى ١٠: ٤٤ ومرقس ٣: ١٨ « القانوني » ولوقا ٦: ١٥ والاعمال ١: ١٣ « الغيور » . وكلا الاسمين يدلان على انه كان من فرقة الغيورين الذين عرفوا بتمسكهم الشديد بالطقوس الموسوية ٥ . بشر في سوريا وحلب ومنبج وقلوديا وبني كنيسة في قورس ٦ والرقّة وقرقيسيون وسروج ، ومصر وبلاد فارس واستشهد .

(١) انظر هنا ص ٤٠ و ٤١

(٢) تاريخ الكنيسة السريانية الهندية ص ١٨ - ٢٠

(٣ و ٤ و ٦) ابن صليبي في تفسير متى ١٠: ٤٣ وتاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٩٢

(٥) قاموس الكتاب المقدس لوليم سميث ص ٨٨٣

يهوذا بن يعقوب

من سبط شمعون ، ولحكمته دعي لبائوس وتداوس^١ مت ١٠: ٣
مر ١٨: ٣ . وسمي في لوقا ٦: ١٦ والأعمال ١: ١٣ ابن يعقوب ، وفي
يوحنا ١٤: ٢٢ يهوذا ليس الاسخريوطي . وقد اختلف المترجمون القدماء
في عبارة « يوذاس ياقوبوس اليونانية . فقد ترجمها بعضهم « يهوذا اخا
يعقوب » والبعض الآخر « يهوذا بن يعقوب » كما في الترجمة السريانية .
والصحيح ان هذا الرسول هو ابن يعقوب ، أما كاتب الرسالة الواردة في
العهد الجديد فهو يهوذا اخو يعقوب اخي الرب كما ذكرته الترجمة
السريانية ايضاً .

بشر في سوريا وما بين النهرين وفي الرقة وقرقيسبون وسروج وبلاد
فارس ورجم في جزيرة ارواد وقيل بل صلب في بيروت .

متياس

من سبط راوبين^٢ . تتلمذ ليسوع فجعله احد السبعين . وبعد صعوده
كان احد المئة والعشرين الذين اجتمعوا في العليسة منتظرين حلول
الروح القدس . فقام بطرس في وسطهم وبين ضرورة انتخاب رسول
عوض يهوذا الاسخريوطي الذي سقط من رتبته كقول الكتاب (مز
١٠٩ : ٨) ليصير شاهداً بقيامة المسيح . فقاموا متياس ويوسف الذي
يدعى بارسابا الملقب بوسطس اللذين كانا مع يسوع منذ معمودية يوحنا
الى يوم ارتفاعه . ثم القوا قرعتهم فوقعت على متياس فحسب مع الاحد
عشر رسولاً (اع ١ : ١٥ - ٢٦) بشر في اليهودية والسامرة وادوم
وكبدوكية وبلاد كوش ، ورجمه اليهود وحزوا رأسه .

(١) ابن صليبي في تفسير متى ١٠ : ٣ وتاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٩٢

(٢) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٩٢ نقلاً عن ابن صليبي .

الفصل الثاني عشر

القديس بولس الرسول



كان عبرانياً فريسياً من سبط بنيامين ومن رعية الدولة الرومانية
الاحرار . ولد في طرسوس كيليكية ، وسمي شاول بالسريانية والعبرانية .
وكانت له اخت واحدة . وكان ابوه ثرياً من سراة القوم ، فاهتم بتثقيفه
في جامعة طرسوس العبرية حيث اتقن اللغتين العبرية واليونانية ، وتلقى
الفلسفة وغيرها من العلوم العالية . ولما اتم دروسه توجه الى اورشليم حيث
تعمق في الفقه الموسوي عند غملاثل اشهر معلمي الناموس وصار معلماً
بالناموس ، ودرس اللغة الرومانية . ولما كان على جانب كبير من
الذكاء والفطنة والعلم والنباهة عُيِّن عضواً في السنهدريم مجلس الأمة الأعلى
وهو في الثامنة والعشرين من عمره .

كان اوفر غيره من اترابه على الشريعة الموسوية والتقاليد اليهودية ، فاضطهد
الكنيسة بافراط ، وشاهد رجم القديس اسطفانس وحرس ثياب
راجيه . ثم انتخب قائداً لمضطهدي المؤمنين في دمشق ، فتوجه اليها
حاملاً رسائل من رؤساء الكهنة ليوثقهم ويسوقهم الى اورشليم . ولما
قارب ان يدخل المدينة ابرق حوله نور من السماء فسقط على الارض اعمى
البصر وسمع صوت يسوع يبكته على اضطهاده اياه ، ودعاه ليصير بطلاً له .
فآمن به ثم دخل المدينة اعمى حيث عمده اسقفها حنانيا وفتح عينيه . ثم
انطلق الى العربية . ثم رجع الى دمشق يبشر ، وبعد ثلاث سنين حاول

اليهود قتله ، فهرب الى اورشليم حيث تعرف بواسطة برنابا على بطرس ويعقرب وغيرهما ومكث خمسة عشر يوماً ، ثم توجه الى قيصرية وطرسوس . ومن سنة ٣٩ حتى ٤٣ كان يبشر في سوريا وكيليكية . قال بعضهم انه دعي « بولس » باليونانية لما خرج الى العالم الروماني لأول مرة ، وارتأى آخرون انه منح هذا الاسم حين نال رتبة الاسقفية .

وفي سنة ٤٤ طلبه برنابا في طرسوس وجاء به الى انطاكية حيث اجتمعا في الكنيسة سنة كاملة وعلما جمعاً غفيراً ، وفيها دعي التلاميذ مسيحيين اولاً . وفي سنة ٤٥ حمل وبرنابا صدقات مؤمني انطاكية الى المشايخ في اورشليم ثم رجعا الى انطاكية حاملين خبر موت هيروودس . وهناك كان المبشرون والأنبياء والمعلمون يخدمون الرب ويصلون وسموهم اسقفين بأمر الروح القدس . وفي سنة ٤٨ غادرا انطاكية في جولة تبشيرية . وبعد زيارتهما قبرس وفريجية وبمفيلية وانطاكية وبيسيدية وايقونية ولوسطرة ودربا : عادا في اواخر سنة ٥٠ وعلما ان خلافاً شجر بين اليهود والامم من جهة الختان وحفظ الشريعة الموسوية فقصدا الرسل والمشايع في اورشليم حيث درست هذه الامور سنة ٥١ في الجمع الرسولي . وفي هذا الجمع افرز بولس وبرنابا لخدمة الامم وبطرس ويعقوب ويوحنا لرسولية اهل الختان . وبعد ارفضاض الجمع عاد بولس وبرنابا ويهوذا وشيلا الى انطاكية . وفي سنة ٥٢ جاء اليها بطرس ايضاً فوجّه بولس لريائه . وفي هذه السنة اصطحب بولس شيلا وطيماتاوس وزار كيليكية ودربا ولوسطرة وفريجية وغلاطية وترواس وفيلبي وتسالونيكي وبيريا واثينا وكورنثوس . وفي كورنثوس كتب رسالتيه الى تسالونيكي في سنتي ٥٢ و ٥٣ وفي ربيع سنة ٥٤ عاد الى اورشليم مجتازاً بكنخريه وافسس وقيصرية فبلغها في الصيف يوم عيد العنصرة ثم غادرها الى انطاكية . وفي الخريف قام برحلته التبشيرية الثالثة متوجهاً الى افسس ،

مجتازاً بغلاطية وفريجية . وفي ربيع سنة ٥٧ انفذ من افسس رسالته الاولى الى كورنثس . وفي الصيف غادرها الى مقدونية حيث كتب في الحريف رسالته الثانية الى كورنثس . وفي الشتاء توجه اليها وفيها كتب سنة ٥٨ رسالته الى غلاطية ورومية . ثم توجه الى اورشليم مجتازاً بفيلبي ، ترواس ، ميليطس ، صور ، عكا ، وقيصرية ، فبلغها في الصيف قبل عيد الغنصرة ، ولما رآه اليهود في الهيكل تجمهروا عليه وكادوا يفتكون به لولا انقذه امير الكتيبة من ايديهم . فحوكم امام حنانيا رئيس الكهنة ثم سيق الى قيصرية وهكذا قضى سنتين في سجن اورشليم وقيصرية . وفي آب سنة ٦٠ ارسله فستوس الوالي الى رومية إجابة الى رغبته للمرافعة امام القيصر . وفي ربيع سنة ٦١ بلغ رومية وكان ذلك بمشيئة الله الذي قال له « تشجع فكما شهدت لي في اورشليم كذلك ستشهد لي في رومية » (اع ٢٣ : ١١) واقام سنتين كاملتين في بيت استأجره لنفسه وكان يقبل جميع الذين يدخلون اليه مبشراً بإيهم بالمسيح . وهو اول رسول دخل رومية . وفي ربيع سنة ٦٢ كتب رسائله الى فيليمون وكولوسي وافسس . وفي ربيع سنة ٦٣ كتب رسالته الى فيليبي . ثم أطلق سراحه ، وبعد ان كتب رسالته الى العبرانيين غادر رومية الى مقدونية وآسيا الصغرى . وفي مقدونية كتب سنة ٦٤ رسالته الاولى الى طيماتاوس ورسالته الى تيطس . وفي سنة ٦٥ يُظن انه توجه الى اسبانيا وبريطانيا وكورنثس ، وفيها بلغه خبر اضطهاد نيرون لمسيحي رومية فتوجه اليها ليشجع المؤمنين على اقتحام الضيقات ، فطرحه نيرون في السجن . وفي هذه السنة كتب من سجنه رسالته الثانية الى طيماتاوس وهي آخر رسائله ، وفيها يتلفه للخروج من هذه الحياة . وفي صيف سنة ٦٧ امر نيرون بقطع رأسه ، بعد ان ترك للكنيسة اربع عشرة رسالة جليمة .

ولئن لم يرَ المسيح في اثناء سياسته الارضية لكنه تراءى له وامره ان يحمل مشعل الانجيل الى الامم ، معلناً له السر الذي كان مكتوماً منذ الدهور والاجيال ، وهو ان الامم ايضاً شركاء في المسيح . هذا هو مفتاح دعوة الرسول ، أي انه رسول الامم لا من الناس ولا بانسان بل بيسوع المسيح ، وان جميع الامم يجب ان يطيعوا الايمان بواسطته .

لقد اسس الرسول كنائس كثيرة واقام لها قسوساً واساقفة واشهر اولئك الاساقفة هم : طيماتاوس اسقف افسس ، تيطس اسقف جزيرة كريت ، لوقا الانجيلي ، وديونيسيوس الاريبوغي . واتخذ له تلاميذ كثيرين عاونوه بنشر البشارة محتملين كثيراً من الضيقات في سبيل ذلك ، اشهرهم : شيلا ، يهوذا ، بارسابا ، افراس ، افروديطس ، يوحنا مرقس اكويلاس ، ابولو والشهيدة تقلا . ولكي لا يتقل على الحديثي الايمان كان يشتغل بنسج الحيام . وقد استحق ان يخطف الى السماء الثالثة والفردوس ويسمع كلمات لا يُنطق بها ولا يسوغ لانسان ان يتكلم بها ، واجرى الله على يديه عجائب كثيرة حتى ان المؤمنين كانوا يضعون ثيابه البالية على المرضى فينالون الشفاء . واعترضته اخطار وضيقات كثيرة من اليهود والتجار الجشعين واللصوص والاخوة الكذبة . فقد جلده اليهود خمس مرات تسعاً وثلاثين جلدة ، وضرب ثلاث مرات بالعصي ، ورجم مرة ، وانكسرت به السفينة ثلاث مرات ، وغير ذلك من التعب والكد والجوع والعطش والبرد والعري . واخيراً نال اكليل الشهادة .

الفصل الثالث عشر

البشيران مرقس ولوقا

مرقس

ولد في ايرنبولا من اعمال بنتابوليس (المدن الخمس) شمالي افريقيا ، واعتنق المسيحية بواسطة بطرس الرسول وتلمذ له لذلك دعاه ابنه (١ بط ٥ : ١٣) واصطحبه في جولانه التبشيرية . وبمراقبته وارشاده كتب انجيله سنة ٦١ ، فلم يذكر مدح السيد المسيح لبطرس على اقراره الصحيح بالوهته كما فعل متى ، بل صرح بتوبيخ المسيح العنيف له ذاكرًا ذنبه بانكاره المخلص .

وقد كتب هذا الانجيل لنفع المؤمنين من الامم ، ولذلك تجنب ذكر العادات اليهودية والاقتباس من اسفار العهد القديم بقدر ما يمكن . وافتتحه بعبارات ملؤها الجرأة والاقدام كما اشارت اليه صورة « الاسد » في مركبة حزقيال .

في سنة ٦١ بعث به بطرس الى الاسكندرية عاصمة البلاد المصرية ليبشر فيها ، فركز اولاً في ليبيا وموريسكا وبنتابوليس وهدى خلقاً كثيراً ثم جاء الاسكندرية ، حيث تلمذ اولاً اسكافا اسمه انيانوس واهل بيته وعمدهم . وسنة ٦٤ جمع المؤمنين ورسم لهم انيانوس اسقفًا مع ثلاثة كهنة وسبعة شمامسة ، وغادر الاسكندرية لتفقد المؤمنين في البلاد التي كرز فيها اولاً ، واخيراً صحب طيماتاوس الى رومية حيث اقاما مع الرسولين بطرس وبولس حتى استشهادهما . وقد مدحه بولس قائلاً : « انه نافع

للخدمة » (٢ تي ٤ : ١١) . ثم عاد الى الاسكندرية فرأى الكنيسة
نامية بجهود انيانوس ، ثم اضطهده الوثنيون في عيد إله لهم يسمى سيرابيس
ومات شهيداً من آلام العذابات الشديدة سنة ٦٨ ودفن المؤمنون جثمانه
الطاهر باكرام جزيل . ويعتبر مؤسس الكرسي الاسكندري . وينسب اليه
ايضاً تأسيس مدرسة دينية في الاسكندرية .

لوقا

ولد في انطاكية ، وكان يهودياً دخيلاً . درس اليونانية والفلسفة
والطب وفن الرسم . اهتمدى بواسطة بولس الرسول وصار له تلميذاً اميناً ،
ورسمه اسقفاً ، وصحبه في كل جولاته التبشيرية وضيقاته واضطهاداته
الشديدة بعد سنة ٥٣ . فكان يخدمه في سجنه الاول برومية ، وفي سجنه
الثاني ايضاً ، حين تركه جميع اصحابه من جراء الشدة إلاه .
في سنة ٦٣ ، كتب انجيله بمراقبة بولس الرسول وإرشاده ، إجابة الى
طلب المؤمن تاوفيلس الشريف الاسكندري . ولئن لم ير المسيح ،
ولكنه كتب تاريخاً صحيحاً لحياته وتعاليمه باجتهاد وتدقيق كما بلغه من
الذين كانوا معانين وخداماً للكلمة . وضمنه كثيراً من الأمثال والعجائب
والامور التي لم يتطرق الى ذكرها الانجيليان متى ومرقس . يفتتحه بذكر
الكنهنوت الموسوي مقدم الذبائح الحيوانية ، ولذلك قال المفسرون ان
صورة الثور في مركبة حزقيال تشير اليه . وفي سنة ٦٤ كتب سفر
الاعمال الى الشريف تاوفيلس الآنف الذكر ، ضمنه تاريخ تأسيس الكنيسة
منذ صعود المسيح الى نهاية السنة الثانية من سجن بولس في رومية .
وذكره التاريخ الكنسي يبشر في الاسكندرية ١ . وقد اخبرتنا
القوانين الرسولية انه رسم اييلبيوس خلفاً لأنيانوس ، الأمر الذي يؤيد

(١) انظر رسالة القديس يعقوب السروجي (٥٢١ +) الى رهبان دير مار باسوس ، وميمر
المعلم نرسي (٥٠٧ +) في عيد العنصرة وقد جاء فيه قوله « تكلم السرياني مع المصريين وهم غرباء عنه » .

ذهابه الى الاسكندرية بعد مرقس . ذكر بعضهم انه استشهد بأمر نيرون .
كان لوقا تلميذاً للرسول غير ان الابهاء الأولين احصوه ومرقس مع
المبشرين السبعين فصار عددهم اثنين وسبعين .

الفصل الرابع عشر

تأسيس كرسي انطاكية



انطاكية ذات مجد باذخ وشهرة واسعة في التاريخ الكنسي ، بعد
اورشليم مهبط المسيحية ، بل درة نفيسة في تاج كنيسة المسيح . كانت
تسمى « انطاكية سوريا » و « انطاكية دفنة » نسبة الى هيكل دفنة
الذي كان بجوارها ، تميزاً لها عن المدن اليونانية الخمس عشرة التي اسمها
مثلها سلوقوس نيقاطور وسماها باسم ابيه انطيوخوس^١ . وكانت في صدر
النصرانية عاصمة الشرق .

وقد صارت لانطاكية شركة قوية مع التاريخ الرسولي اكثر من غيرها
ما عدا اورشليم . وهناك عدة امور تؤيد الصلات الوثقى التي كانت
بينها وبين كنيسة اورشليم فيما يتعلق بازدهار المسيحية . منها : ١ - ان
احد الشمامسة السبعة الذين رسمهم الرسل في اورشليم : كان نيقولاوس
الدخيل الانطاكي . ٢ - ان قرار المجمع الاورشليمي كان مبعثه تنصر
الامم في انطاكية . ٣ - من انطاكية ارسلت صدقات الى كنيسة اورشليم
بايدي برنابا وشاول .

(١) دائرة المعارف البريطانية طبعة ٩ مج ٢ ص ١٣٠

بشّر فيها أولاً الذين تشبثوا من اورشليم من جراء الضيق الذي حصل على اثر
استشهاد اسطيقيانس ، فأمن خلق كثير . فلما بلغ ذلك كنيسة
اورشليم : ارسلت اليها برنابا ، فانضم بواسطته الى الرب جمع غفير . ولما
رأى خدمة البشارة عظيمة هناك : جاء اليها بالقدّيس بولس ايضاً ، فاجتمعوا
في الكنيسة سنة كاملة وعلّمها جمعاً غفيراً . وبعد هذا جاء من اورشليم
انبياء ومعلمون : سمعان الذي يدعى نيجر ولوقيوس القيرواني ومنان الذي
تربى مع هيرودس رئيس الربع .

فضلاً عن هذا فقد روى التاريخ الكنسي ان القدّيس بطرس الرسول
جاء الى انطاكية واسس فيها كرسيه الرسولي . اما سنة مجيئه اليها فقد
كانت السابعة والثلاثين على رأي اوسابيوس القيصري او ٤٣ على رأي
غيره . ثم عاد الى اورشليم . ثم توجه اليها ثانية نحو سنة ٤٦ وثالثة سنة
٥٢ . ومن السنة الثالثة والخمسين حتى الستين نرى بطرس وحده في
انطاكية كما تؤيد الوثائق القديمة .^١

حقاً ان اول كنيسة مسيحية تأسست في اورشليم ومنها انبثق نور
الايمان القويم فأضاء المسكونة كلها . فرتبتها هذه الاولى اهلتها بلا شك
لان تسمى ام سائر الكنائس كما دعاها القدّيس يعقوب اخو الرب في
ليتورجيته « صهيون ام سائر الكنائس » . غير انها كانت محضاً لاهل
الختان . وبما ان المسيح جاء ليؤسس كنيسة من اهل الختان والغرلة معاً :
لذلك ذهب بطرس الرسول الى انطاكية واسس فيها كرسيه الرسولي
بمساعدة مار بولس رسول الامم . ولما اراد مغادرتها بجولة رسولية اناث
فيها عنه اسقفين هما افوديوس لرعاية اهل الغرلة واغناطيوس لرعاية اهل

(١) لقد اجمع المؤرخون الشرقيون والغربيون على هذا ، كما اعترفت به روما ايضاً (ايرونيوس
في مشاهير الرجال ف ١ والابا لاون الاول في رسالته الى اناطوليوس القسطنطيني ، والكردينال
بارونيوس في جدول سنتي ٤٢ و ٤٣) ، وما زالت تحتفل بعيد « تأسيس كرسي مار بطرس في
انطاكية » في ٢٢ شباط (كلندار الاعياد في آخر الاشجيم السرياني المطبوع في رومية سنة ١٩٥٣) .

الختان ، فطعمت زيتونة البر (الامم) زيتونة الاصل (اليهود)
رو ١١ : ١٧ واصبح كرسي انطاكية متسلطاً على اهل الختان والغرة
معاً ، وتم فيه قصد الله في تأسيس كنيسة التي كانت عتيده ان تحتضن
الجنسين بين ذراعيها . لا سيما وقد اوضحت اورشليم ايضاً فيما بعد ضمن
نطاق هذا الكرسي الرسولي كما اثبت التاريخ الكنسي . هكذا اصبحت
كنيسة انطاكية واحدة جامعة تقبل في حظيرتها من كل الاجناس بعكس
الكنيسة اليهودية التي كانت خاصة بالشعب الاسرائيلي .

وقد كان عملها الرئيسي السعي وراء ازدهار المسيحية وانتشارها في كل
اطراف المعمور . ففيها انشئت اول كنيسة للامم ، وفيها دعي التلاميذ
مسيحيين لأول مرة ، وفيها قام بولس بخدمته الكهنوتية الاولى ، وفيها
ابتدأ برحلته التبشيرية الاولى ، وفيها ايضاً بعد المجمع الاورشليمي ابتداء
وانهى رحلته الثانية ، وهي ايضاً كانت سبب رحلته الثالثة التي سببت
سجنه في اورشليم وقيصرية . ومنها خرج بطرس الرسول في جولة رسولية
حاملاً بشارة الخلاص الى الغرب . قال اوسابيوس « ان بطرس حمل
تجارة النور الروحاني الغالية من الشرق الى الذين هم في الغرب ، وكان
يبشرهم بملكوت الله » . ١

الفصل الخامس عشر

حدود البرية الانطاكية ، صيراتها

كانت للكرسي الانطاكي سلطة على كل الشرق المسيحي على اختلاف اجناسه ^١ ، كما كانت مثلاً للكرسي الاسكندري على افريقيا ، وللكرسي الروماني على بلاد الغرب . وبعبارة اخرى كان الكرسي الانطاكي يرأس آسيا كلها ^٢ . وقد أيد هذا ، المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥ بقانونه السادس ، والقسطنطيني سنة ٣٨١ بقانونه الثاني ^٣ . أما مار ميخائيل الكبير فعندما يتكلم عن حدود الكراسي الاربعة : الانطاكي والاسكندري والروماني والقسطنطيني يقول : « لقد خص بكرسي رومية وقسطنطينية ثلث العالم ، أي اوروبا الواقعة شمالي البحر الغربي المدعو ادرياس « ادرياتيك » ، وجعل تحت سلطة الكرسي الاسكندري : بلاد مصر وايتيوبيا وليبية الواقعة جنوبي هذا البحر . وأما آسيا التي تمتد من حدود هذا البحر الشرقية مباشرة إلى اقصى الشرق ، والتي تعادل القسمين الآخرين تقريباً فقد منحت للكرسي الانطاكي » ^٤

وكان الكرسي الانطاكي يرأس في اوج عزه اثني عشر كرسيًا مطرانيًا

(١) مختصر توارينخ الكنيسة تأليف لومون ص ٥٧٨ ، وذخيرة الازهان تأليف القس بطرس

نصري الكلداني مج ١ ص ٤٤ و ٤٩ و ٧٣ و ٧٤ .

(٢) بطريركية انطاكية للدكتور نيل ص ١ .

(٣) مجموعة قوانين المجامع لمار يعقوب الرهاوي ، وجيزلر مج ١ ص ٤٢٤ - ٤٢٦ .

(٤) تاريخه ص ١١٤

ومئة وسبعة وثلاثين كرسيًا استقيًا^١ . وفي القرنين التاسع والعاشر كان يرأس عشرين كرسيًا مطرانيًا ومئة وثلاثة كراسي اسقفية^٢ . اي كانت له سلطة على اساقفة بلاد سوريا وفونيقى وبلاد العرب وفلسطين وقيليقية وقبرس وما بين النهرين الى اقصى بلاد الفرس والهند^٣ . بل كانت الكنيسة الارثوذكسية في عهد الخلفاء العباسيين ممتدة من الصين الى اورشليم فقبرس^٤ .

وقد جاء في دائرة المعارف البريطانية ما يلي : « كان لانطاكية سلطة على ما وراء حدود المملكة الرومانية أي على كلدو والهند . ويظهر ان ارساليات انطاكية نادت بالمسيحية في حدود الصين ايضاً^٥ » وقال موسهيم « ان بطريركية انطاكية ضمت في الاصل كل ابرشية المشرق ، وهكذا امتدت الى الكنائس التي وراء حدود المملكة الرومانية في آسيا حتى الهند^٦ » .

اما ميزات الابرشية الانطاكية فكثيرة اهمها ثلاث .

اولاً - اسبقيتها : فقد كانت اول من سمع صوت البشارة الخلاصية يرن في بلادها ، فاعتنقتها . لأن المسيح ورسله ومبشره ظهروا في بقعة من هذه الابرشية الواسعة .

(١) ثبت الكرسي الانطاكي في اواخر المئة السادسة المنسوب الى البطريرك المللكي (بنسكين اللام) انطاسيوس ، والنص السرياني الاسطرنجيلي الذي وجد في كنيسة باسبرينة بطور عبيد وكتب في واسط المئة التاسعة للميلاد ونسخته مصونة في الخزانة البطريركية بمصر .

(٢) تاريخ الكنيسة الشرقية المقدسة تأليف نيل مج ١ ص ١٥٣

(٣) المباحث الجلية في الليتورجيات الشرقية والغربية للسيد رحمان ص ٢٨ والمسيحية في الهند

تأليف Hough مج ١ ص ٨٤

(٤) المسيحية في الهند مج ١ ص ١١٦

(٥) طبعة ٩ مج ١١ ص ١٥٤

(٦) انظر Muldock's translation of Mosheim's Institutes of Ecclesiastical History, New York, 1852. Vol. 1. PP. 232, 234.

ثانياً - لغتها : وهي السريانية التي كانت اجيالا طوالا لغة شعوب
عظيمة سكنت في القسم الغربي من آسيا ، أي بلاد العراق والجزيرة والشام
وما يتاخما . وصارت ايجديتها حروف هجاء لمعظم الأمم الشرقية . أما
اليهود في فلسطين فقد كانت لغتهم في الأصل سريانية ، ثم طرأ عليها
تغيير لامتزاجهم بالمصريين والكنعانيين . ولكنهم استعادوها لما سبوا إلى
بابل في عهد نبوخذ نصر بامتزاجهم مع البابليين . وكانت هذه لغتهم في
أيام المسيح ، فتقدست بميلاد المخلص وتربيته وعجائبه وتعاليمه وخطبه
وتأسيسه اسرار التجسد الفدائية . اجل ، ان السيد المسيح والجيل الرسولي
وما سبقه من اجيال اليهودية حتى المائة الخامسة قبل المسيح : كانت لغتهم
الوطنية ، سريانية ، فقدسها وشرفها في ربنا يسوع وامه الطوباوية ورسله
القديسين . وبهذه اللغة احتفلت الكنيسة المسيحية لأول مرة بالقربان المقدس ،
وبها تناقش المجمع الرسولي الاورشليمي سنة ٥١ م وهو اساس المجمع
وأعظمها شرفاً . فضلاً عن انها لغة الوحي والالهام ، إذ انزل الله بها
بعضاً من اسفار العهدين ، كما نقلت اليها اول ترجمة للكتاب المقدس ،
وبها سمعت احداث البشارة لأول مرة في اليهودية وسوريا وما جاورها
من البلدان . فبحق إذاً نسمي الابرشية الانطاكية باسم الكنيسة السريانية .
لأن كل مطلع على التاريخ يعلم ان البلاد المحيطة واللائذة بالكرسي
الانطاكي من ساحل الخليج الفارسي الى ضفاف البحر المتوسط كانت
سريانية تتخللها اقلية من عناصر اخرى نذكر منها الجالية اليونانية في
انطاكية وبعض المدن السورية . ومع ذلك فقد استعملت كنيسة انطاكية
ليتورجية مار يعقوب اخي الرب التي وضعها بالسريانية .

ثالثاً - موكز رئاستها : ان مركز رئاسة هذه الابرشية هو انطاكية .
والكرسي الانطاكي قد اسسه القديس بطرس رئيس الرسل وصار أول
بطاركته كما سبق . وقد تعاقب عليه بعده بطاركة قديسون ادهشوا البشرية
بأعمالهم المجيدة وعلومهم الزاخرة . وهكذا تسلسلت فيه الرئاسة حتى وصلت

إلى قداسة بطريركنا الحالي مار اغناطيوس افرام الأول ، وهو المائة والعشرون في عداد بطارقة انطاكية الشرعيين ١ او المائة والحادي والاربعون بما فيهم غير الشرعيين أيضاً .
فالكنيسة الانطاكية (السريانية) إذاً تحتل المقام الاول بين الكنائس المسيحية الاخرى .

الفصل السادس عشر

مبشرو الابريشية الانطاكية الاولون



ان المبشرين الأولين لهذه الابريشية الواسعة : هم الرسل بطرس ويعقوب بن زبدي ويوحنا وبرثلماوس ومتى وتوما ويعقوب بن حلفى وسمعان الغيور ويهوذا ومتياس ، وبولس ويعقوب اخو الرب ، والمبشرون برنابا وأدى وتلميذه اجى وحنانيا وميليا وكيفا وزكى العشار ويوسي اخو الرب ويوسف الرامي ، والشمامسة اسطفانوس وفيلبس وطيمون .

فبطرس بشر في اورشليم واليهودية والسامرة والدل وقيصرية وببيروت وجبيل وصور وصيدا وطرابلس وانطاكية حيث أسس كرسيه الرسولي .
ويعقوب بن زبدي بشر في اورشليم واليهودية . ويوحنا بشر في بلاد اليهودية والسامرة وانطاكية ٢ . وبرثلماوس حمل البشارة إلى بلاد العرب واليمن وارمينيا الصغرى حيث صلب . ومتى بشر في اليهودية وبلاد

(١) مختصر الأصول الايمانية بقلم الارخدياقون نعمة الله دنو ص ١٥ .

(٢) ميمر السروجي في تبشير انطاكية ، انظر ايضاً شهادة ابن صليبي في تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٩٢ .

البرثيين ، وتوفي في جبلة ودفن في انطاكية ^١ . وتوما بشر في اليهودية وبلاد البرثيين ومادي وفارس والهند ، وهدى قوماً من سائر القبائل التي صادفها في طريقه ^٢ . ويعقوب بن حلفى بشر في جنوب فلسطين . وسمعان الغيور بشر في سوريا ولا سيما حلب ومنبج وقلوديا ، وبني بيعة في مدينة قورس ، كما نادى بالبشارة في بلاد فارس ايضاً . ويهوذا بشر في سوريا وما بين النهرين وبلاد فارس ، ورجم في جزيرة ارواد او صُلب في بيروت . ومثياس بشر في بلاد اليهودية والسامرة وآدوم . هذا فضلاً عن ان سمعان الغيور ويعقوب بن حلفى ويهوذا بشروا في الرقة وقرقيسيون (بُصيرة) وسروج ^١ .

وبولس بشر في دمشق وبلاد العرب المتاخمة لها وانطاكية وفونيقية وقيليقية وجزيرة قبرس وقيصريّة فلسطين وعكا وغيرها . ويعقوب اخو الرب بشر في اليهودية وصار اول اسقف لاورشليم . وبرنابا رافق بولس في رحلاته التبشيرية الى انطاكية وسوريا وفلسطين وجزيرة قبرس وغيرها . وأدى بشر في مدينة الرها عاصمة ما بين النهرين وفي بلاد كثيرة من ما بين النهرين ، منها آمد وجنوبي بلاد ارزون ووادي دجلة الشرقي وبازبدي وحدياب (اربيل) . وتلميذه اجى بشر في نواحي قردو وبازبدي وغيرها . وحنانيا بشر في دمشق . وميليا وكيفا بشرا في بعلبك وحص والرستن وحماه ^١ . وزكى العشار بشر في قيصرية فلسطين . ويوسي اخو الرب بشر في درعا . ويوسف الرامي بشر في الجليل والمدن العشر وفي شرقي الاردن . والشاس اسطيفانس بشر في اورشليم واليهودية . وفيلبس بشر في السامرة وهدى الحصي وزير قنداقة ملكة اليمن ، وبشر في اشدود وفي قيصرية فلسطين . وطيمون بشر في حلب . هذا فضلاً عن الذين تشتموا

(١) ابن صليبي ومار ميخائيل في تاريخه ص ٩٢

(٢) التاريخ الكنسي لابن العبري مج ٢ ترجمة مار توما .

على اثر استشهاد اسطفانس فانطلقوا الى فونيقي وقبرس وانطاكية مبشرين
فدعي التلاميذ مسيحيين اولاً في انطاكية . وكذلك الانبياء والمعلمون
سمعان نيجر ولوقيوس القيرواني ومناين الذي تربى مع هيروودس رئيس
الربع ، الذين بشروا في انطاكية كما سبق . وبشر بعض الرسل في بادية
الشام وبرة طرسينا وبلاد الحجاز .

الفصل السابع عشر

توما الرسول برفع علم الصليب فوق البلاد الهندية



دخلت المسيحية البلاد الهندية في اواسط المئة الاولى للميلاد بواسطة
القديس توما الرسول ، على عهد ملكها كوندفر . وكان هذا الملك
برثيا ، تسيطر بملكته البرثية على بعض البلاد الهندية وهي بنجاب وشواطىء
نهر اندوس وغيرها من بلاد الهند الشمالية . فكان عمل مار توما التبشيري
الاول في بارثيا وبلاد الهند الشمالية . وفي سنة ٥٢ م يم شطر بلاد
الهند الجنوبية لمواصلة عمله الرسولي ، كما اخبرنا التقليد الملباري . فبشر
اولاً اليهود ثم الوثنيين في مدينة كودنكلور ، ثم طاف في بلاد ملبار نحو
ثلاث سنوات مبشراً ، فنصر جمعاً غفيراً بينهم كثير من العيال البرهمية .
وانشأ سبع كنائس ، ورسم لها اسقفاً يدعى كيفا وقسوساً من اربع
عيال برهمية ، استودعهم إدارة الكنيسة ، ومضى الى ساحل الهند
الشرقي وملقاً داعياً الى المسيحية . وحوالي سنة ٧٥ عاد الى بلاد باندي
ولما بلغ مدينة ميلابور - مدراس : هجم عليه كهان الوثنيين وسلخوا

جلده وهو حي ، ثم طعنوه بالرماح في جنبه الأيمن ، في ١٨ كانون
الاول . وفي ٢١ منه اسلم روحه بيد الله .
وقد تم استشهاده على تل او جيبيل في ميلابور يسمى باللغة التملية
— لغة ميلابور — « جنملا او قلملا » اي تل صغير ، يقابله بالسريانية
ܡܠܒܘܪ ܕܡܢܗ ܩܠܡܝܢܐ التي ذكرها ابن العبري . ودفن في ميلابور .
وفي ٣ تموز سنة ٣٩٤ نقل رفاتة الى مدينة الرها ، فبلغها في ٢٢ آب
وأنشئت باسمه كنيسة عظيمة ^١ . والأرجح ان زناز والدته الالهة ايضاً
كان صحبة الرفات ^٢ .

الفصل الثامن عشر

ابجر الخامس ملك الرها وادي البشير

الرها من اقدم مدن الشرق ، كانت عاصمة امارة سريانية في ما بين
النهرين العليا ، يحكمها الملوك السريانيون المعروفون بالاباجرة ، الذين
رفعوا رايتهم فوقها مدة اربعة قرون . لقد تأسست هذه الامارة سنة ١٣٢
ق . م على يد الملك السرياني اريو اذنا (الاسد) الذي ملك خمس سنوات
وتوفي سنة ١٢٧ ق . م . ثم خلفه عبدو دحبا (عبد) بن مزعور (١٢٧ -
١٢٠ ق . م) فافراداشت (١٢٠ - ١١٥ ق . م) فبوخرو دحدا (البكر)
الاول (١١٥ - ١١٢ ق . م) فابنه بوخرو الثاني . وفي سنة ٩٤ ق . م .

(١) انظر تاريخ الكنيسة السريانية الهندية ص ١٤ - ٢١ .

(٢) انظر هنا ص ٤١ .

شاركه الملك ابجر معنوم (اي بلد) اربعة اشهر ثم ابجراج (اعرج)
فيقا (امار) (اخرس) او سوموقو (احمر) الذي قتل بوخرو الثاني
سنة ٦٩ ق . م وانفرد بالملك . وهكذا تعاقب على عرشها الملوك حتى
سنة ٢٤٤ م . وقد عرف احد عشر منهم باسم ابجر . وكان شعار نقودهم :
الهلال والنجمة والشمس . ووجد الصليب على نقود الملك ابجر سويريوس
المعاصر للامبراطور الروماني كومودوس (١٨٠ - ١٩٢ م) .

وفي سنة ٢٤٢ وضعها القيصر الروماني غورديان تحت وصايته ، وفي
سنة ٢٤٤ انقرضت على عهد ملكها افراهاط ابجر الحادي عشر بعد ان
دامت ٣٧٦ سنة . وكانت لغتها السريانية الفصحى ^١ .

وقد عاصر السيد المسيح ملكها ابجر الخامس او كومودوس (اسود)
وكان يتشكى من برص ألم به ، فأنفذ اليه رسالة بالسريانية مع وفد
برئاسة حنانيا ^٢ معترفاً بالوهته قائلاً : لقد بلغه انه يصنع المعجزات ويشفي
العاهات بدون علاج ، فاستنتج من ذلك احد الامرين ، اما انه اله نزل
من السماء او ابن الاله . ثم يسأله القدوم اليه ليشفيه من برصه ، ويسكن
معه في مدينته الصغيرة الجميلة التي تكفي لكليهما ، اذ بلغه ان اليهود
يحاولون الايقاع به . فاجابه الرب معطياً الطوبى للذي آمن به ولم يره
ومباركاً اياه ومدينته ، واعدآ ان يرسل احد تلاميذه بعد صعوده الى
ابيه ليشفيه من عاهته ويعلمه ومن معه طريق الخلاص ^٣ .

واتماماً لوعده ارسل بعد صعوده مار ادى البشير الى الرها ، فشفى
ابجر من برصه ، وتلمذه وعظماءه وجميع سكان المدينة وعمدهم وقوض

(١) كتاب المدخل الى النحول ابن العبري .

(٢) نرجح ان يوحنا الانجيلي عنى هذا الوفد بقوله « قوم من الامم » ارادوا ان يروا يسوع
(يو ١٢ : ٢٠ - ٢٢) ، ذلك ان الاقوال التي فاه بها يسوع على اثر ذلك توافق تماماً المعنى الذي
ضمنه جوابه لأبجر .

(٣) باختصار عن اوسابيوس ١ : ١٣ .

هياكل الوثنية وانشأ في الرها بيعة جلييلة بمساعدة ابجر^١ وصار ابجر اول ملك مسيحي^٢ ، واشتهر باعمال الرحمة ، وسعى في نشر المسيحية في تلك البقاع . روى برديسان الفيلسوف السرياني (١٥٤ - ٢٢٢ +) ان ابجر استأصل من بين الرهاويين عادة قبيحة كانت شائعة فيهم ، منزلاً عقاب الموت في كل من يتعاطاها^٣ .

اما ادى فهو اخو توما الرسول^٤ واحد السبعين مبشراً ، بعث به توما الى الرها فاعتبر اول اساقفتها^٥ . وبعد ان تلمذ اهلها رسم تلميذه اجى ثم غادرها الى بلاد اخرى في ما بين النهرين ولا سيما نصيبين وآمد وجنوبي ارزون ووادي دجلة الشرقي وبازبدي وحدياب (اربيل) وباجرمي وكشكر والاهواز وغيرها من البلاد المجاورة لها ، ناشراً بشاره الخلاص مع تلميذه اجى . ورسم فقيذا اسقفاً لحدياب ثم رجع الى الرها حيث توفي ودفن في البيعة التي ابتناها هو^٦ . واليه يُنسب التعليم المعروف باسم « *ܡܕܢܬܐ ܕܐܕܝ* » الذي كتب في اوائل القرن الثاني ، الا انه تخللته اضافات في الاجيال التابعة .

وخلف ادى في الرها تلميذه اجى ، وخلف هذا فالوط ثم عبشلاما ، وبرسميا ، وتيريدت ، وبوزني ، وشالولا ، وعبدا الاول ، وكوريه ، وعبدا الثاني ، وايزني ، واوشتاسب ، وعقي الخ^٧ . .

(١) تعليم ادى ، وميمر القديس يعقوب السروجي في الشهيد الرهاوي الشماس حبيب (٣٠٩ +) ، والرهاوي المجهول طبعة السيد رحمان ص ٦٦ والتاريخ الكنسي لابن العبري مج ٢ ترجمة ادى .

(٢) القديس السروجي مج ٥ ص ٧٣٨ .

(٣) كتاب شرائع البلدان طبعة نو - باريس ١٨٩٩ ص ٢٨ .

(٤) انظر هنا ص ٦٦

(٥) مختصر تاريخ الرها في المكتبة الشرقية للسمعاني ١ : ٣٨٨ - ٤١٧ وتاريخ مار ميخائيل

الكبير ص ١٨٣ .

(٦) التاريخ الكنسي لابن العبري مج ٢ ترجمة ادى .

(٧) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٨٣ - ١٨٥ .

وقد أصبحت الرها ام كنائس ما بين النهرين ، وثالثة المتروبوليتيات
اللائذة بالكروسي الانطاكي . وفيها ألف ططيانس الفيلسوف السرياني كتابه
المشهور « دياطرون » أي مزيج الاناجيل الاربعة نحو سنة ١٧٢ فاستعملتها
كنيستها حتى القرن الخامس . وفيها عقد مجعاً اساقفة ما بين النهرين حوالي
سنة ١٩٧ للنظر في مسألة عيد الفصح ^١ . وانتشرت فيها وفي ضواحيها في
القرون التالية : الكنائس والأديرة ولا سيما في جبلها الذي سمي « الجبل
المقدس » لكثرة الأديرة والصوامع التي كان مزداناً بها ^٢ . وذكر
المؤرخون انه كان فيها ثلاثمائة دير ^٣ يقيم فيها في عهد الملك ثاودوسيوس الثاني
تسعون ألف راهب ^٤ .

الفصل التاسع عشر

البشير ميليا وكنيسة السيرة في حمص



ميليا او ايليا هو الخامس بين السبعين مبشراً ^٥ ، بشر في جزيرة
رودس ، ودعا الى المسيحية في حمص وبعليبك والرستن وحماء ومات في

(١) اوسابيوس ٥ : ٢٣

(٢) راجع عن كنائس الرها واديرتها بقلم قداسة البطريك افرام الاول في المجلة البطريركية

السنة الاولى ، العدد السادس ص ١٧٨ - ١٨٥

(٣) صبح الأعشى للقلقشندي مج ٤ ص ١٣٩

(٤) تاريخ الرهاوي المجهول مج ١ ص ١٨٢

(٥) مخزن الأسرار لابن العبري في تفسير انجيل لوقا .

شيزر^١ . وفي زمانه أي في السنة التاسعة والخمسين م شيّد السريان
المحصيون كنيسة أطلق عليها فيما بعد اسم السيدة . وكانت صغيرة بسيطة
بشكل قبو تحت الأرض بسبب شدة الوثنية على المسيحية . وبعد مدة
نقل إليها زنار والدته الاله من الرها كما اسلفنا^٢ . وفي سنة ٤٧٨ م
حلّ فيها الأب داود الطورعبدني من رهبان دير مار باسوس ، وكانت
في حوزة الزعيم السرياني الكبير بطرس بن يوسف الحمصي^٣ .
وقد خلع عليها الزنار المقدس اسم كنيسة الزنار او كنيسة ام الزنار ،
ودوّن في كتبها الطقسية المخطوطة التي لم يزل بعضها مصوناً فيها ويرتقي
الى مطلع المئة السابعة عشرة^٤ .

وفي سنة ١٨٥٢ جُددت ووُسّعت . وفي اثناء ذلك وجد فيها
السريان المحصيون زنار سيدتنا العذراء موضوعاً في مائدة التقديس . فتهرّكوا
به ولم يفتحوا الوعاء الذي حواه ووضعوه ضمن مائدة التقديس في مذبحها
الجديد بالحالة التي وجدوه فيها ، ووضعوا فوقه حجراً كبيراً نقشوا فيه
بالكرشوني تاريخ تجديد الكنيسة عام ١٨٥٢ في عهد مار يوليوس بطرس
مطران أبرشيته . وذكروا في اوله ان الكنيسة بنيت سنة ٥٩ في
زمان المبشر ميليا او ايليا .

واشتهرت بعجائبها الكثيرة منها الاعجوبتان التاليتان :

في سنة ١٨٦٠ لما فتك المسلمون بكثيرين من مسيحيي دمشق : تحفّز
المسلمون اهالي حمص ايضاً ليأثلوهم بذلك . وبينما كان ماراً في شارع هذه
الكنيسة احد وجهائهم وهو من عائلة نقيب الاشراف ومن آل حجّو

(١) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٩٣ نقلاً عن ابن صليبي

(٢) انظر هنا ص ٤١

(٣) انظر سيرة مار باسوس ورفاقه الفارسيين الذين استشهدوا في ١١ ايار عام ٣٨٨ م في سير

الشهداء والقديسين بالسريانية مج ٤ ص ٤٩٩ - ٥٠٤

(٤) بيان بطريكي مخطوط في زنار سيدتنا مريم العذراء في حمص سنة ١٩٥٣ .

الرفاعي : ظهرت له العذراء واقفة في باب الكنيسة الخارجي بصورة امرأة
رشيقة القوام ، فألقت الرعب في قلبه وقالت له ان يحتفظ بالمسيحيين
ويحميهم وهي تكون معه . فنبه على زعماء الأحياء المسلمة وزال ما كان
يضمرة الاعداء . ولم تزل هذه العائلة تذكر الحادثة حتى اليوم .

سنة ١٩٠٣ اصبحت حمص بالهواء الاصفر في شهري تموز وآب فهلك
به خلق ، وامر المطران السرياني المؤمنين بممارسة صوم السيدة انقطاعاً عن
الطعام حتى الظهر تقرباً الى الله سبحانه والتماساً لرأفته بهم . وحدث انه
بينما كان جمهور منهم يحضرون صلاة الظهر قبيل عيد الانتقال : فاضت
البئر التي في هذه الكنيسة حتى خرج الماء من صحنها الى الباب الخارجي .
فتوافد الناس يشربون من هذا الماء يأخذون منه تبركاً . وشاهد بعضهم
السيدة العذراء واقفة في باب البيعة ترفّ بيديها المقدستين على المدينة .
وشرع الوباء تخفّ وطأته وزال بعد يومين او ثلاثة . ولا زال بعض
شيوخ حمص يذكرون هذه الحادثة .

ولاجل عجائبها يؤمها الناس من مسيحيين ومسلمين على اختلاف
طبقاتهم للتبرك منها ومن ماء بئرها الشافي .

الفصل العشرون

مار يعقوب اخو الرب



هو ابن يوسف النجار خطيب مريم من زوجة سابقة ، ولم يكن هو
واخوته من الاثني عشر رسولاً ، اذ لم يكونوا يؤمنون بيسوع قبل

قيامته ، فظهر له في احد الايام التي تخللت قيامته وصعوده (١ كو ١٥ : ٧)
كما سبق ، وآمن ، فأقامه الرسل اول اسقف لاورشليم^١ . وفي سنة ٣٨
اي بعد اهداء بولس بثلاث سنين : جاء بولس اليه والى بطرس حيث
اقام ١٥ يوماً ، ولم يكن في اورشليم غيرهما من الرسل (غل ١ : ١٨ و ١٩)
ولما اخرج الملاك بطرس من السجن : جاء الى مريم ام يوحنا المدعو
مرقس حيث كان كثيرون من الاخوة يصلون معاً لاجله ، فاخبرهم كيف
نجا من السجن وغير ذلك ، وسألهم ان يخبروا بهذا يعقوب والاخوة
الآخرين (اع ١٢ : ١٧) . وسنة ٥١ لما التأم الجمع الرسولي في
اورشليم : ارتأى يعقوب ان يمتنع المؤمنون الذين من الامم عن اربعة
امور فقط اي عما يذبح للاصنام والزنى والمخنوق والدم ، فوافق الجمع
على رأيه (اع ١٥ : ١٣ - ٢٠) . وفي الوقت نفسه تميز هو وبطرس
ويوحنا لخدمة اهل الختان (غل ٢ : ٧) . وبعد هذا الجمع تفرق
الرسل الآخرون في العالم للتبشير ما عدا يعقوب . فان بولس الرسول لم
ير غيره من الرسل في اورشليم سنة ٥٨ حين زاره واخبره باعماله التبشيرية
(اع ٢١ : ١٧ و ١٨) .

اما فضائله فقد أخبرنا عنها اقليميس الاسكندري قائلاً : « ان كل
احد يسميه صديقاً منذ عهد ربنا حتى الآن ، لانه مقدس من بطن امه ،
ولم يشرب خمرأ ولا مسكراً ، ولم يأكل لحماً ، ولم يخلق شعر رأسه .
وكان يدخل الهيكل وحده ويبحثو على ركبتيه مستغفراً عن آثام الشعب .
ولكثرة ركوعه : ثخنت ركبته واصبحتا مثل ركبتي الجمل . وقد نعته
اليهود والرومان بالصديق من اجل فضائله »^٢ . اما ايرونيمس فيقول :
انه في احدى السنين لما شح المطر واتلفت الزروع طلب اليه اليهود ان
يصلي الى الله ، ففعل ، واستجاب الله صلاته وارسل مطراً غزيراً ، الامر

(١) هدايات ابن العبري ٧ : ٢

(٢) اوسابيوس ٢ : ٢٣

الذي رفع منزلته في عين اليهود . وكان حافياً صائماً يأكل البقول أيامه كلها ^١ .

لما رفع بولس الرسول دعواه الى القيصر نيرون ، وارسله فستوس والي اليهودية الى رومية : باء اليهود بالفشل الذريع اذ برأ القيصر ساحته . فانقلبوا على مار يعقوب اخي الرب يريدونه انكار المسيح جهاراً فلم يرض . ولما مات فستوس وجد اليهود فرصة لاستعمال نفوذهم انتقاماً من الكنيسة ، اذ اضحوا بلا رئيس ولا مدير . وبما ان بولس كان بعيداً عنهم امسى القديس يعقوب فريسة لمطامعهم . وقبل وصول البيوس خليفة فستوس عقد حنانيا بن اناس رئيس كهنة اليهود مجمعاً حاكماً فيه مار يعقوب وامر برجه كما يثبت يوسيفوس المؤرخ العبري ^٢ . اما هيغسيبيوس فيتكلم عن استشهاده بالتفصيل قائلاً : انهم اقاموه على جناح الهيكل وقالوا له ايها الصديق اشهد عن يسوع المصلوب من هو . فصرخ بصوت عال قائلاً : ماذا تسألونني عن ابن الانسان ، فانه جالس في السماء عن يمين الله وسيأتي ثانية فوق سحب السماء . فازداد بهذا المؤمنون يقيناً ، فسبحوا الله قائلين : « اوشعنا لابن داود » . اما الكتبة والفريسيون فثار ثأرهم وضجوا قائلين : لقد ضل الصديق . ثم صعدوا الى جناح الهيكل وطرحوه الى اسفل . فلم يمت لكنه جثا مصلياً لاجلهم . ثم ضربه احداهم بمطربة قصار على رأسه فاستشهد ودفن بجانب الهيكل . وكان ذلك سنة ٦٢ . وقد القى هذا الحادث المريع خوفاً عظيماً في قلوب اليهود ، حتى ان يوسيفوس الشهير الذي كان معاصراً له يغزو خراب اورشليم الذي حل بعد مدة يسيرة : الى نقمة الله العادلة بسبب ما فعلوه بالصديق ^٣ . وقد شهد هيغسيبيوس الذي عاش في القرن

(١) الخريدة النفيسة جزء ١ ص ٥٥ و ٥٦

(٢) بطريكية انطاكية تأليف نيل ص ١٠

(٣) الفصل العاشر ص ٢٧٢ .

الثاني بان ضريح مار يعقوب كان معروفاً في عهده باسمه الذي كان مكتوباً عليه ١ ، الامر الذي يبرهن على ان المؤمنين كانوا يحلونهُ كثيراً بل وقد اُشتد حرصهم على حفظ كرسية الذي كان يجلس عليه حتى اواخر القرن الثالث كما شهد اوسابيوس القيصري ٢ .

لقد ترك مار يعقوب رسالة انفذها من اورشليم سنة ٦١ الى الاسباط الاثني عشر المشتتين بين الامم . وفيها يؤيد رأي مار بولس (يع ٢ : ٤ - ٢٦) ويتنبأ عن خراب اورشليم (١ : ٥) ويستعمل الاسم المسيحي (٢ : ٧) . كما انه انشأ بالسريانية الليتورجية المنسوبة اليه .

الفصل الحادي والعشرون

بيت يوحنا مرقس اول كنيسة مسيحية

ان يوحنا الملقب مرقس احد الذين ساعدوا الرسل في نشر البشارة الخلاصية ، ينتمي إلى أسرة عريقة . أمه مريم اخت مار برنابا (كو ١٠ : ٤) . بشر في انطاكية وسلوقية وقبرس بصحبة برنابا وبولس ، ثم فارقهما في برجة بمفولية راجعاً إلى اورشليم . ولما اراد برنابا اخذه معها ثانية بعد مدة ، ابي بولس ذلك ، فأخذه برنابا الى قبرس . غير ان بولس عاد فقبله بعد ذلك . وقد رأيناه يثني عليه ويوصي به اهل كولوسي (كو ٤ : ١٠) . قال بعضهم انه مرقس الانجيلي نفسه بينما اثبت آخرون

(١) الدرر النفيسة مج ١ ص ٢١٦

(٢) فيه ص ١٣٤ .

انها اثنان .

كان لامة مريم بيت في اورشليم ، ومن الثابت من التقليد العام والوثائق التاريخية القديمة : ان هذا البيت كان له شأن عظيم ، لان فيه حل الرب مع رسله وانجز الفصح الموسوي وغسل ارجل التلاميذ واستودعهم سر جسده ودمه ، ولفظ خطابه المشهور . وفيه كان الرسل يجتمعون حيث اتاهم الرب بعد قيامته والأبواب مغلقة ، واعطاهم سلطان الكهنوت بقوله لهم « سلام لكم كما ارسلني الآب ارسلكم انا ... ثم نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس ، من غفرتم له خطاياه تغفر له ومن امسكتم خطاياه امسكت » (يو ٢٠ : ١٩ - ٢٣) . وبعد صعود الرب الى السماء كان الرسل والنساء ومريم ام يسوع واخوته مواظبين على الصلاة في هذا البيت . وفي تلك الايام بينما كان عدة اسماء معاً نحو مئة وعشرين انتخب متياس بالقرعة للرتبة الرسولية بدلاً من يهوذا الاسخريوطي . وفيه بينما كانوا مجتمعين حل عليهم الروح القدس . وبعد ذلك كرّسه الرسل كنيسة باسم والدة الاله . وفيه كان التلاميذ والمؤمنون يجتمعون دوماً للصلاة . وفيه صلوا بلجاجة من اجل بطرس حين كان في السجن . واليه جاء بطرس لما انقذه الملاك . فأهميته العظمى دعت الى اتخاذه مركز كرسي اورشليم . وفيه اقام يعقوب اخو الرب اول اساقفة اورشليم وخلفاؤه كما اجمع المؤرخون الثقات الشرقيون والغربيون ^١ .

والبيت المذكور هو البيعة المعروفة اليوم في اورشليم باسم دير مار مرقس او بيت مريم ام يوحنا الملقب مرقس ، وهي قريبة من كنيسة القيامة . ولا تزال منذ العصور البعيدة بيد السريان الارثوذكس ، يقيم فيها المطران الاورشليمي . وهذا لا شك برهان على ان السريان اول

(١) راجع كتاب تحفة الجيل في تفسير الاناجيل للسيد يوسف الدبس الماروني ص ٣١٨ نقلاً عن بارونيوس ، والخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة ج ١ ص ٥٨ ، ومجلة اليقظة ج ٧ ص ٤٧ عن ٤٩٦ ، وكتاب البراهين العقلية والعلمية في صحة الديانة المسيحية تأليف القائم ترقن ص ١٦٨ .

من اعتنق المسيحية . ولا عجب فان لغة المسيح وامه الطوباوية ورساله
الاطهار والجيل الرسولي كانت السريانية كما اسلفنا .

وبما يتخذ حجة قاطعة على قدم الكنيسة المرقسية الأثرية ، وحق
السريان فيها منذ اول العصور المسيحية : اثر ثمين وشاهد تاريخي صادق
ألا وهو كتابة سريانية اسطرنجيلية نفيسة في غاية القدم مزبورة على حجر
القاعدة اليمنى في مدخل باب الكنيسة من الوجهة الداخلية على ارتفاع
زهء متر من الارض ، وهي بحجر جلي حالك السواد . ظهرت في اواسط
ايلول سنة ١٩٤٠ اثناء تبييض الكنيسة المشار اليها ، عندما قُشر وأزيل
الكس عن حيطانها . وكانت محفوظة خير حفظ لانها كانت مغطاة بقماش
ابيض صفيق تعلوه طبقة من الجبس بغاية العناية . وهذه ترجمتها :

« هذا بيت مريم ام يوحنا الذي دعي مرقس - وكرسه الرسل
القديسون كنيسة باسم والدة الاله مريم بعد صعود سيدنا يسوع المسيح
الى السماء ، وبني ثانية سنة ٧٣ مسيحية بعدما اخرب الملك طيطس
اورشليم . »

وقد رأى قداسة بطريركنا المعظم الحبير بتواريخ الخطوط السريانية
القدمى ان هذا الخط في منتهى القدم ، ورجح ان هذه الكتابة زبرت
حوالي القرن السادس^١ .

فكنيسة مار مرقس اذاً هي اول كنيسة مسيحية .

(١) انظر المجلة البطريركية السريانية ، السنة السابعة ، العدد الرابع ، ص ٢٢٠-٢٢١

الفصل الثاني والعشرون

كنيسة اورشليم في اثناء خراب المدينة



حوالي سنة ٦٨ انتخب المؤمنون في اورشليم القديس سمعان بن قليوفا اسقفًا لكرسي اورشليم ، خلفاً لابن عمه مار يعقوب اخي الرب . وقد ذكر الانجيل اسمه واسماء اخوته وامه مريم قليوفا ، الأمر الذي يدل على انه عاين الرب وسمعه .

وفي هذه السنة ارسل القيصر نيرون الى اورشليم القائد وسبسيانس وابنه تيطس لاختضاع اليهود الذين شقوا على الحكم الروماني عصا الطاعة . غير ان نيرون مات بعد مدة يسيرة ، وانتخب للعرش الروماني وسبسيانس ، فاضطر الى العودة الى رومية تاركاً مقاليد الحرب بيد ابنه تيطس . فلما نصب تيطس الاعلام الرومانية حول المدينة المقدسة : تذكر المؤمنون كلام الرب القائل : فتمت نظرتهم رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائماً في المكان المقدس ليفهم القاريء » (مت ٢٤ : ١٥) ، فغادروا اورشليم قبل حصارها مع اسقفهم شمعون البار ، الى مدينة بلدة القرية من بيسان شرقي الاردن وسكنوها ^١ . لان رجسة الخراب هي تلك الاعلام الرومانية الحاملة صور الأصنام والآلهة التي كان يعبدونها الرومان كالنصور وغيرها ، بينما اليهود كانوا يعتبرونها رجسة .

وفي السنة الثانية لملك وسبسيانس اي سنة ٧٠ فتح تيطس اورشليم

(١) بطريكية انطاكية تأليف الدكتور نيل ص ١١ والخريدة النفيسة ج ١ ص ٨٦ .

بعد سفك دماء غزيرة ولا سيما من اليهود ، ودكها والهيكول العظيم
دكا ، وسبى ما بقي من اليهود . فتمت بذلك نبوة المسيح عن خراب
اورشليم والهيكول وقتل اليهود وسبيهم (لو ١٩ : ٢١) . غير ان
بعض رؤساء اليهود مثل يوسفوس الشهير : كانوا قد اسلموا انفسهم للرومان
قبل فتح المدينة . وقد احصى هؤلاء : الاموات الذين اخرجوا من
ابواب المدينة فبلغوا ٦٠٠ الف نفس ما عدا الذين طرحووا في الآبار
والشوارع وليس من يدفنهم ، او ألقوا خارج الاسوار . اما الذين بادوا
بالسيف فقد بلغ عددهم مليوناً ومئة الف نفس . والذين سبواهم تيطس
كانوا ٩٩ الفاً . والباقيون تشتتوا تحت كل كوكب . وقد تكلم
بالتفصيل يوسفوس المعاصر لهذا الحادث المريع ، عما عانى اليهود من الضيق
الشديد والجوع المميت حتى أكلت بعض النساء اطفالهن ^١ .

وقد حفظ المؤمنون في بلة من كل اذى . وبعد ان خربت اورشليم
ووضعت الحرب اوزارها : عاد بعض المؤمنين الى جبل صهيون ، وحلوا
حول العلية الصهيونية ، اذ كانت الجهة الوحيدة التي نجت من الدمار ^٢ ،
واخذوا يتمسكون باذيال الايمان ، متنافسين في التحلي بالفضائل ، مفضلين
الموت على انكار المسيح ، الامر الذي دعا كثيرين من اليهود والامم
الى الدخول في حظيرة المسيح .

وسنة ١٠٦ استشهد اسقفهم مار سمعان مصلوباً إبان الاضطهاد الثالث ،
وقد بلغ من العمر ١٢٠ سنة ^٣ .

(١) اقرأ عن خراب اورشليم تاريخ يوسفوس ، الفصول الـ ٦ و ٧ و ٨ من ص

٢١٧ - ٣٢٣ .

(٢) انظر تاريخ جيزل مج ١ ص ٩٧ حاشية .

(٣) اوسابيوس ٣ : ٣٢ .

الفصل الثالث والعشرون

كتب العهد الجديد



بما لا شك فيه ان المسيح لم يسلم كنيسة تعاليمه ووصاياه مدونة في كتاب . فبعد صعوده الى السماء كتب بعض تلاميذه شيئاً منها الى مؤمني بعض البلاد ، ولكل منهم هدف في ما كتبه . وفي اواخر القرن الاول جمع مار اقليميس الروماني رسائل معلمه بولس المتفرقة في كتاب واحد . وفي النصف الاول من القرن الثاني جمعت الكنيسة تلك الاسفار الصغيرة وعددها ٢٧ إلى كتاب واحد سمي كتاب العهد الجديد الذي لا يزال موضوع إجلال واعتبار في الكنيسة وسيظل كذلك حتى تقوم الساعة . وقد كتب أول سفر منها وهو انجيل متى بين سنتي ٣٩-٤٢ ، وآخر سفر وهو انجيل يوحنا سنة ٩٨ .

على أننا لا نستطيع أن نؤيد صحة هذه الأسفار أو حقيقة نسبتها الى الرسل بدون التقليد الكنسي ، إذ هنالك عدد وافر من المكتوبات ، صنفها بعض الهرطقة في القرون الاولى ونخلوها أسماء الرسل . فلتثبت من حقيقة هذا الامر وجب ان نعتمد كل الاعتماد على مصنفات آباء الكنيسة الاولين . ففي رسالة مار اقليميس الروماني الى بيعة كورنثوس سنة ٩٥ نرى ست آيات مقتبسة من أنجيل متى ومرقس ولوقا . وفي رسالة مار اغناطيوس النوراني الانطاكي الى أهل فيلبس سنة ١٠٧ نجد آيات من انجيلي متى ويوحنا . وكذلك نجد بعض آيات من الاناجيل في رسالة مار بوليكرس

(١٥٥ +) إلى هذه البيعة . أما القديس يوسطينس الشهيد (١٦٧ +) فقد اقتبس في احتجاجه زهاء عشرين آية من الانجيل متى . وشهد مار بابا تلميذ يوحنا الرسول وأسقف هيرابوليس ، على ان متى الرسول كتب انجيله بالعبرانية (أي السريانية الفلسطينية) ومرقس كتب اقوال واعمال ربنا كما سمع من بطرس الرسول ^١ . وكان القديس تاوفيلس البطريك الانطاكي (١٦٩ - ١٨٢) اول من صرح بان يوحنا الرسول هو كاتب الانجيل الرابع ، واستشهد به ^٢ ، وقد عنّ له ان يرتب حوادث الاناجيل الاربعة في كتاب واحد بالتتابع التاريخي ^٣ . وفي هذا الزمن رتب ططيانس (١٨٠ +) الفيلسوف السرياني الشهير سيرة ربنا وتعاليمه بالتتابع التاريخي في كتاب سرياني سماه دياطسرون ، ومنه يتبين لنا بان هذه الاناجيل الاربعة التي بين ايدينا كانت معروفة في القرن الثاني ، كما انها وحدها كانت مقبولة في الكنيسة آنذاك مثلما هي الآن ، إذ يستند عليها وحدها .

وقد ذكر مار ايريناوس اسقف ليون (٢٠٢ +) ايضاً الانجيليين الاربعة في كتابه الرد على الهرطقات ، كما ذكرهم العلامة تروتوليانس القس القرطاجني (٢٤٠ +) في رديه الأول والرابع على مرقيون . اما اوريجانوس العلامة الاسكندري الشهير (٢٥٤ +) الذي تبجر في علم الكتاب العزيز وفاق جميع آباء الكنيسة باشتغاله فيه من حيث المقابلة والتفسير : فقد صرح قائلاً : بلغني بالسند المتصل عن الاناجيل الاربعة المقبولة عند كنيسة الله تحت السماء بلا خلاف ولا نزاع ، ان الانجيل الاول نزل على متى الذي كان عشاراً ثم صار بعد ذلك رسول يسوع المسيح الذي اذاعه لافادة المؤمنين في اليهودية بلغتهم (بالسريانية

(١) اوسابيوس ٣ : ٣٩

(٢) دائرة المعارف البريطانية مج ١٠ ص ٨١٨

(٣) شهادة ايرونيمس في اللؤلؤ المنشور ص ٥٢٢

الفلسطينية) ، والثاني كتبه مرقس الذي دوّن كل ما رواه له القديس بطرس ، والثالث كتبه لوقا للامم بأمر بولس ، والرابع والاخير كتبه يوحنا ١ .

هكذا وصل الينا كتاب العهد الجديد كاملاً بواسطة التقليد البيعي ، رغم تشتت المؤمنين ومطاردتهم من جراء الاضطهادات المتوالية .

الفصل الرابع والعشرون

نصيب الكنيسة الانطاكية من الاضطهادات في القرن الاول

ان الكنيسة المسيحية التي تأسست في العالم : اصبحت العالم عدواً لها . فقد تنمر لها الدهر مذ كانت طفلة في المهد ، فتجرعت كؤوساً متوعة من المرائر ، وعانت غصصاً من الآلام الفادحة ، في جملة اضطهادات عنيفة عامة وخاصة ، أثارها ضدها اعداؤها الألداء ، اليهود أولاً ثم الوثنيون ، ففقدت فيها ألوفاً من ابناءها البررة الذين ضحوا بمهجهم الغالية حباً ليسوع ليس إلا . وكانت الكنيسة الانطاكية اوفر حظاً من غيرها بما قدمته من الشهداء إثباتاً لحقها وتأيداً لصدق إيمانها .

فاليهود أثاروا ثلاثة اضطهادات على الكنيسة الفتية نكلوا بها أيما تنكيل . ففي الأول سجنوا الرسل وحاكموهم وجلدوهم ثم أطلقوا سراحهم . وفي الثاني حاكموا مار اسطيانس ورجموه ظالماً ، ومن جراء هذا الاضطهاد الشديد تفرق التلاميذ في اليهودية والسامرة ما عدا الرسل .

وفي الثالث قتل الملك هيرودس اغريببا الاول : يعقوب بن زبدي ، وسجن بطرس سنة ٤٤ إرضاء لليهود . هذا فضلاً عن اضطهادهم بولس وبرنابا وشيلا ، وفتكهم بالقديس يعقوب اخي الرب سنة ٦٢ كما سبق . وبواسطة هذه الاضطهادات انتشرت بالاكثر كلمة الله في اليهودية وما جاورها من البلدان ، وازداد عدد المؤمنين . اما اليهود فقد حل فيهم عقاب الله الصارم ، فلفظوا انفسهم جزاء شرهم كما رأيت .

وتلا ذلك اضطهاد الوثنية فكان القيصر الروماني نيرون الطاغية اول من تنمر للمسيحيين بعد اليهود وذلك سنة ٦٤ فتفنن في التنكيل بهم . فاستشهد بامرہ الرسولان مار بطرس ومار بولس ، ومار افوديوس ثاني بطارقة انطاكية . الأول في ٢٩ حزيران سنة ٦٧ بصلبه منكس الرأس ، والثاني مع الأول او بعده كما تؤيد اخبار الشهداء ٢ ، والثالث سنة ٦٨ . وفي دمشق قتل بالاش قائد جيش الملك الحارث الرابع النبطي : مار حنانيا التلميذ اسقف دمشق الاول ٣ . وفي الرها قتل ابن ابجر الملك المؤمن : أدى البشير ، وكسر ساق تلميذه اجي ، إذ كان قد ارتد إلى الوثنية ٤ . وبما لا شك فيه ان معظم الرسل فازوا باكليل الاستشهاد في مختلف البلاد .

واضطهد الكنيسة بعد نيرون : القيصر دومطيان ٥ سنة ٩٥ . فعاقب كثيرين سواء بالموت او بمصادرة الاموال . وبلغ الاضطهاد انطاكية حيث كان القديس اغناطيوس النوراني يشجع المؤمنين على الاستبسال والتضحية . وسبب هذا الاضطهاد هو ان دومطيان داخله الخوف على عرشه لما بلغه

(١) اوسابيوس ٢ : ٢٢ و ٢٥

(٢) المباحث الجلية في الليتورجيات ص ٤١

(٣) الدور النفسية في تاريخ الكنيسة ص ٨١

(٤) التاريخ الكنسي لابن العبري مج ٢

(٥) اوسابيوس ٣ : ١٧

من بعضهم من ان المسيح سيملك على العالم كله ، فخشي ان يتم ذلك في
ايامه . غير انه استقدم بعدئذ الى رومية ابنين ليهودا اخي الرب ، وسألها
عن المسيح ومملكته ، فأجاباه ان مملكته ليست من هذا العالم ، وستكون
في انقضاء الازمان متى جاء بالمجد ليدن الاحياء والاموات ويجازي كلا
كأعماله . ثم أخبراه عن عيشتها الحشنة . فاطلق سبيلهما ، وكف عن
الاضطهاد . فلما عادا الى اورشليم : شرعا بافتقاد الكنائس التي انزلتهما
منزلة المعتوفين بالايان ١ .



الباب الثاني

من سنة ١٠٠ — ٢٢٥

الفصل الاول

مار اغناطيوس ماوفوريوس النوراني

•

هو أحد الآباء الرسولين وثالث بطاركة انطاكية ، سرياني المحدث .
اعتنق الدين المسيحي المبين ، وتلمذ لمار بطرس أولاً ثم لمار يوحنا
الانجيلي^١ . وقد ايد اكثر المؤرخين بان بطرس الرسول رسمه اسقفًا
لرعاية المؤمنين من اهل الحثان في انطاكية ، كما رسم بمساعدة بولس
افوديوس لرعاية المؤمنين من الامم فيها^٢ . ولما استشهد بطرس سنة ٦٧
خلفه أولاً في كرسي انطاكية القديس افوديوس واستشهد سنة ٦٨ بامر
نيرون كما سلف ، ثم خلفه القديس اغناطيوس النوراني فأصبح ثالث
بطاركة انطاكية^٣ . وفي عهده اتحد المؤمنون الذين من الامم والذين
من اليهود في انطاكية ، والظاهر ان الاضطهاد الذي اثاره دومطيانس
سنة ٩٥ كما رأيت : اسعده لاحتمال ضيقات كثيرة حباً ليسوع ليس الا .

(١) اخبار الشهداء والقديسين مج ٣ ص ١٩٩ ، وبطريكية انطاكية ص ١٢ .

(٢) بطريكية انطاكية ص ١٢ والخريدة النفيسة ج ١ ص ٩٥

(٣) اوسابيوس ٣ : ٣٦ .

وكان في الوقت نفسه يشجع مؤمني انطاكية على اقتحام ذلك . واذا تأملنا اعماله ملياً : وجدنا ان البشارة الانجيلية انتشرت بعنايته في البلاد ولا سيما في سوريا ، وانضمت الى الرب جماهير غفيرة ^١ . وقد سمي اغناطيوس اي النوراني ، لانه رأى الملائكة النورانيين يسبحون الله بين فوجين ، فرتب ذلك في الكنيسة اسوة بهم ^٢ .

وفي سنة ١٠٥ زحف طربانس القيصر الروماني على مملكة البرثيين . ولما مر بانطاكية بلغه ما يبذله مار اغناطيوس من المساعي الجبارة في نشر المسيحية وتحطيم الوثنية ، فثار ثأره واستدعاه اليه محاولاً إقناعه ليرتد الى الوثنية . ولما لم يجبه الى سؤاله احتدم غيظاً وحكم ان يصعد بالاغلال وي طرح فريسة للوحوش في رومية . فسر القديس بذلك . ولما قدمت اليه السلاسل جثا مقبلاً إياها ، شاكراً الله الذي أهله لنيل إكليل الشهادة المجيد . ثم ودع رعيته التي ساسها اكثر من اربعين سنة ، وانطلق مسرعاً في صيف سنة ١٠٧ ، يخفره عشرة جنود قساة ، ويصحبه الشماس اغاكوبوس (اغاتوبوس) من سوريا ، فوصل الى سلوقية ، ثم غادرها بعد ان التحق به شماس آخر من سلوقية يدعى بيلون . وكان يثبت المؤمنين الذين كان يلتقي بهم مشجعاً إياهم على اقتحام الآلام من اجل المسيح . وفي آب وصل الى مدينة ازмир ، فهرع لاستقباله اسقفها بوليكربوس رفيقه في التلمذة ليوحنا الرسول . فأظهر له مار اغناطيوس سروره العظيم بنيل إكليل الشهادة . وقد وافى لزيارته في ازмир اونيسيموس اسقف افسس ، يصحبه قسوسه الاربعة : بورهوس واوبلوس وفرونتو وقرووقوس ، كما وافى اسقفاً تزلّس ومغنيزيا ايضاً وهما : بوليبيوس وداماس ^٣ . وفي ١١

(١) بطريكية انطاكية ص ١٢ .

(٢) تفسير ابن صليبي لانجيل متى ٢: ١٨ والتاريخ الكنسي لابن العبري مج ١ في ترجمة اغناطيوس .

(٣) لخصنا هذه الترجمة من تاريخ اوسابيوس ٣ : ٣٦ واخبار الشهداء والقديسين مج ٣ ص

١٩٩ - ٢١٤ والتاريخ الكنسي لابن العبري ، مج ١ وبطريكية انطاكية لنيل ص ١٥

- ٢١ والخريدة النفيسة ج ١ ص ٩٥ - ١٠٥ .

آب انفذ رسالة بديعة الى رومية ناشد مؤمنيهي ألا يحولوا دونه وطريق
الاستشهاد ، فيجرموه الرجاء الذي يبتغيه ^١ . وبما قال فيها : « اذكروا
بالصلاة كنيسة سوريا التي لها اليوم راع عوضي الاله يسوع المسيح
وحده ^٢ » . وفي اوائل ايلول كتب الى كنائس افسس ومغنيزيا
وتولس التي طلبت اليه بركته . وبعد ان غادر ازميز ووصل إلى تولس
(تروادة) كتب الى كنيسة فيلادلفيا وازميز ، والى القديس بوليكر بوس
مسالماً اليه كنيسة انطاكية ، طالباً ان يعتني بها باجتهاد ^٣ . ولما وصل
رومية اجتمع حوله المؤمنون وتبركوا منه ، ثم صلى لاجل الكنيسة ،
ولما انتهى من صلاته ساقه الجنود الى الامفيتر ، حيث كان بانتظاره
في ذلك المسرح الروماني نحو ٨٧ ألفاً من المتفرجين ، فطرح فريسة
للأسود . فوثب عليه اسدان وافترساه ، وذلك في ٢٠ كانون الاول
سنة ١٠٧ . فجمع الذين كانوا يصحبونه من مؤمني انطاكية ما ابقتهم
السباع من عظامه وعادوا بها الى انطاكية كنزاً نفيساً ، فدفنوها بكل
إكرام خارج باب انطاكية المعروف يومئذ بباب « دفنه » . ثم نقلت
على عهد ثاودوسيوس الثاني الى هيكل الشهداء الذي سمي منذ ذاك
« كنيسة مار اغناطيوس ^٥ » .

وقد ترك مار اغناطيوس للكنيسة كنزاً ثميناً هو رسائله السبع
الآنفة الذكر ، فيها حرض الكنائس التي وجه بها اليها على الثبات في
الايمان والتقليد الرسولي ، والابتعاد عن الهرطقة . وقد ذكرها
بوليكر بوس في رسالته الى اهل فيلبي قائلاً : « لقد انفذنا اليكم بحسب

(٣١) اوسابيوس ٣ : ٣٦ .

(٢) اخبار الشهداء والقديسين مج ٣ ص ٢١٠ .

(٤) روى بعضهم في ١٧ تشرين الثاني (اخبار الشهداء والقديسين مج ٣ ص ٢١٣) وله في
كلندار ابن خيرون ثلاثة اعياد في ١٧ تشرين الاول و ١٦ تشرين الثاني و ٢٩ كانون الثاني وهذا
الأخير لدفن عظامه .

(٥) المباحث الجليلة في الليتورجيات ص ٢٧ .

طلبكم الرسائل التي بعث بها اليها اغناطيوس ايضاً ، تجدونها ادناه ،
ويمكنكم ان تجنبوا منها فوائد حمة . فقد تضمنت إيماناً وصبراً وكل ما
يطلب لمخافة ربنا ١ .

الفصل الثاني

علماء الكنيسة في فلسطين



اريستون

هو احد اصحاب الاحتجاج عن الدين المسيحي المبين . ولد في اوائل
القرن الثاني في مدينة بلدة القريبة من بيسان شرقي الأردن . ونحو سنة
١٤٠ كتب رداً على اليهود على طريقة المحاوره بين ياسون وبابسكوس ،
فيه يجادل المسيحي اليهودي مبرهنناً من الكتب المنزلة بان نبوات العهد
القديم على المسيح انما تمت في يسوع الناصري . وكتب عن الثورة اليهودية
التي قام بها ابن كوكبا ضد القيصر هديران (١١٧ - ١٣٨) ، مدة ثلاث
سنوات وعنه نقل اخبارها اوسابيوس القيصري الى تاريخه الكنسي ٢ .

يوسطينس الشهيد

هو فلافيا يوسطينس بن بريسكي بن باكيس ٣ . ولد وثنيا في مدينة
نابلس بفلسطين حوالي سنة ١٠٠ او ١٠١ وتثقف في مدارس الفلاسفة وأخذ

(١) اوسابيوس ٣ : ٣٦ .

(٢) فيه ٤ : ٦ .

(٣) فيه ٤ : ١٢ .

بفلسفة افلاطون . وإذ كان قلق البال من جهة مبادئها : شرع يعنى في البحث عن الحق ، حتى برهن له شيخ جليل على ساحل البحر في افسس ، عما تشتمل عليه تلك المبادئ من الاضطراب ، وأرشده الى الكتاب المقدس . فانصب على مطالعته ليل نهار ، معاشراً للمسيحيين ، حتى انفتحت له ابواب الحكمة الالهية ، فأحبها وآمن واعتمد وهو في الثلاثين من عمره . وأخذ من ثم يجادل الوثنيين واليهود وهدى منهم خلقاً كثيراً . ورسم قساً . ولما اثار القيصر انطونينس بيوس (١٣٨ - ١٦١) اضطهاداً على الكنيسة : توجه إلى رومية للدفاع عن المؤمنين ، وقدم احتجاجاً عن المسيحية الى القيصر ومجلس المشيخة والشعب الروماني سنة ١٣٨ او ١٣٩ . وبين سنتي ١٦١ - ١٦٦ قدم احتجاجاً آخر اصغر الى القيصرين مرقس اوراليوس ولوسيوس ويروس ٢ . وانشأ في رومية مدرسة دينية . ومن اشهر تلاميذه ططيانس الفيلسوف السرياني . وكتب رداً على المعلم تريفون اليهودي ، وأفحم قريسقوس الفيلسوف الوثني الذي وشى به الى الوالي في رومية ، فاعترف بدينه جهراً واستشهد سنة ١٦٦ او ١٦٧ ، كما اخبرنا ططيانس . وكان يوسطينس يتوقع ذلك كما نوه في احتجاجه ٣ . وقد أطرى اوسابيوس القيصري ذكاه وتقواه ٤ .

هـجسيديس

ولد عبرانياً في فلسطين نحو سنة ١١٠ ، ودرس العبرانية والسريانية واليونانية . وحوالي سنة ١٥٠ تنصّر ، ثم اخذ يطوف في البلاد المسيحية ، يصحب الاساقفة ويسمع منهم ، ورسم قساً . ولما وُجد في رومية : اهتم بضبط جدول اساقفتها . ونحو سنة ١٨٠ عاد الى فلسطين ووضع

(١) اوسابيوس ٤ : ١٢ .

(٢) تاريخ جيزل ١ ص ١٥٣ واوسابيوس ٤ : ١٨

(٣) اوسابيوس ٤ : ١٦

(٤) فيه ٤ : ١٨ .

كتابه « الحواطر » باليونانية في خمس مقالات ، نقل منه اوسابيوس القيصري الى تاريخه الكنسي فصولاً عن استشهاد مار يعقوب اخي الرب وخليفته مار سمعان ابن كلاوبا وعن الرسل ودحض الهرطقة . وأثبت جدول الأساقفة لكراسي اورشليم وانطاكية والاسكندرية ورومية ، من زمن الرسل مؤسسيها ، ليهن ان في كل كنيسة اتصالاً وثيقاً بين تعليم الرسل المؤسسين وتعليم الأساقفة المعاصرين ^١ . وتوفي في هذه السنة .

الفصل الثالث

الفيلسوف ططيانس السرياني



أحد المناضلين عن الدين المسيحي المبين . وقد ذهب له في توقد الذهن شهرة طائلة امتدت الى آفاق المسيحية ، وكان لشخصيته البارزة اثر هام في تاريخ الكنيسة على عهد القيصر انطونينس بيوس (١٣٨ - ١٦١) ^٢ .

ولد ططيانس حوالي سنة ١١٠ في ولاية آثور (حدياب) في وادي دجلة ، في احضان اسرة اثورية نبيلة موسرة تدين بالوثنية ، وكانت لغة ابويه السريانية ، لغة اهل اشور في ذلك الحين . فترعرع في الوثنية وعرف بالاثوري ^٣ واغرم منذ صباه بالمسائل الدينية ، وكان رجلاً

(١) اوسابيوس ٤ : ٢٢ .

(٢) دائرة المعارف البريطانية طبعة ٩ مج ٢٣ ص ٨٠ .

(٣) ص ١١١-١١٢ Who's Who in the early church وجيزل مج ١ ص ١٤٤ .

موهوباً فدرس اللغتين السريانية واليونانية والخطابة والتاريخ ، وتبحر في الادب والفلسفة ، ثم اخذ يطوف في المملكة الرومانية كاستاذ سيار . بيد ان نفسه لم تكن مرتاحة لمبادئ الدين والفلسفة ، فشرع يبحث المسائل الدينية . وعلى هذه الحال وصل الى رومية حوالي سنة ١٥٠ حيث تقرب من المسيحيين ، ووقع على كتاب العهد القديم ، فراق له اسلوبه وتجلي له صدقه وحسن عنده تعليمه بوحدانية الله . ففضله على كتب فلاسفة اليونان والرومان واديانهم التي لم يجد فيها الا ضلالاً وفساداً . وكانت لحشمة المؤمنين وشجاعتهم واستمسكهم من دينهم بالعروة الوثقى تأثير عميق في نفسه . فاصبح من ثم في نظره كل العالم غير المسيحي مع فلسفته وتعليمه : ظلاماً دامساً ومسكناً للشياطين . ووضحت فلسفة البرابرة (كما يسمي المسيحيين) عنده : حكمة الله . فاعتنق الدين المسيحي . ثم رحل الى بلاد اليونان حيث اقام مدة بين سنتي ١٥٢ - ١٥٣ كتب في خلالها باليونانية خطابه المسمى « اوراتيو اذكريكوس » الذي وجهه الى اليونان الوثنيين ، رنّ به صيته بين المسيحيين عصرئذ . فيه ذكر مشاهير الوثنيين القدماء ، مبيناً سموّ المعتقد المسيحي على مذاهب اليونان والرومان الوثنية ، وتفوق كتبه في القدم على كتب اولئك ، ووضح صلاح المسيحيين وصدقهم وحشمة نساءهم ، وایمانهم الراسخ المؤسس على الوحي النبوي . ثم عاد باللائمة على الوثنية وفلاسفتها ، مشدداً عليها النكير . ورجع بعد هذا الى رومية حيث تتلمذ للقديس يوسطينس الفيلسوف . وبعد استشهاد هذا سنة ١٦٧ انشأ في رومية مدرسة . قيل انه استقى كثيراً من منهل والنطينس ايضاً . وقد نبغ من تلاميذه رودون الأسوي الكاتب الكنسي الشهير ^١ . وكان اقليميس الاسكندري يعرفه معرفة شخصية ، بل وقد تتلمذ له ايضاً مدة من الزمن ^٢ ، وذكره

(١) اوسابيوس ٥ : ١٣

(٢) دائرة المعارف البريطانية طبعة ٩ مج ٢٣ ص ٨٠ - ٨١ واوسابيوس ٤ : ٢٥

في كتابه ستروماتيس قائلاً : ان لغته كانت السريانية ^١ .
غير ان ططيانس شط وانحرف عن جادة الارثوذكسية ، فطردته
البيعة . وقد اخبرنا القديس ايريناوس بان ططيانس تبع قوماً عرفوا
باسم « الانكرائيت » افرطوا في الزهد ، فحرموا أكل اللحم وكل ذي
نفس ، وشرب الخمر ، والزواج ، وانكروا خلاص آدم ^٢ . فانتعشت به
هذه الشيعة ، بل قيل ان ططيانس انكر جسد المسيح الحقيقي . والصحيح
ان بعض عبارات خاطئة جرت على يراعه بينما كان يحاول ايضاح الواجبات
المسيحية ، دفعته اليها مشاكل الكتاب المقدس ، والغيرة المفرطة على
الزهادة . ولا شيء من هذا القبيل في خطابه الجليل الى اليونان الوثنيين ،
الذي صبر على آفات الدهر وصروفه ^٣ .

بعد هذا عاد الى بلاد ما بين النهرين حوالي سنة ١٧٢ و اقام على
الارجح في الرها حيث ألّف كتابه المشهور « دياطسرون » اي مزيج
الاناجيل الاربعة ^٢ ، وسيأتي الكلام عنه في مكان آخر . وقضى ططيانس
نحبه في الرها حوالي سنة ١٨٠

(١) ستروماتيس ٣ : ١٢ و ٨١

(٢) اوسابيوس ٤ : ٢٥

(٣) دائرة المعارف البريطانية طبعة ٩ مج ٢٣ ص ٨١

الفصل الرابع

القديس تاوفيلس الانطاكي (١٦٩ - ١٨٢)



في النصف الثاني من القرن الثاني كان يزين السدة البطرسية الانطاكية
خبير عالي الهمة ولاهوتي قدير وجدلي متفوق هو القديس تاوفيلس ، السابع
بين بطاركة انطاكية العظام .

ولد في احدى مدن ما بين النهرين^١ من والدين وثنيين^٢ . ولما
ترعرع انكب على الدرس والمطالعة . وكان متوقد الذهن . فنبغ في
علوم عصره باليونانية ، وقرأ كتب الشعراء والفلاسفة الوثنيين . غير ان
شعوره الديني لم يكن مرتاحاً لمبادئ الفلسفة لما كان يراه فيها من
التناقض ، كما يتضح لنا ذلك من خلال ما وصل اليها من مصنفاته .
لذلك انعكف على مطالعة الاسفار المقدسة والتنقيب في ما تضمنته من
لاي ، الآداب الجميلة وجواهر المعتقد القويم ، ليدرك كل الادراك حقائقها
وغوامضها ، علماً بفتح له ابواب الفلسفة الحقيقية . فتوصل الى معرفة الاله
الواحد^٣ ، واضطرم قلبه بنار الشوق والهيام لاعتناق الدين المسيحي .
فدخل فيه واعتمد . وقد اقنعه على ذلك الأدلة الطبيعية نفسها فضلاً عن

(١) قال الدكتور نيل اننا نفهم من مصنفاته انه كان من بلاد الكلدانيين (بطريركية انطاكية
ص ٢٨ و ٢٩)

(٢) Who's who in the early Church, P. 118

(٣) لمحة في بطاركة انطاكية تأليف قسطنديوس القسطنطيني ملحقة ببطريركة انطاكية
للدكتور نيل .

البراهين الكتابية الساطعة . فأصبح من ثم بطلاً مغواراً للنصرانية وعاملاً نشيطاً في حقل الكنيسة ، ضحى كل قواه وأوقف كل ميوله لمجد الله وإفادة البشرية ، يفلح في كرم الرب ويلقي بذار الايمان بين الناس . كما انه وقف قلمه للذود عن البيعة المجاهدة .

ولما فرغ الكرسي الانطاكي سنة ١٦٩ بانتقال البطريرك ايروس الى جوار ربه حامت الآراء حول المترجم ، فرشح الى الرتبة الاسقفية ورسم يوم كانت سفينة الكنيسة تتقاذفها امواج الشدة التي اثارها على المسيحيين الامبراطور مرقس اوراليوس . فما ان تسنم العرش الرسولي حتى شعر بحرب اخرى عوان اعلنها الأعداء الداخلون على الكنيسة . رأى بدعة مرقيان تقتحم الكنيسة بخيلها ورجلها ، فساءه ذلك جداً ، لا سيما وقد سرى سمها الزعاف في جسم المؤمنين ، واعملت خراباً خصوصاً في ابرشية انطاكية الواسعة . ولما كان قديسنا شديد الحرص والسهر على الايمان ، وتعليم المؤمنين اصوله الصحيحة : شمر عن ساعده ونزل إلى ميدان الجهاد للمحاربة عن رعيته بقلمه ، فصنف بعض مقالات بليغة في ثلاثة كتب دحضاً للتعليم الفاسد ، ودفاعاً عن صحة التعليم الرسولي . ونقض ايضاً بدعة هرموجانيس الافريقي ، وفي هذا يستشهد بسفر الرؤيا ^١ . وكتب شرحاً لسفري الامثال ونشيد الانشاد ، والانجيل الاربعة وغير ذلك ^٢ . كما انه كتب رداً شافياً وافياً على اوطوليكس الوثني ^١ . فظهر كاتباً لامعاً تجلت فيه مواهب الالهام والابداع ، رصع تصانيفه باثن درر الفصاحة والبلاغة قال فيها اوسابيوس القيصري : « انها تصلح لتعليم المسيحي وتهذيبه » ^١ . وقال علامتنا ابن العبري « ان تاوفيلس وضع مصنفات

(١) اوسابيوس ٤ : ٢٤

(٢) بطريركية انطاكية للدكتور نيل ص ٢٥

عديدة موعبة تعليماً صحيحاً . وكتب في أمور شتى « ١ » . ولكن لسوء الحظ فقد لعبت بها يد الضياع ما عدا مصنفه ضد اوطوليكس ، مع تنف من تصانيفه الاخرى صبرت على آفات الدهر .

اما مصنفه ضد اوطوليكس فهو جليل كبير الفائدة في ثلاثة اقسام ، انفراد بلياقة خاصة . وكان اوطوليكس حاكماً في انطاكية ، ويظن انه كان عالماً ومحباً للحق ٢ ، وصديقاً للقديس ثاوفيلس ٣ . غير انه كان يصنف كتباً يطعن فيها بالانجيل ، مزدرياً بالعقائد المسيحية ، ومستخفاً باسم « المسيحيين » نظير غيره من الكتّاب الوثنيين ، قلصص الأبيقوري وكريسنس الفيلسوف السينيكي ، والمنطقي كرنيليوس فرونتو ، وكان يجري على العادة التي ألفوها بتساؤلهم المسيحيين بتشامخ قائلين : « أرونا إلهكم » . فبين القديس بطلان الآلهة وعبادتها ، وكذب اساطير الوثنية ، وقبح نظريات الفلاسفة والشعراء الوثنيين وفساد تعاليمهم في التسري والاشتراكية والفجور ، وتشويش اخبارهم وكتبهم : بينما تتلأأ الحقيقة التاريخية والنواميس السامية في الكتاب المقدس ، الذي صرح بوحدانية الله وعنايته بخلقه ، والوصايا العشر ، ومحبة الغرباء ، وإطراء التوبة والعدل والرحمة ، ونبذ المجد الباطل ، والحث على الطاعة ، وضرورة الايمان ، وحقيقة القيامة والخلود ، وغير ذلك ، مستشهداً بالأنبياء بل وبسبيليا الحكيمه والنبية اليونانية ايضاً زيادة في التثبيت . واخيراً يضيف جدولاً تاريخياً منه ينجلي قدم اسفارنا المقدسة . وبعد ان يسرد البراهين الساطعة على حقيقة الدين المسيحي : يدعو اوطوليكس الى اعتناقه كما فعل هو لئلا ينزل به العقاب في اليوم الأخير . واليك بعض آرائه السامية : « إن الله لا يمكن ان يُرى بعين الجسد ولا بالنظر القلبي ما لم يتنق ويتطهر

(١) تاريخه الكنسي ، مج ١ في ترجمة ثاوفيلس . راجع ايضاً شهادة مار ميخائيل الكبير ص ١٠٩

(٢) لمحة في بطارقة انطاكية تأليف قسطنديوس القسطنطيني .

(٣) Who's who in the early Church, p. 118

من الخطية ، فإذا تجاسرنا وصورناه بشكل مجسم تعرّضنا لامتهان جلالة .
نعم ، ولو انه لا يُرى بالعين : غير انه يدرك من عنايته واعماله ،
وسوف يعاين بغاية الكمال ووجهاً لوجه حين يلبس هذا المائت الخلود .
« ان الايمان ضروري حتى في تحصيل العلوم والفنون البشرية . فهو يتقدم
كل شيء كقائد . فاذا كان ذلك كذلك فكلم بالاحرى بالنسبة الى الامور
الخاصة بالله الذي خلقنا » ؟ « ان التماثيل حين تكون في اليد ليس لها
اكرام خاص بالنظر الى صنعها ، ولكن حالما توضع في هيكل الاوثان
يخترّون ساجدين لها حتى الارض ، ويقر اساطين الوثنية بان هذه التي
جعلوها آلهة : كانت مائتة مثلنا » . « ان اسم المسيح يدل على
الممسوح وهو اسم شريف يبعث في القلب سروراً ، وجدير بغاية الوقار .
فاذاً لهذا السبب ندعى مسيحيين لأننا نسمح بزيت مقدس » .

ويذكر القديس توفيلس اتفاقاً مصنفاً آخر له يدعى « الكتاب الاول
في التواريخ » . غير انه لا يذكر في مصنفاته كلها شيئاً عن اسقفية ١ .
وقد اثبت المفسرون واللاهوتيون بانه اول من جاهر بالثالوث الاقدس
والجوهر الواحد ٢ . كما انه اول من صرح بان كاتب الانجيل الرابع
هو يوحنا الرسول ٣ . وكان قد عنّ له جمع الاناجيل في كتاب واحد
كما اخبرنا هيرونيمس ٤ . وقصارى القول فقد كان قديسنا مفخرة القرون
الاولى للمسيحية ، بما ناله من شهرة واسعة في الكنيسة المسيحية جمعاء ،
حيث اعلى شأنها بجهاده الشريف وتعاليمه الحقة ومؤلفاته الفريدة . وبعد
ان اكمل جهاده الحسن في هذا العالم انطقت شعلة حياته النيرة سنة

(١) بطريكية انطاكية لنيل ص ٢٩

(٢) بطريكية انطاكية ص ٢٩ وكتاب الخريدة النفيسة ج ٢ ص ٥١ وWho's Who in the

early church, P.118

(٣) دائرة المعارف البريطانية مج ١٠ ص ٨١٨ طبعة ٩

(٤) اللؤلؤ المنشور ص ٥٢٢

١٨٢ وقد عيِّدت له الكنيسة الشرقية في ٢٣ تموز^١ والكنيسة الغربية في ١٨ تشرين الاول^٢ .

الفصل الخامس

نصيب الكنيسة الانطاكية من الاضطهادات في القرن الثاني



في سنة ٩٨ تبوأ عرش المملكة الرومانية القيصر طريانس (٩٨ - ١١٧) . فآثار اضطهاداً على الكنيسة عرف بالاضطهاد الثالث في المملكة الرومانية . وحوالي سنة ١٠٤ تعدى البرثيون حدودهم فاستولوا على نصيبين والبلاد المجاورة لها ، فزحف عليهم طريانس سنة ١٠٥ وقهرهم . فقصد الرها ودخلها عنوة ، ودك جانباً منها . ولبغضه المسيحيين كان يفتك بهم أينما حل . واشتهر بين شهداء الكنيسة الانطاكية : القديس شربيل ، والقديس سمعان أسقف اورشليم ، والقديس اغناطيوس النوراني ، ودروسيوس ابنة القيصر طريانس .

فما شربيل كان كاهن الأصنام في الرها ، واهتدى الى المسيحية مع غيره على يد برسميو (حنعمدا) اسقف الرها^٣ . فنكل به لوسيات الحاكم ونشره بالمنشار ، وحز رأس اخته بيبي سنة ١٠٥ . اما برسميو

(١) كندار الربان صليبا بن خيرون .

(٢) انظر : The Martyrologies of Ado and Usuard

(٣) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٠٥ .

فقد عانى صروف المكاره ، ثم اطلق سراحه ، وأنزل منزلة المعترف ^١ .
والقديس سمعان اسقف اورشليم ، ألقى القبض عليه اطيقيوس حاكم
سوريا ، فعذبوه اياماً كثيرة ، فاحتمل ذلك بصبر عجيب حتى دهش
الحاكم لما رآه شيخاً بالغاً من العمر نحو ١٢٠ سنة ، يحتمل العذاب بمثل
هذا الصبر . ثم حكم عليه بالصلب سنة ١٠٦ . وهو آخر الجليل الذي
استحق ان يرى الرب ويسمع حكمة الله ^٢ .
وقد تكلمنا فيما سبق عن القديس اغناطيوس النوراني الذي صار
فريسة للوحوش في رومية سنة ١٠٧ .

اما دروسيس ابنة طريانس فقد رافقت أباه مرة الى انطاكية وآمنت
بالمسيح ، وعاشت العذارى المتنسكات ، واشتركت مع المسيحيين في
حمل اجساد الشهداء ليلاً . ثم استشهدت امام ابينا إذ أبت إنكار المسيح ^٣ .
ولما باد طريانس خلفه هديران سنة ١١٧ ، فجدد الاضطهاد سنة ١١٨ ،
وفيه استشهد القديس ايرون الانطاكي في ١٧ تشرين الأول سنة ١٢٧
بيد فيليبس قائد مدينة انطاكية ^٤ . وفي عهده قام اليهود بثورة ضد
الحكم الروماني برئاسة ابن كوكب الذي ادعى انه المسيح ، فاستولوا
على اورشليم بعد ان ظلت خراباً مدة ٦٢ سنة ، وجددوا بعض أبنيتها
المقوضة ، واضطروا بعض المؤمنين على الازعان لهم والاشتراك معهم
بثورتهم ، كما فتكوا بكثيرين منهم أبوا الانصياع الى امرهم . فحاربهم
القائد يوليوس سويروس مدة ثلاث سنوات ، وقتل منهم خمسمائة وثمانين
الفاً ، ودمر المدن اليهودية ، واخضعهم سنة ١٣٦ . وبعد ان ظفر
هديران بشرذمة اليهود : دمر ما بقي من ابنية اورشليم ، وبني مكانها

(١) بطريكية انطاكية لنيل ص ١٣ - ١٤ .

(٢) اوسايبوس ٣ : ٣٢ .

(٣) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٠٦ والدرر النفيسة ص ١٦٤ .

(٤) بطريكية انطاكية لنيل ص ٢٤ والخريدة النفيسة ج ٢ ص ٥١ .

مدينة اخرى رومانية دعاها « الياكابيتولينا » ، وامر ان لا يطاء اليهود فيما بعد ارض اورشليم إلا مرة في السنة ليبكوا مجدهم المندثر . فلما بلغ هذا مسامع المؤمنين من الأمم اي السريان والرومان واليونان : قدموا اورشليم واستوطنوها ^١ . ولما كان هيكل سليمان مطمح انظار اليهود ، وضريح المسيح ملجأ المسيحيين بل سبب حنينهم الدائم الى اورشليم : اراد هديران محو اسميها ، فأمر باقامة هيكل للمشتري « جوبيتر » على انقاض هيكل سليمان ، وهيكل لآدونيس بجوار مغارة بيت لحم ، ثم غطى مدخل القبر الخلاصي بالتراب وغمر الجبلجة ، وأنشأ ثم هيكلًا للزهرة .

وفي سنة ١٦١ ملك القيصر الفيلسوف مرقس اوراليوس (١٦١ - ١٨٠) ، فأثار على الكنيسة اضطهاداً عنيفاً سنة ١٦٢ ، دام الى ما بعد سنة ١٧٧ ، وسمي الاضطهاد الخامس . وفي اثنا عشر ضرب المثل القائل : « دماء الشهداء بذار الايمان » ^٢ ، ذلك لأن الكنيسة اتسع نطاقها بالأكثر بينما كان المضطهدون يحاولون استئصال شأفتها . واشتهر بين شهداء انطاكية في هذا الاضطهاد : القديس يوسطينس الفيلسوف النابلسي الشهير الذي استشهد في رومية سنة ١٦٧ ^٣ .

هذا في المملكة الرومانية ، اما في المملكة البرثية فقد اخبرنا المؤرخ مشيحا زخا في القرن السادس ان مار شمشون اسقف حدياب (١٢٠ - ١٢٣) قتله المجوس سنة ١٢٣ لأنه عمّد منهم خلقاً . وفي زمن ابراهيم الأول الملقب اسقف حدياب (١٤٨ - ١٦٣) اوقع المجوس الأذى بالمسيحيين وسلبوا اموالهم ، ولكنه اوقف اذاهم بحكمته وعجائبه . وفي زمن تلميذه وخلفه الاسقف نوح (١٦٣ - ١٨٣) ثار الاضطهاد ايضاً ،

(١) اوسابيوس ٤ : ٦ وبطريكية انطاكية ص ٢٣ و ٢٤ والخريدة النفيسة ج ١ ص ١٤٠ .

(٢) الخريدة النفيسة ج ١ ص ٤١ .

(٣) اوسابيوس ٤ : ١٦ .

فحُبِسَ مراراً وُجِلِدَ ١ . وهذا كافٍ ليبرهن لنا على ان الاضطهادات
أُثِبت من حين الى آخر على المؤمنين في هذه المملكة وإن طُمست اخبارها .

الفصل السادس

الكنيسة السريانية وترجمة الكتاب المقدس البسيطة



من المعلوم ان اسفار العهد القديم انزلت باللغة العبرية ما عدا سفر
ايوب الذي كتب اولاً بالعربية ثم ترجم الى العبرية ، وص ٢ : ٤ الى
ص ٧ من سفر دانيال الذي انزل بالسريانية ، واعداد كثيرة من سفر
عزرا (ص ٤ : ٨ - ٦ : ١٨ و ٧ : ١٢ - ٢٦) ومن سفر
نحميا ٢ . وفي سنة ٢٨٠ ق . م نقل الكتاب المقدس كله الى اليونانية
بامر بطليموس فيلادلفوس ملك مصر ، ووضعت نسخة منه في خزانة
الملك . واشتهرت هذه الترجمة بالسبعينية ، إما لأن مترجميها كانوا سبعين
نقراً ، او لأن مجمع اليهود العظيم الملتئم لحتم صحة هذه الترجمة كان اثنين
وسبعين شخصاً . وكانت تستعملها مجامع اليهود كلها ما عدا التي في
فلسطين ، وصارت سبباً ليفهم كثير من الامم العهد القديم .
وفي اواخر القرن الاول نقل العهد القديم العبري الى السريانية بواسطة
بعض اليهود المنتصرين ، وعرفت هذه الترجمة بالبسيطة ٣ ، واستعملتها

(١) انظر تاريخه بالسريانية طبعة منكننا عام ١٩٠٧ .

(٢) اللغة الشبية ص ٢٠ ومشكاة الطلاب ص ١٢٤ و ٢٨٤

(٣) اللغة الشبية ص ٢١ واللهجات الآرامية وآدابها لشابو ص ٣٧ واللؤلؤ المنشور ص ٤٤

الكنيسة السريانية دون السبعينية .

اما اسفار العهد الجديد ، فما عدا انجيل متى والرسالة الى العبرانيين ، فقد انزلت باللغة اليونانية ، لغة آسيا الصغرى وانطاكية وجنوبي فرنسا ورومية وغيرها ، بل لغة الادب والاجتماع عصرئذ . اما انجيل متى فقد انزل باللغة السريانية الفلسطينية ، والرسالة الى العبرانيين فقد كتبت بالعبرانية ، ونقلها مار اقليميس الروماني الى اليونانية فظنها بعضهم من قلمه .

لا شك انه وجدت في البلاد السريانية ترجمة سريانية للعهد الجديد ايضاً في اوائل القرن الثاني تستعملها كما ترجم العهد القديم . وإلا ، ماذا كانت تستعمل الكنائس السريانية الكثيرة في الرها وحدياب وعلى جانبي نهر دجلة خاصة ؟ فقد يرى بعض المؤرخين الثقات ان السريان في هذه البقاع كانت لديهم ترجمة سريانية كاملة للأناجيل . وفي النصف الثاني من هذا القرن صنف ططيانس الفيلسوف السرياني الآنف الذكر كتابه دياطرون ثم نقله الى اليونانية ، ، وذلك في خمسة وخمسين فصلاً ، مبتدئاً من الآية الاولى من انجيل يوحنا وهي « في البدء كان الكلمة الخ » (يو ١ : ١ - ٥) ، مقيداً فيه ما انفرد به كل من الاناجيل الاربعة . وقد استخدم تلك الترجمة السريانية في تصنيفه هذا ، مراعيّاً النص الاصيل ما استطاع الى ذلك سبيلاً . وإنما اغفل في هذا المؤلف الجليل نسب المسيح . وقد استشهد به العلامة افرهاط الفارسي وفسره مار افرام ١ .

وفي اواخر هذا القرن وجدت ترجمة سريانية اخرى للأناجيل الأربعة المنفصلة . وربما وضعها الاسقف فالوط الرهاوي سنة ٢٠٠ م عن النص اليوناني كما كان يقرأ في بيعة انطاكية مستعيناً بالدياطرون . ولكن هذه الترجمة لم يكن لها أي تأثير ، لان الدياطرون بقي كما هو ، شائعاً في

(١) وقد حفظت ترجمة هذا التفسير باللغة الأرمنية .

الكنيسة السريانية في القرون التالية . وفي القرن الثاني نفسه نقل الى السريانية العهد الجديد كله ما عدا رسالتي يوحنا الثانية والثالثة ورسالة بطرس الثانية ورسالة يهوذا . وعرفت هذه الترجمة ايضاً بالبيسطة . وقد اخترع لكتابة الانجيل خط يسمى « الاسطرنجيلي » . لا شك ان الخط السرياني اقدم الخطوط ، إلا ان شكله تغير مع تمادي الزمان ، حتى لم يبق من شكله قبل المسيح سوى بعض خطوط منقوشة على اضرحة اباجرة الرها وغيرها . وفي اواخر هذا القرن اخترع الاسطرنجيلي الآنف الذكر بولس بن عرقا السرياني الرهاوي ، فعرف بالرهاوي ايضاً . وبما انه استعمل اولاً في نسخ الانجيل : دعي الاسطرنجيلي . إلا ان الكتاب السريان اخذوا يستعملونه في تدوين مؤلفاتهم حتى القرن الرابع عشر ، ثم اقتصروا على تزيين رؤوس الفصول فقط به ^١ .

الفصل السابع

قضية عيد الفصح



حدث في الكنيسة خلاف في تعيين يوم عيد الفصح ، فكانت كنائس آسيا الصغرى تحتفل بذكرى الخلاص والصلب في اليوم الرابع عشر من شهر نيسان القمري ، وفي السادس عشر منه تحتفل بعيد القيامة في اي يوم اتفق من الاسبوع . وأما الكنائس الاخرى فكانت تفرز يوم الجمعة

(١) اللؤلؤ المشور ص ٢٦ و ٢٧

لذكرى آلام المسيح ، ويوم الأحد لذكرى قيامته . وكان كل فريق منهما ينسب تقليده الى الرسل القديسين الذين كانوا يحتفلون به كما يظهر من قول الرسول (١ كو ٥ : ٧) ومع هذا لم تنفصم العلاقات الحبية من بينهما وإن دام ذلك الخلاف زمناً طويلاً . وقد ارتأى بعض المؤرخين ان هذا الخلاف كان بين المنتصرين من اليهود والمنتصرين من الامم . فالاولون اعتبروا موت المسيح : حمل الفصح الحقيقي ، فقالوا انه يجب ان يتم مع انتهاء الفصح اليهودي في ١٤ نيسان القمري مساء ، فيعقبه في اليوم الثالث عيد القيامة . اما الآخرون فخالفوا التقليد اليهودي قائلين : ان عيد القيامة يجب ان يتفق في اول الاسبوع وان تخصص الجمعة السابقة له : لذكرى الصلب ، مع الصوم الكلي ، حتى منتصف ليلة الاحد . فكانت كنيسة رومة متمسكة بعادة المنتصرين من الامم ، غير ان كنائس آسيا الصغرى وحدها كانت متمسكة بعادة المنتصرين من اليهود ، مع ان كنائس فلسطين والاسكندرية نفسها نبذتها ^١ . وفي سنة ١٥٥ وجد في رومة القديس بوليكر بوس تلميذ يوحنا الرسول واسقف ازмир ، فجادل انيقطس الحمصي اسقف رومة (١٥٥ - ١٦٨) في هذا الشأن ، وبعد محاورة طويلة بينهما : لم يتمكن احدهما من اقناع صاحبه ، حيث افرغ كل منهما كنانة جهده في تثبيت رايه من التقليد الرسولي ، واحتفل بوليكر بوس بالذبيحة الالهية واشترك بها انيقطس ، ثم قفل راجعاً الى ازмир ، بعد ان اعاد كثيراً من الهراطقة في رومة الى كنيسة الله . وبقي كل فريق على تقليده ، وكان سلام في سائر الكنائس . ولما تسقف فيكتور على رومة في اواخر القرن الثاني : اثار القضية ، فكتب الى القديس بوليكرات اسقف افسس ليرك عادة بلاده وإلا قطع الشركة معه . وكان هذا شيخاً فاضلاً من اسرة تقية اتحفت الكنيسة بسبعة اساقفة ، فعقد جمعاً حضره خمسون اسقفاً من آسيا الصغرى ، رفضوا طلب فيكتور وقرروا

البقاء على عاداتهم . ثم كتب بوليكرات الى فيكتور وكنيسة رومة ذاكرآ التقليد الذي وصل اليه منوها بمشاهير كنائس آسيا الصغرى الذين جروا عليه بدءا من الرسولين فيلبس ويوحنا . فغضب فيكتور واراد ان يعكر سلام الكنيسة بقطع الشركة مع كنائس آسيا وتوابعها ظناً منه انه سيحصل على مصادقة اساقفة فلسطين وبنطس وغالية وكورنثوس ، إذ كانوا قد عقدوا هم ايضاً مجامع في اورشليم وقيصرية فلسطين وما بين النهرين والرها وافسس وكورنثوس وبنطس وليون . فلما ظهر رايه الى حين العمل لم تعبأ به كنائس آسيا الصغرى . وقد عاتبه القديس ايريناوس اسقف ليون وغيره من الاساقفة ، فأذعن لذلك ورجع عن رأيه ١ ، وبقي كل على عادة بلاده حتى المجمع النيقاوي . وفي زمن هذا المجمع كان السريان والانطاكيون وحدهم المدافعين عن العادة اليهودية ٢ .

وقد حفظ لنا التاريخ تفصيل المناقشة التي دارت في مجمع قيصرية فلسطين حول هذه القضية . فقد انعقد سنة ١٩٨ برئاسة تاوفيلس اسقف قيصرية فلسطين والقديس نرقيسوس اسقف اورشليم . غير ان التاريخ لم يخبرنا إلا باثنين آخرين من الأساقفة الذين حضروه وهما قاسيوس اسقف صور وقلاروس اسقف عكا (بوطولومايس) ٣ . فتداول المجمع اولاً في كيفية خلقه العالم ، فأيدوا من تاريخ الحلقة المدون في الكتاب المقدس : ان يوم الرب الذي هو الأحد : هو اول ايام الحلقة ، والسبت آخر ايام الأسبوع (تك ١) . ثم بينوا ان الربيع هو اول فصول السنة (تك ١ : ١١ و ١٢) . ثم صرحوا بان العالم وُجد في ٢٥ آذار ، وكانت الشمس في وسط المشرق (تك ١ : ٣ - ٥) والقمر بديراً (تك ١ : ١٤ - ١٦) .

(١) لقد لخصنا هذا الحادث التاريخي عن اوسابيوس ٤ : ١٤ و ٥ : ٢٣ و ٢٤ و ٢٥

(٢) دائرة المعارف البريطانية طبعة ٩ مج ٧ ص ٦١٥ .

(٣) اوسابيوس ٥ : ٢٣ .

وبعد ان قرروا هذا شرعوا بتعيين يوم عيد الفصح ، فاجمعوا على ان يحتفل بعيد القيامة في يوم الرب ، اذ تقديس بركات غزيرة ، اولاً لأن فيه انقشع الظلام واشرق النور . ثانياً : فيه تحرر الشعب من ارض مصر كما من ظلام الخطية ، وذلك بطريق البحر الاحمر كما من ينبوع المعمودية . ثالثاً : فيه مُنح الشعب طعاماً سماوياً اي المن . رابعاً : عنه اشار موسى حين امر الشعب قائلاً : فليكن هذا اليوم مكرماً لديكم . خامساً : ان ما قاله المرتل « احاطوا بي مثل النحل ، انطفأوا كنار الشوك » (مز ١١٨ : ١٢) : كان رمزاً الى قيامة الرب التي قال عنها بعد قليل : « هذا هو اليوم الذي صنعه الرب نبتيج وتفرح فيه ... الى قرون المذبح » (١١٧ : ٢٤ و ٢٧) . سادساً : فيه قام الرب . ولجل هذه الأمور يجب ضرورة ان يتفق عيد القيامة في يوم القيامة .

ولما انتهوا من تدوين هذه الامور : نشروها على الكنائس ، ثم انفرط عقدهم ١ . وقد جاء في آخر كتابهم ما يلي : « اجتهدوا ان ترسلوا صورة هذه الرسالة الى الكنائس الاخرى لئلا نصير سبباً للذين يخذعون انفسهم بسهولة . ونعلمكم انه في اليوم الذي نحتفل فيه نحن : يحتفلون في الاسكندرية ايضاً ، اذ تبودلت بيننا وبينهم رسائل حول هذه المسألة لكي نحتفل معاً بهذا اليوم المقدس » ٢ .

(١) بطريكية انطاكية لنيل ص ٣١ - ٣٤

(٢) اوسابيوس ٥ : ٢٦

الفصل الثامن

القديس نرقيسوس اسقف اورشليم



ولد القديس نرقيسوس حوالي سنة ١٠٠ م وتسقف على اورشليم في اواخر القرن الثاني ، وهو الخامس عشر في عداد اساقفة اورشليم الذين من الامم منذ قضي هديران على الثورة اليهودية الاخيرة سنة ١٣٦^١ . وقد رأيناه سنة ١٩٨ في مجمع قيصرية فلسطين الملتئم لبحث مسألة عيد الفصح . وقد علا صيت فضائله في الكنيسة ، وشرفه الله بفعل المعجزات . منها ان الزيت نفذ في سرج الكنيسة ليلة عيد الفصح ، فاشتد قلق المؤمنين ، فأمر القديس نرقيسوس بعضهم ليستقوا ماء من بئر في فناء الكنيسة ويأتوه به ، فصلى عليه فاستحال زيتاً . وحفظت بيعة اورشليم في خزانها شيئاً منه ذكراً للعجوبة . وقد رآه كثير من المؤمنين في زمن اوسابيوس القيصري اي بعد اجترار الاعجوبة ب ١٢٠ سنة كما شهد اوسابيوس نفسه^٢ .

ان قداسة نرقيسوس واستقامته اثارت ضده حسد بعض الأئمة فاتهموه بالفجور زوراً ، وقام ثلاثة منهم يستشهدون على السامعين بايمان مغلفة لتصديق وشايتهم . فقال احدهم : ان كنت كاذباً فلينزل بي الهلاك حرقاً بالنار . وقال الثاني : إذا كان لا صحة لما أقول فليبتلي الرب

(١) اوسابيوس ٥ : ١٢

(٢) بطريركية انطاكية لنيل ص ٣٤

بالبرص . وقال الثالث : اذا كنت اشهد زوراً فلأفقدنّ بصري . ولئن لم يصدق المؤمنون هذه التهمة ، إلا انها أثرت جداً في القديس نرقيسوس ، حتى انه اضطر الى هجر رعيته والاختفاء في القفار المجهولة . وقد بحثوا عنه بالتدقيق ولكن بلا جدوى . ولما مضى على اختفائه زمن طويل : رسم مكانه ديوس . وبعد مدة قصيرة حلت النعمة الالهية على متهميه ، فأصابت دار الأول شرارة نار فأحرقتها وياه ، وابتلي الثاني بالبرص فمات شرمية . ولما رأى الثالث ما حل بصاحبيه اعترف للناس جهراً بالدسيسة التي دبرها وصاحباها ، واستسلم الى العويل حتى غميت عيناه ١ .

اما القديس ديوس فبعد ان دبر بطهر بيعة اورشليم رديحاً من الزمن : توفي فخلفه جرمانوس ثم كوردديوس ، وفي عهده ظهر نرقيسوس بعد ان علم بظهور براءته ، وجاء اورشليم واستلم ادارة أبرشيته .

وفي سنة ٢١١ أطلق سراح مار ألكسندروس اسقف قبادوقية المعترف ، فتوجه الى اورشليم لزيارة الأماكن المقدسة ، فأوحى الى القديس نرقيسوس الشيخ ان يجعله معاوناً له في الحاضر ووارثاً لكرسيه في المستقبل . قيل ان هذا الوحي أنزل ايضاً على بعض المؤمنين في اورشليم . وعمل نرقيسوس والمؤمنون كما أوحى اليهم ، واضطروا مار ألكسندروس على الاقامة عندهم . فشارك القديس نرقيسوس في ادارة كنيسة اورشليم . وفي الرسالة التي أنفذها الى اهل انصنا سنة ٢١٦ يقول : « يسلم عليكم نرقيسوس الذي دبر هذه الأسقفية قبلي . فقد تجاوز الآن السنة المائة والسادسة عشرة من عمره . فهو يشترك معي بالصلاة ويطلب اليكم ان تكونوا باللفة » ٢ . وكانت هذه الرسالة موجودة في عهد

(١) التاريخ الكنسي لابن العبري مج ١ في ترجمة البطريرك زينا وبطريك انطاكية لنيل ص ٣٤ - ٣٥ والدرر النفيسة ص ٢٥٧ - ٢٥٨ .

(٢) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١١٣ - ١١٤ وبطريك انطاكية لنيل ص ٣٧

اوسابيوس . وتوفي القديس نرقيسوس بعد سنة ٢١٦ ، فانفرد مار
الكسندروس بإدارة الكرسي الأورشليمي . وأنشأ هناك خزانة كتب
كانت الأولى من نوعها في العالم المسيحي يومئذ^١ .

الفصل التاسع

القديسان سرافيون واسقليبياديس الانطاكيان

سرافيون (١٩١ - ٢١١)

هو التاسع في عداد الاحبار الانطاكيين ، جلس على عرش بطرس
سنة ١٩١ خلفاً للقديس مكسيميانس الاول ، فأظهر همه بعيدة وغيرة
شديدة على الكنيسة المقدسة وجوهرة إيمانها الرسولي . كان كاتباً فصيحاً ،
خلف عدة مصنفات جليلة ، حتى علا صيته في الكنيسة ، وتبوأ رتبة
عرموقة بين اللاهوتيين الاولين . وفي عهد مار ايرونيمس (٤٢٠ +)
عرفت مجموعة كبيرة من رسائله ، الأمر الذي يدل على الاسم العاطر
وقداسة السيرة التي كان متصفاً بها^٢ . ومن أشهر رسائله ثلاث ، الواحدة
الى الكليريكيين قاريقوس وبونتios ، والثانية الى شخص يدعى
دومنينوس ، والثالثة الى كنيسة روسوس الجائئة على خليج ايسوس
في كيليكية .

(١) الدرر النفيسة ص ٢٨٢ .

(٢) بطريركية انطاكية ص ٣٦ .

فالاولى رد فيها على بدعة المونطانيين ، ذاكرًا ما كتبته عنها مار
قلوديوس ابوليناريوس اسقف هيرابوليس ، مبرهنًا على ان الكنيسة بأجمعها
قد شجبتها . وأردف قائلا : « ولكي تعلموا ان كذب ما يدعى نبوة
جديدة قد نبذته الكنيسة بأجمعها في كل العالم : ارسل اليكما بما كتبته
الاسقف المغبوط قلوديوس ابوليناريوس الذي كان في هيرابوليس آسيا » .
والاظهر ان هذه الرسالة كانت عامة ، وقعها عدة اساقفة . فقد
وقع احدهم بهذه الصورة « اوريليوس كيرينوس الشهيد ، أصلي لكي
تكونوا معافين » . ووقع آخر هكذا : « اوريليوس (ايليوس)
بوبليوس يوليانوس (بوبليوس يوليوس) اسقف من مقاطعة تراقية ، حي هو
الله الذي في السماء ، ان سوطوس المغبوط الذي في انكيالا اراد اخراج
الشیطان الذي كان في بريسكلا ولم يدعه المراءون ١ » .

والثانية وبخ فيها دومنينوس الذي كان مسيحيًا فارتد عن الايمان
وتهود إبان اضطهاد القيصر سبتيموس سويروس (١٩٣ - ٢١١) .
اما الثالثة فقد رد فيها على الانجيل الذي نحله قوم بطرس الرسول ،
ونقض عدة نقاط فيه تخالف الحق . واليك بعض ما جاء في هذه الرسالة :
« فلنقبلنا ايها الأخوة بطرس وباقي الرسل كما نقبل المسيح ، ولكن يجب
ان ننبد ظهراً المؤلفات التي تحمل اسمهم زوراً كمن لنا مهارة في الأمر ،
عالمين اننا لم نستلم قط بالتقليد مثل هذه الامور . ظننت حين زرتكم
انكم كنتم جميعاً قد فهمتم الايمان القويم ، ولم تكونوا بعد قد استعملتم
الانجيل الذي رفع إلي حاملاً اسم بطرس ، فقلت إذ ذاك : إذا كان
هذا الأمر وحده ينشئ بينكم حزازات فليقرأ . اما الآن فاني اشعر
تماماً بان افكارهم تتأبط بدعة خفية ، وذلك بما كان قد قرئ آنذاك .
سآتي اليكم عاجلاً ، فانتظروني قليلاً ايها الاخوة ٢ » .

(١) اوسابيوس ٥ : ١٩

(٢) بطريركية انطاكية لنبل ص ٣٥

وقد فند في هذه الرسالة ايضاً مبتدعاً يدعى مرقيانس .
وبعد ان رأس الكرسي الرسولي عشرين سنة بسيرة فاضلة لى دعوة ربه في
سنة ٢١١ .

اسقليفياديس (٢١١ - ٢٢٠)

ترجع على العرش الانطاكي خلفاً لسرافيون . وكان قد فاز برتبة المعترف ايام
سلفه ، مجاهداً في سبيل الايمان ١ في اضطهاد سبتيموس سويروس . ولما
بلغ نبأ انتخابه الى القديس المعترف مار الكسندروس اسقف قيصرية قبادوقية
وهو سجين يذوق مر العذاب من اجل الايمان بالمسيح ، كتب تهانئ
رقيقة الى بيعة انطاكية ، اعرب فيها عن اغتباطه بهذا النبأ ، وأثنى ثناء
عاطراً على القديس اسقليفياديس والقس اقليميس الاسكندري الشهير الذي
حملة تلك الرسالة . وقد جاء فيها : « الكسندروس عبد يسوع المسيح
وأسيروه ، الى بيعة انطاكية المغبوبة سلام بالرب . لقد جعل الرب اغلالي
خفيفة ومحملة حينما بلغني وأنا سجين ان اسقليفياديس المحمودة شمائله المحبوب
من اجل فضائل ايمانه : اقبل بالنعاية الربانية درجة اسقفية بيعتكم
الانطاكية المقدسة » ٢ . والقديس الكسندروس خلف بعدئذ القديس
نوقيسوس في كرسي اورشليم كما رايت . وبعدما دبر اسقليفياديس الكنيسة
الانطاكية تسع سنوات نقله الله اليه في سنة ٢٢٠ .

(١) التاريخ الكنسي لابن العبري ، مج ١

(٢) بطريكية انطاكية لنيل ص ٣٧ والدرر النفيسة ص ٢٦ عن اوسابيوس ٦ : ١١

الفصل العاشر

الفيلسوف برديسان السرياني



هو الكاتب السرياني الفذ والشاعر الموهوب الذي تغنى السريان بشعره .
ينتمي إلى أسرة سريانية وثنية شريفة من بلاد حدياب ، واسم أبيه نوحاما
وامه نحشيرم . غادر ابواه اربيل عاصمة حدياب حوالي سنة ١٤٤ ووجهتها
الرها ، فوصلا إليها في عهد ملكها معنو الثامن (١٣٩ - ١٦٣) ، فولد في
١١ تموز سنة ١٥٤ بالقرب من نهر ديسان الذي يروي هذه المدينة ،
فسمي باسمه « ابن ديسان »^١ . تعلم في البلاط الملكي مع ولي العهد
ابجر ابن الملك معنو^٢ تعليماً راقياً ، متوقلاً سلم العلوم باللغتين السريانية
واليونانية ، فأحكم السريانية خاصة ، وتبحر في العلوم الفلسفية .
وأقام في الرها حتى سنة ١٦٣ حين خلع معنو الثامن وخلفه الملك وائل .
ثم رحل مع أبويه إلى منبج حيث سكنوا عند رجل يدعى كودوز . وهناك
تفقه في العلوم الوثنية على يد أحد كهانها . ولما مات أبواه تبناه كودوز
وشجعه على دراسة علم الفلك فبرع فيه . وقد شهد عن نفسه بعدئذ
بتشربه الآداب الآرامية القديمة في بابل^٣ ، ويسأل تلميذه عويدا مفاخرأ

(١) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١١٠ والتاريخ الكنسي لابن العبري مج ١ في ترجمة اسقليفاديس
ومختصر تاريخ الدول له ص ١٢٥ .

(٢) تاريخ جيزلر مج ١ ص ١٢١ (حاشية) .

(٣) شرائع البلدان لبرديسان ص ١٢ .

« هل قرأ هو ايضاً مثله كتب بابل وآدابها الآرامية ؟ ١ . ولما أتم الخامسة والعشرين من عمره : عاد الى الرها سنة ١٧٩ حين تبوأ عرشها أبجر التاسع رفيقه في الصبا . وفيما هو يمر بجانب الكنيسة التي كان قد بناها ادى البشير : سمع اوشتاسب اسقف الرها يعظ الشعب . فمست اقواله قلبه ، فتاق الى معرفة اسرار المسيحية . ولما بلغ ذلك مسامع اوشتاسب : أرشده وعمده ورسمه بعد مدة شماساً . فأخذ من ثم يجبر بالسريانية مقالات رائعة رداً على اهل البدع ، وانتصاراً للدين المسيحي المبين ٢ . فرن صيته في كل الأقطار . واستعاد مكانته في البلاط الملكي ، حيث كان الملك ابجر التاسع يبالغ باكرام مثواه . وترأس ايضاً مدرسة الرها . وقد ذكر بعض اليونانيين انهم زاروا هذه المدرسة ورأوا الشاب برديسان الذي كان يمثل الثقافة المسيحية خير تمثيل . وروى اوسابيوس القيصري انه صنف مقالات كثيرة بالسريانية رداً على مرقيون وغيره من اهل البدع ، نقلها اصحابه الكثيرون الماهرون الى اليونانية . منها مقالة في الفلك وكتاب في القدر سماه « شرائع البلدان » ، وضعه سنة ١٩٧ إبان الاضطهاد ٣ . وهو اول كتاب سرياني في الفلسفة في الدور المسيحي ، املاه على تلميذه فيلبس مصرحاً فيه بوحدانية الله . كما انه الكتاب الوحيد الذي وصل الينا من مصنفاته . ونسب اليه بعضهم مزامير سليمان وهي ٤٢ مزمور بانشاء سرياني عال ذات معان سامية ٤ .

كان برديسان فيلسوفاً مرموقاً وشاعراً مفلحاً قرض الشعر السرياني وتوسع باوزانه . غير انه كان تياهاً معجباً بنفسه ، ولم يكن قد تنقى تماماً من آراء الوثنية ، لذلك سقط في بدعة والنطينوس وزاد عليها وخلط

(١) فيه ص ١٨ .

(٢) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١١٠ - ١١١ .

(٣) اوسابيوس ٤ : ٢٦ .

(٤) اللؤلؤ المشور ص ١٩٣ .

بعض آراء الوثنية في المعتقد المسيحي . وقد اخبرنا مار افرام ان برديسان
دسّ اذاليه في ١٥٠ نشيداً نظمها على نسق المزامير مخترعاً لها الالخان ،
فاقتن بانشادها الفتيان والفتيات في الرها ١ .

اما بدعة برديسان فقد اختلف في امرها المؤرخون . فقال بعضهم انه
اعتقد باكثر من إله واحد . وقال آخرون انه قال بثلاث ذوات او
طبائع واربعة كائنات صارت ٣٦٦ عالماً وكائناً ، وان الذي كلم موسى
والانبياء لم يكن الله بل رئيس الملائكة ، وأن مريم لم تلد جسداً قابل
الموت بل نفساً نيرة اتخذت شكلاً جسدياً ، وانكر القيامة العامة ٢ .

وقد انشأ برديسان شيعة الديصانية انضم اليها كثيرون من اعيان الرها .
فلما تأكد من ضلاله عقي اسقف الرها خلف اوشتاسب : وعظه ، وإذا
لم يجد نفعاً حرمه ٣ . ومات سنة ٢٢٢ . وقد ترك ثلاثة اولاد ، اشتهر
منهم هرمونيوس لانه كان يقرض الشعر كأبيه ، والآخران ابحر وحسادو .

(١) الدرر النفيسة ص ٢٥٠ والؤلؤ المنشور ص ١٩٢

(٢) التاريخ الكنسي لابن العبري في ترجمة مار اسقليفياديس ، ومختصر الدول له ص ١٢٥

(٣) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١١١ .

الفصل الحادي عشر

الكتب المنحولة او المزورة



لقد شهد اوريجانس واوسابيوس وايرونييمس بوجود كتب منحولة اسماء الرسل وغيرهم ، لفقها بعض الهرطقة في القرون الثلاثة الاولى . منها اناجيل بطرس وتوما وبرتلماوس ومتى ويعقوب ونيقوديمس وابولوس وفيلبس وبرنابا وتدي ، والاسرائيليين والمصريين والنبي الكسيا . اشهرها انجيل العبرانيين السرياني المدعو انجيل الناصريين ، وكان يستعمله الآبيونيوت ايضاً . اما انجيل نيقوديمس فيتكلم عن موت المسيح ، والامور التي جرت امام بيلاطس ، والرسائل التي تبودلت بين هيروودس وبيلاطس . وانجيل يعقوب يحوي قصة مطولة للعدراء مريم . وانجيل الكسيا النبي كان يكثر بعض الهرطقة من اجلاله . وبعض هذه الاناجيل تحوي اخبار طفولة المسيح .

وعلى هذه الصورة وجدت باسماء الرسل رسائل واعمال ورؤى وقصص كثيرة ، منها رسالة الرسل ورسالة بولس الى اهل الاسكندرية واخرى الى اهل لاوذيكية وثالثة الى اهل كورنثس ، واربع عشرة رسالة تبودلت بينه وبين سينيكا الرواقي ، ورسالة ثانية ليعقوب اخي الرب ارسلها الى قودوراطس المؤمن الايطالي ، مؤداها ان اليهود حاولوا طمس حقيقة قيامة المسيح ، فرشوا الحراس ، وان طيباريوس اصدر حكماً ضد اليهود ، وغير ذلك . واعمال بطرس وبولس واندراس ويوحنا وتوما

ومتى ومتياس ، ورؤى بطرس وبولس واسطيفانس وزكريا ، وكتاب
اختطاف بولس الى السماء الثالثة ، وبشارة بطرس وبولس ، وقصة يوسف
الرامي ، وبعض تزويرات ادخلت على قصة انتقال العذراء ، وغير ذلك .
ولم يزل اكثر هذه الكتب في عالم الوجود حتى الآن ، الا ان
الكنيسة نبذتها نبذ النواة ، ما عدا بعض الاعمال والقصص بعد ان نفتها
من البدعة . وقد وجد معظمها بالسريانية اولاً ثم نقل الى
غيرها من اللغات .

ويمكننا ان نضيف الى هذه الكتب قصة العذراء وهي ستة اسفار
بالسريانية ، وتنسب الى تاوفيلس بطريرك الاسكندرية (٣٨٤ - ٤١٢)
تناول البحث فيها كل ما يخص العذراء منذ ولادتها حتى انتقالها . بل
ان هذه القصة يمكن تلخيصها من الانجيل المنحول يعقوب والانجيل المنحول
متى وانجيل طفولة المسيح المنحول توما العبراني والانجيل الذي يتكلم
على ولادة العذراء مريم وانتقالها .



الباب الثالث

من سنة ٢٢٥ — ٣١٢

•

الفصل الأول

انتشار المسيحية في المشرق

•

« المشرق » اسم للبلاد التي كانت واقعة شرقي المملكة الرومانية ، اي بلاد اثور وفارس ، كقول الانجيل « جاء المجوس من المشرق » (مت ٢ : ٢) . وكانت هذه البلاد تسمى بلاد الآراميين ايضاً . وقد اشرق عليها نور الانجيل في القرن الاول بالطرق التالية :

١ - ان المجوس الذين سجدوا للرب يسوع وهو في الثانية من عمره ، وقدموا له الهدايا اعترافاً برسالته الالهية ، كانوا اثوريين ^١ . ولا بد انهم آمنوا به واذاعوا خبر ميلاده في بلادهم ، لان ملاك الله كان يهديهم في حلهم وترحالهم .

٢ - لما حل الروح القدس على الرسل يوم العنصرة : كان في اورشليم

(١) مدراش مارافرام بعنوان « مناغة مريم وسجود المجوس » ، وخطبة الذهبي الفم في « تجسد ربنا يسوع المسيح وان مريم العذراء هي والدة الاله وقديسة » مفسراً نبوة اشعيا (١٩ : ٢٤) ، وقصيدة السروجي في المجوس (بيجان ١ : ٨٧ سنة ١٩٠٥)

فرثيون وماديون وآلانيون (عيلاميون) والساكنون ما بين النهرين (اع ٢ : ٩) كانوا قد أموا اورشليم لحضور عيد العنصرة ، وسمعوا خطبة مار بطرس التي جذب بها ثلاثة آلاف نفس الى حظيرة الكنيسة ، وشاهدوا العجائب التي حدثت هناك آنئذ . لا شك انهم عند رجوعهم الى بلادهم نشروا تلك الاخبار العجيبة في البلاد التي اجتازوها . وهكذا مهد هؤلاء والمجوس طريق البشارة في المشرق .

٣ - رأينا في ما مضى بعض الرسل والمبشرين ينشرون البشارة الخلاصية في المشرق ، واعتنق المسيحية بواسطتهم جماهير غفيرة ^١ . وفي القرن الثاني كثر عدد الكنائس ، وانتظمت الابشيات الاسقفية في اماكن عديدة ، حتى اصبح هناك في الربع الاول من القرن الثالث اكثر من عشرين أبرشية كما نخبرنا مشيحا زخا المؤرخ الحديابي (الأربيلي) ، اشهرها بازبدي (ازخ الحالية) ، وكرخ سلوخ (كركوك) ، وكسكر ، وفرات ميسان (البصرة) ، وحدياب (اربيل) ، وحلوان ، والاهواز ، وسنجار ، وبيت قطر (نجران واليامة) ، واليمن ^٢ .

وفي صدر هذا القرن دخلت المسيحية جزيرة سوقطرة ، وفي اواخره صارت كرسياً اسقفياً . وكان اهلها يصلون بالسريانية كما ذكر العلامة البطريك فوتيوس القسطنطيني في مكتبته ^٣ . وفي صدر هذا القرن ايضاً اشرق نور المسيحية على مدينة ريوردشير القريب موقعها من مدينة بوشير ، وكانت عاصمة فارس احد اقاليم الدولة الفارسية . وفي الربع الاخير منه اصبحت كرسياً اسقفياً ^٤ ، ثم مطرانياً . وكان مطرانها يرأس بلاد القطريين ومرو وكرمان وشيراز وجزيرة سوقطرة والهند ^٥ . اما بلاد

(١) هنا ص ٨٢-٨٣

(٢) في ترجمة الاسقف حيران .

(٣) الدرر النفيسة ص ٣٩٢ و ٣٩٣

(٤) ذخيرة الأذهان مج ١ ص ١٤٨ ومج ٢ ص ١٠١ وتاريخ الكنيسة السريانية الهندية

المؤلف ص ٢١ - ٢٣ .

الصين فقد نفذت اليها المسيحية من بلاد الهند ، إما بواسطة مار توما الرسول في رأي بعضهم او بعض تلاميذه في القرن الثالث في رأي البعض الآخر ١ .

الفصل الثاني

اساقفة ابرشيات المشرق

ولئن انتعشت وازدهرت ابرشيات المشرق ، إلا ان سلسلة اساقفتها واخبارها في صدر المسيحية لم تحفظ ما عدا اسقفية ولاية حدياب (اربيل) التي اسسها مار أدي البشير ، فهي الوحيدة التي حفظها التاريخ ووصلت اليها بواسطة الراهب النسطوري مشيحا زخا الآنف الذكر الذي عاش في المئة السادسة ٢ . غير اننا نرى في هذا التاريخ وغيره اسماء بعض من اساقفة تلك الابريشيات ايضاً اشتهروا في هذه الحقبة .

فحوالي سنة ١٢٠ يُذكر مزارا اسقف بازبدي ، فانه قلّد الاسقفية نحو هذه السنة شمشون ثاني اساقفة حدياب ٣ . وفي اواسط المئة الثالثة يرد ذكر شوبجا ليشوع اسقف بازبدي في عهد شجلوفا تاسع اساقفة حدياب ، فقد جاء اليه واقاما معاً سنة كاملة ، ثم توجهوا الى حربث جلال حيث رسما اسقفاً ، ومنها الى شهرقرد حيث وجدا بعض المؤمنين

(١) ذخيرة الازهان مج ٢ ص ٩٩ وتاريخ الكنيسة السريانية الهندية ص ١٨

(٢) طبع تاريخه السرياني منكننا سنة ١٩٠٧

(٣) في ترجمة الاسقف شمشون .

كانوا قد أمّوها من بلاد أخرى ، فرسما لهم قسيساً ، إذ كانت أسقفهم قد توفي قبل مدة يسيرة . ثم عادا الى اربيل ، ورجع شوبجا ليشوع أسقف بازبدي منزهلاً من النظام العجيب الذي تسير عليه الكنائس ، وبعدد المسيحيين الفقير . فسار هو أيضاً على بعض النظام الذي رآه ، متعجباً بعظمة أبرشية حدياب وقوانينها البيعية والرسولية ^١ . وورد أيضاً ذكر شبتا أسقف بازبدي ، فقد رافق آحادابوي خلف شحلوفا ، وزخا يشوع أسقف حربث جلال الى قطيسيفون حيث أقاموا سنة كاملة ، وفيما هم هناك ثار ثائر المجوس على المؤمنين ، فهرب شبتا هائماً على وجهه ^٢ .

و كرخ سلوخ : عُرف أسقفها الاول باسم قريطي ^٣ . وكسكر : اشتهر أسقفها مار ارخيلاوس في مجادلة ماني المبتدع (٢٧٥) ^٤ .

واليمن : وهي بلاد الحميرين زارها حوالي سنة ١٨٠ القس بنتينس الاسكندري ، الذي تصدر بعدئذ للتعليم في المدرسة الاسكندرية اللاهوتية ^٥ ، وقد انشيء فيها بعض أسقفيات . وفرات ميشان : اشتهر أسقفها داود في النصف الثاني من القرن الثالث ، اذ حضر رسامة فافا اول اساقفة سليق وقطيسيفون ^٦ . ولشدة حرصه على البشارة الخلاصية غادر كرسيه في الربع الاخير من هذا القرن قاصداً بلاد الهند حيث نصر خلقاً كثيراً ^٧ . فضلاً عن هذا فقد ورد اسم زخا يشوع أسقف حربث جلال كما اسلفنا ، واسم حي بعل أسقف السوس الذي حضر رسامة فافا المذكور ^٨ .

(١) في ترجمة الاسقف شحلوفا .

(٢) في ترجمة الاسقف آحادابوي .

(٣) الدرر النفيسة ص ١٩٩

(٤) فيه ص ٣٢٧

(٥) اوسابيوس ٥ : ١

(٦) التاريخ الكنسي لابن العبري مج ٢ في ترجمة فافا .

(٧) اخبار الشهداء والقديسين طبعة بيجان مج ١ ص ٢٩٢ .

(٨) تاريخ مشيخازخا في ترجمة الاسقف آحادابوي .

اما ابرشية حدياب فقد قام فيها حتى اواخر القرن الثالث احد عشر اسقفاً ، اولهم فقيداً حوالي سنة ١٠٤ وآخرهم شريعاً حوالي سنة ٢٩٠ - ٣١٦ . ومن اخبارهم تعرف حالة الدين المسيحي في تلك الاصقاع من جهة انتشاره وما المّم به من المكاره . وقد علمنا من مشيحا زخا انه كان في هذه الابرشية نظام بيعي عجيب ، وعدد وافر من المسيحيين ، ولا سيما في عهد شحلوفا اسقفها الآنف الذكر .

الفصل الثالث

القريش بابول الانطاكي



قام القديس بابولا خلفاً لما زينا في الكرسي الانطاكي سنة ٢٣٧ وهو الثالث عشر في عداد الاحبار الانطاكيين . فاحسن تدبير الكرسي الرسولي ورعاية المؤمنين ، وتميز بالمحافظة على شرف رئاسة الكهنوت السامية بحكمة وبطولة حريتين باخبار بيعة الله ، مفضلاً الطاعة لله على البشر . وهكذا كان الملك والمملوك سيّين عنده . والخبر التالي يؤيد ما نحن بصدده :
في سنة ٢٤٤ انتخب القائد العربي البصري الحوراني فيليب ٢ : قيصرآ لرومية ، وهو على نهر الفرات مع جنوده في حرب الفرس . فعقد صلحاً مع الفرس وهم بالرجوع الى رومية للتربع على عرش المملكة . وفي نيسان فيما هو راجع عرج على انطاكية ، فبلغها يوم السبت والمؤمنون

(١) راجع تاريخ مشيحا زخا .

(٢) دائرة المعارف البريطانية مج ١٨ ص ٧٥٥ طبعة ٩ .

يحتفلون بعيد الفصح ليلاً . فاراد الدخول الى الكنيسة للاشتراك بصلاة الفصح . وقد اخبرنا اوسابيوس القيصري انه كان مسيحياً . وايد ذلك ايرونيمس وغيره من كتبة البيعة ^١ . ولكن الاحسن ان يقال انه كان مسيحياً اسماً ، اذ لم يكن للمسيحية اثر ما في سيوته ومملكته ^١ ، اي انه كان يعيش كالوثنيين ^٢ . وعلى الأرجح انه ولد مسيحياً ، وبمعاشرته الوثنيين تسربت اليه بعض المحارم . واذ كان قد بلغ القديس بابولا امر محارم الملك ، ولا سيما تدبيره فتنة اغتيال فيها سلفه القيصر غورديان الثالث ^٣ : فلما ابصره قادماً الى الكنيسة ، لم يهرب من صولته بل تقدم اليه ووقفه عند عتبة الباب مانعاً اياه من دخول البيعة قائلاً : « بما انك قد تواطأت في اغتيال سلفك لن تستطيع دخول بيعة الله » ، « كما ان الكنيسة لن تقبلك الا في صف التائبين حتى تنتهي من المحارم ، تاركاً لك زوجة واحدة فقط من ليست من اقربائك اي من الوجوه المحرمة » .

فأذعن القيصر العربي لأوامر البيعة ، وكان يقف وقت الصلاة خارج البيعة مع الموعوظين الذين اعتنقوا الدين المسيحي ولم يعتمدوا بعد ^٤ . وقد رفع هذا الأمر منزلة القديس بابولا في اعين المؤمنين ، وعلمهم درساً خالداً في التقوى وحفظ وصايا الله .

وفي سنة ٢٥٠ ملك داققوس فأثار اضطهاداً عنيفاً على بيعة الله ، فأمر القائد نومريانوس ^٥ القديس بابولا ان يضحى للأوثان . ولما أبى ذلك بشجاعة عجيبة : قضى عليه القائد بالجلد والسجن مكبلاً بأغلال في عنقه ورجليه . وكان بابولا شيخاً قد طعن في السن ، فهش الى ميدان الشهادة

(١) في المصدر السابق ، وكتاب Who's who in the early church, P. 97.

(٢) اخبار الشهداء والقديسين طبعة بيجان ، مج ٤ ص ٢٧٤ حاشية .

(٣) اوسابيوس ٦ : ٣٤ .

(٤) مختصر الدول لابن العبري ص ١٢٦ .

(٥) اخبار الشهداء والقديسين مج ٤ ص ٢٧٤ .

بقلب ثابت . وقد سجن معه ثلاثة اخوة صغار هم : بربدوس وعمره ثلاث عشرة سنة وابيلسيوس وعمره تسع سنين واربوس وعمره سبع سنين ^١ ، كان البطريك يعلمهم مبادئ الدين المسيحي . وقد اختلف المؤرخون في امر استشهاد مار بابولا ^٢ . فقال اوسابيوس ان نفسه النقية فاضت في السجن . وروى الذهبي الفم ان ذلك تم بالشهادة إذ اخرج من السجن الى موضع حيث قطع رأسه بعد ان أوصى بدفن اغلاله معه ^٣ . وهكذا انتقلت نفسه الى خدور العلي سنة ٢٥١ بعد ان دبر الكنيسة اربع عشرة سنة ، محتملاً المكاره حباً ليسوع ^٤ .

الفصل الرابع

فابيوس الانطاكي وسقاو كنيسة رومة



بعد ان عقد اكليل الشهادة للقديس بابولا : خلفه مار فابيوس سنة ٢٥١ . ودبر الكنيسة الانطاكية نحو ثلاث سنوات وتوفي سنة ٢٥٤ . وكان حازماً وشجاعاً ، يبرهن على ذلك استلامه دفعة الكرسي الرسولي وهو لم يزل مخضباً بدم القديس بابولا سلفه . وكان مواظباً على مراسلة

(١) كلندار ابن خيرون في ٢٣ كانون الثاني .

(٢) لقد صرح مار قبريانس في رسالته الـ ٥٢ بان مار بابولا كان احد الذين استشهدوا في

اضطهاد داقبوس (انظر جيزلر مج ١ حاشية ص ١٩٣) .

(٣) بطريركية انطاكية لنيل ص ٤٢ - ٤٣ .

(٤) في كلندار ابن خيرون ثلاثة اعياد له ولتلاميذه ، في ٢٣ كانون الثاني وفي ٢ و ٢٤ ايلول .

بلاد كثيرة ١ .

وفي هذه السنة قتل داقبوس الطاغية وخلفه غالبيوس (٢٥١ - ٢٥٣)
فنال المسيحيون في بدء ملكه قسماً من الراحة . فكتب القديس ديونيسيوس
الاسكندري (٢٤٨ - ٢٦٥) الى مار فاببيوس رسالة شهيرة في التاريخ
الكنسي ، فيها يشرح له الآلام الفادحة التي انتابت مؤمني الاسكندرية
إبان اضطهاد داقبوس ٢ .

لقد ترك هذا الاضطهاد عدداً وافراً من الجاحدين في مختلف البلدان ،
وخاصة في رومية ٣ . فحدث بحث في الكنيسة من جهة قبولهم . فكتبت
كنيسة رومة رسالة الى القديس قبريانس مطران قرطاجنة لبيت في الامر ،
فأجابها قائلاً : « ان هذا الامر لا يخص شخصاً واحداً او بيعة واحدة
او اقليماً واحداً بل يخص العالم المسيحي كله » ٤ . ولذا يجب ان يترك
للحكم المشترك من قبل اساقفة الكنيسة كلهم ٥ .

فأذنت كنيسة رومة لرأيه ، وهكذا وضع لهذا الامر قانون
مشترك من جميع الكنائس كما تشهد مؤلفات القديسين قبريانس وديونيسيوس
الاسكندري ٦ .

كان في رومية في هذا الزمن قسيس اسمه نوباطيان ، كان يطمح الى
الكرسي الروماني بعد استشهاد اسقفه فابيانس . ففي اذار او نيسان سنة
٢٥١ انتخب مار قرنيليموس اسقفاً لرومة ، فقاومه القس نوباطيان ،
ثم خدع ثلاثة اساقفة فأقاموه اسقفاً دخليلاً على رومة ٧ ، وبذلك نشأ فيها

(١) بطريكية انطاكية لنيل ص ٤٤

(٢) اوسابيوس ٦ : ٤٠ - ٤٢ .

(٣) الوضع الالهي في تأسيس الكنيسة لكيرلس مقار ج ٢ ص ٢١٣ .

(٤) رسالة ١٣ : ١٤ و ١٩

(٥) رسالة ١٩ : ١٥ و ٢٠ .

(٦) اوسابيوس ٦ : ٤٦ .

(٧) دائرة المعارف البريطانية طبعة ٩ مج ١٧ ص ٦٠٣ و ٦٠٤

شفاق عظيم ١ . فكتب نوباطيان الى فابيوس بطريك انطاكية يستميله اليه ، فبعث اليه مار قرنيليوس ايضاً بأربع رسائل فيها تبسط في شرح حقيقة الحال له ، حفظ لنا اوسابيوس القيصري فقرات منها في تاريخه الكنسي ٢ . وقد كتب مار قرنيليوس الى مار ديونيسيوس الاسكندري ايضاً الذي كتب بدوره الى كثيرين من اساقفة الشرق ، وبنوع خاص الى فابيوس الانطاكي ، لكي يهتموا معاً بامر قرنيليوس ٣ . فعقد مار فابيوس جمعاً في انطاكية سنة ٢٥٢ لبحث القضية ٤ ، وهو الجمع الانطاكي الأول . ولكنه توفي قبل ان ينهي الجمع اعماله . بعد ذلك وجه الجمع الانطاكي دعوة إلى القديس ديونيسيوس الاسكندري لحضور جلساته ٥ ، وكانت موقعة من هيلينوس اسقف طرسوس ، وثاوكتستوس اسقف قيصرية فلسطين ، وفرميليانس اسقف قيصرية كبادوكية ، وفيها ينعون اليه فابيوس الانطاكي ٦ .

رأى الجمع الانطاكي ان يملأ فراغ الكرسي الرسولي برسامة خلف لفابيوس ، فانتخب ديمتريانس قسيس بيعة انطاكية ، الذي احب ان تكون باكورة اعماله : ختم اعمال ذلك الجمع . فافرج اصحاب نوباطيان كنانة جهدهم للحصول على مصادقته ، ولكنهم باؤوا بالفشل ، لأن الجمع الانطاكي المقدس اصدر قراره ضدهم ، واخبر قرنيليوس برسالته الجمعية بانه أيده نابذاً نوباطيان المنشق نبذ النواة ٧ .

(١) رسائل قبريانس ٤١ - ٥٢ .

(٢) اوسابيوس ٦ : ٤٣ .

(٣) اوسابيوس ٦ : ٤٥ و ٤٦ .

(٤) فيه ٦ : ٤٦ وسوقراط ٤ : ٢٨ .

(٥) بطريك انطاكية لنيل ص ٤٤ .

(٦) فيه ص ٤٥ .

الفصل الخامس

المنازعة لا بل معمودية الهرطقة

ان كنائس سورية ١ ومصر ٢ وافريقيا ٣ وآسيا الصغرى ٤ : اعتبرت معمودية الهرطقة فاسدة ، فكانت تعمد المرتدين منهم الى احضان البيعة الارثوذكسية كأناش غير معمدين ، وفقاً للقوانين الرسولية القائلة : « كل اسقف او قسيس يقبل معمودية الهرطقة فليعزل » ٥ . اما كنيسة رومة فاعتبرت معموديتهم صحيحة . فحدث في الكنيسة خلاف عظيم بسبب ذلك ، الأمر الذي أدى الى عقد عدة مجامع في اماكن مختلفة بين سنتي ٢١٨ - ٢٦٠ لبحث القضية . ففي سنة ٢٥٥ عقد القديس قبريانس مجمعا في قرطاجنة ، حضره سبعة وثلاثون اسقفاً من افريقيا ، أيّد التقليد القديم اي عدم صحة معمودية الهرطقة . قال القديس قبريانس : « يزعم البعض بما ان المعمودية واحدة لا يجوز تعمد الهرطقة المرتدين ، ولا يققهون ان المعمودية واحدة في البيعة الجامعة ليس إلا . فالذين اعتمدوا عند

(١) القوانين الرسولية ٦ : ١٥

(٢) ستروماتيس ١ : ٣٧٥ لاقليمس الاسكندري ، قابل مع رسالة ديونيسيوس الاسكندري الى سكستس الثاني الروماني في اوسابيوس ٧ : ٥

(٣) ترتوليانس في De baptismo. 15, De Praesc. 12, De Pudicit. 19. واعمال مجمع قرطاجنة الاول سنة ١٩٧ برئاسة اغريبنوس اسقف قرطاجنة . ورسائل قبريانس ٧١ و ٧٣

(٤) مجمعان في ايقونيوم سنة ٢٣٥ - انظر فرمليانس في رسالة قبريانس ٧٥

(٥) هدايات ابن العبري ٢ : ١

المراطقة : لا يعتمدون ثانية في البيعة ، بل يعتمدون فقط (أي لأول مرة) . لانه لا يستطيع احد ان ينال شيئاً من حيث لا شيء » ١ . وفي سنة ٢٥٦ عُقد هذا المجمع ثانية ، وثبتت قراره السابق ، فأدى ذلك الى تداول رسائل شديدة اللهجة بين اسطييفانس اسقف رومة والقديس قبريانس ٢ . وبما قاله اسطييفانس في رسالته إلى اعضاء هذا المجمع « ان المراطقة ايضاً لا يعيدون معمودية الذين ينتقلون من بدعة الى اخرى ، بل يقبلونهم في شركتهم مباشرة » ٣ .

ثم التأم المجمع القرطاجني الثالثة في ايلول تلك السنة ، ساخطاً على اسطييفانس ٤ ، وأيد القرار السابق بعبارات اشد صراحة ، وارسله اليه مع وفد . وقد رأينا مار فرمليانس اسقف قيصرية كبادوكية برسالته الى القديس قبريانس يشجع الاساقفة الافريقيين مصرحاً بان جميع الكنائس التي في ابرشيته تؤيدهم ٥ ، وموخباً كهرياء الرومانيين قائلاً : انهم دائماً لا يحافظون على الايمان القويم والتقليد القديم . وقرّع اسطييفانس ٦ وقد لام القديس ديونيسيوس الاسكندري عمل اسطييفانس في رسالة بعث بها اليه ، مبيناً له بان جميع كنائس الشرق متحدة ، ورؤساءها متفقون في الرأي في كل مكان ، فلا يجب ان يعكر هو سلام الكنيسة . وبعد موت اسطييفانس كتب ايضاً الى سكستس الذي خلفه سنة ٢٥٧ مندداً بعمل اسطييفانس ٧ .

(١) رسالته ٧١ الى كوينتس اسقف في موريثانيا ، وهدايات ابن العبري ٢ : ١

(٢) رسائل قبريانس ٧٠ - ٧٥

(٣) الخريدة النفيسة ج ١ ص ١٩٢ .

(٤) الوضع الالهى في تأسيس الكنيسة لكيرلس مقار ج ٢ ص ٢٥٦

(٥) تاريخ جيزلر ١ ص ٢٨٦ .

(٦) رسالة فرمليانس الى قبريانس في رسالة قبريانس ٧٥ والوضع الالهى في تأسيس الكنيسة

ج ٢ ص ٢٥٨

(٧) اوسابيوس ٧ : ٥ وجيزلر ١ ص ٢٨٧ والخريدة النفيسة ج ١ ص ١٨٤

عادت المياه الى مجاريها بعد موت اسطيافانس ، غير ان امر معمودية الهراطقة لم ينتهِ إلا في المجمع النيقاوي ، وكان قراره فصل المقال .

الفصل السادس

البطريرك بولس الاول السيمساطي



تبوأ عرش انطاكية بعد القديس ديمتريانس : بولس الاول سنة ٢٦٠ . كان بولس سريانياً من مدينة سيمساط وفقيراً ، ولما ترعرع توغل سلّم العلوم والمعارف ، فذاع صيته كحمام^١ ، حتى تمكن بمكره ودهائه من التربع على الكرسي البطرسي . وما ان تسنم المنصب الرسولي ، حتى صرف عنايته في تحصيل الثروة ، ولم يكن يهتم شيء سوى الربح القبيح .

في هذا الزمن عرفت زنوبيا ملكة تدمر الشهيرة ، وكانت تميل الى اليهودية او تحبذها . فرغيت في التثقف بمبادئ المسيحية . وكانت معجبة بما كان ينثره بولس على مسامعها ، ولا غرو فقد كان خطيباً مصقلاً لا يجارى . فاقامته والياً على انطاكية مانحة اياه لقب « دوسيناريوس » او نائب الملكة . فكان هذا اللقب لديه قيمة تفوق رتبة الاسقفية . فتاه بنفسه سائراً بابهة الحكم ، جاعلاً اكليروسه خداماً له ، ولما كان يطوف في البلاد كان يتربع على مركبة مزخرفة تجرها ستة خيول . قال اوسابيوس

ان بعض النساء ايضاً كانت تصحبه وتقرظه وهو جالس على عرش فخم مثل حكام العالم وليس كتلميذ المسيح . هكذا شأن الكرسي الرسولي بسيرة ذميمة . ومع هذا فقد اطلق لسانه في ذم آباء البيعة الاولين اسلافه البررة ، الذين كانت تتعطر شفاة المؤمنين بذكر اسمائهم ^١ .

كان التعليم الذي قدمه بولس لزنوبيا سهلاً عليها قبوله . فمن جهة اللاهوت : فقد خلط في الايمان ومزج كثيراً من آراء سبيليوس المبتدع زاعماً ان الآب والابن والروح القدس اقنوم واحد . وقال « انه يوجد اله تدعوه الكتب المقدسة اباً ، وكلمته ليست اقنوماً بل هي في العقل الالهي كالفهم في العقل البشري . والروح القدس هو تلك النعمة التي حلت على الرسل » . اما من جهة التجسد الالهي : فقد جدد بدعة ارطيمون ^٢ زاعماً « ان المسيح انسان محض وُلد من مريم بواسطة الروح القدس ، فحلت فيه الحكمة الالهية مظهرة مفعولها بنوع خاص ، حتى تمكن من صنع العجائب ، وهكذا تبرر وتآله بنعمة الله وباعماله . فكل من يمثله باعماله يمكنه ان يصبح مثله . ولما جاء الى الصلب فارقتة الحكمة » .

فأبطل من ثم تراويل بيعة انطاكية القديمة الموضحة فيها ازلية لاهوت المسيح ، واستبدلها بأخر من وضعه ووضع اصحابه . وفي احد اعياد القيامة : ملأ الكنيسة بفتيات انشدن في تقريظ اعماله . وبما قلن عنه « ملاك هبط من السماء لحفظ انطاكية المغبوبة وتقديسها » .

فالتأم لاستجوابه مجمع شرقي في انطاكية سنة ٢٦٤ بهمة القديس ديونيسيوس الاسكندري الذي وإن تأخر عن حضوره بسبب شيخوخته : لكنه اوفد اليه شماسه اوسابيوس حاملاً رسالة الى المجمع واخرى الى بولس فيها حلّ له عشرة اسئلة . وهذا المجمع هو الانطاكي الثاني ، وقد

(١) كل ما نسطره هنا عنه من الامور المشينة : وجه اليه في المجمع الانطاكي الذي عزله سنة ٢٦٨ ، وسجل في اعمال هذا المجمع وفي رسالته المجمعية (انظر اوسابيوس ٧ : ٣٠) .

(٢) اوسابيوس ٥ : ٢٨ . (١٠)

حضره عدد كبير من الاساقفة والقسوس والشمامسة فضلاً عن بولس واصحابه . اشهرهم مار فرمليانس اسقف قيصرية كبادوكية (٢٣٢ - ٢٦٨) والقديس غريغوريوس العجائبي اسقف قيصرية الجديدة (٢٤٤ - ٢٧٠) واخوه اثنودورس اسقف أمصيا ، ونيقوماس اسقف قونية ، وهيمينوس اسقف اورشليم ، وثاوطكنوس اسقف قيصرية فلسطين ، وهيلينوس اسقف طرسوس ، ومكسيموس اسقف بصرى . وترأس الجمع مار فرمليانس الآنف الذكر .

اما بولس فقد استعمل مكرراً ودهاء في اخفاء بدعته تحت سجع الارثوذكسية ، بيد ان خبيرة فرمليانس اللاهوتية تمكنت من تتبع خطواته حتى كشفت القناع عن ضلاله . واذا لم يرد بولس ان يذهب ضحية بدعته : اقتنع ببواهين فرمليانس السديدة ، والتجأ بالتوبة الظاهرة ، فسامحه الجمع وانقرط عقده . ثم عاد بولس الى سيرته الاولى ، فالتأم الجمع الانطاكي الثالث وانقرط عقده كالسابق بلا جدوى . فازداد بولس تمرغاً في الموبقات معاشراً فتيات ، غاضاً الطرف عن سلوك بطانته مها كان رديا . فانعقد الجمع الانطاكي الرابع سنة ٢٦٨ حضره سبعون اسقفا كقول مار اثناسيوس الاسكندري او ثمانون كرواية مار ايلاريوس اسقف بواتيه . وترأسه هيلينوس اسقف طرسوس او غريغوريوس العجائبي . وقد استطاع الجمع ان يكشف خداعه بواسطة القس ملكيون رئيس مدرسة انطاكية اليونانية . واذا اصر بولس على ضلاله حرمه الآباء وسقفوا مكانه دومنوس الاول . وبعد ان انتهى الجمع مهمته كتب رسالة بجمعية الى مكسيموس الاسكندري وديونيسيوس الروماني وغيرهما من الاساقفة كي يدعوا يمين الشركة للبطريرك الجديد . وبما ان ديونيسيوس هذا كان قد لبي دعوة ربه قبل بلوغ رسالة الجمع اليه : مالاً خلفه فيليكس الاول

ومكسيمس الاسكندري رأي المجمع^١ .
١ اما بولس فاعتضد بزنبيا واقام في دار البطركية اربع سنوات
خر^٢ . وفي سنة ٢٧٠ تربع على عرش المملكة الرومانية اورليانس
(٢٧٥ - ٢٧٠) فحارب زنبيا وظفر بها . وفي سنة ٢٧٢ فتحت له
مدينة انطاكية ابوابها بفرح عظيم ، فأوفد اليه الاساقفة الارثوذكسيون
رسلاً يلتمسونه ان يطرد بولس المحروم من دار البطركية^٣ . فأمر
باخراجه منها وتسليمها الى دومنوس^٤ .
وقد انضم الى بولس بعض اشياعه لقبوا بالبولسين . وفي عهد المجمع
النيقاوي الذي رفض معموديتهم بقانونه التاسع : كانوا في اوج عزهم .
وعاشت شيعتهم على الارجح حتى النصف الاول من القرن الخامس ثم
لاشت وُمحقت .

الفصل السابع

مدرسة قيصرية فلسطين اللاهوتية واساتذتها



تأسست هذه المدرسة سنة ٢٣٠ بهمة العلامة اوريجانس الذي اضطر
الى الاقامة في قيصرية فلسطين ، حين حرمه بطريركه ديمتريوس الاسكندري .
وذلك ان مار الكسندروس الاورشليمي اعجب به فأذن له اولاً بالوعظ في

(١) راجع عن بولس السيمساطي اوسابيوس ٧ : ٢٧ - ٣٠

(٢) دائرة المعارف البريطانية طبعة ٩ مج ١٨ ص ٤٢٩

(٣) ثاودوريطس ٢ : ٨ و بطريركية انطاكية لنيل ص ٥٣

(٤) دائرة المعارف مج ١٨ ص ٤٢٩ و بطريركية انطاكية لنيل ص ٥٣ - ٥٤

كنيسته ، ثم اشترك وتاوقتستس اسقف قيصرية فلسطين برسامته قسيسا ، وفوض اليه التعليم البيعي وشرح الكتاب العزيز . فالتف حوله جمهور من طلبة الدين يلتقطون درره الغوالي .

وقد انجبت هذه المدرسة للعالم ملافة عظاماً ومفسرين افذاذا ، كما فعلت قبلها المدرسة الاسكندرية ، بل فاقت هذه المدرسة نفسها في العلوم . وكانت تدرّس فيها العلوم الكتابية والفلسفية وغيرها . قال مار غريغوريوس العجائبي : « ان اوريجانوس كان يعلمنا مع اللاهوت والفلسفة : علم الطبيعة والمنطق والهندسة والرياضة والفلك والموسيقى » . وفي هذه المدرسة عارض اوريجانوس ترجمة الكتاب المقدس مصلحاً اغلاط النساخ ، كاتباً عليها شرحا وتفسيراً . وقد جمع ست ترجمات للكتاب العزيز ما عدا المزامير في كتاب واحد سماه هكسبلا . اما المزامير فقد جمع له ثمانى ترجمات في كتاب دعاه اوكتابلا ١ . وبذل جهودا جبارة في انعاش العلوم اللاهوتية بما صنفه من الكتب النفيسة التي لم تدبج نظيرها براعة كتبة القرون الأولى ، بل لم يجاره احد بكثرة التأليف . قال في حقها مار ايرونيمس متسائلاً : « من منا يستطيع مطالعة كل ما كتب » ؟ وقد روى بعضهم انها بلغت ستة آلاف مؤلف . وهذا غلو ظاهر ٢ . اما اوسابيوس القيصري فيقول : انها بلغت ٢٠٠٠ كتابا بين مطول ومختصر ٣ . وفيها ما عدا اللاهوت والتفسير : ردود على اليهود والوثنيين ، ولا سيما رده على الفيلسوف الابيقوري قلدصص الوثني ، وفي الصلاة والتحريض على الشهادة ، مع مئات من الرسائل . غير انه لم يصل اليها منها سوى النزر القليل ، ذلك لأفول نجم اوريجانوس من سماء الكنيسة والجدال العنيف الذي كان محتدماً بين آباء الكنيسة من جهته ، فضلاً عن الاضطهاد التالي الذي بعثوها . وقد جمع منها اوسابيوس القيصري نحو ١٠٠ رسالة خصّها

(٣١) الدرر النفيسة ص ٢٩٣ - ٢٩٤

(٢) دائرة المعارف طبعة ٩ مج ١٧ ص ٨٣٩ - ٨٤٣

بمكتبة قيصرية فلسطين^١ . وكان في خزانة كتب اورشليم التي انشأها مار الكسندروس الاورشليمي : عدد غفير من هذه الرسائل^٢ ، لم يسلم منها سوى اثنتين ، الواحدة وجه بها الى يوليوس افريقيانس عن قصة سوسن ، والثانية انفذها الى مار غريغوريوس العجائبي^٣ .

ولا شك ، ان اوريجانوس اغنى مدرسة قيصرية وخزانتها بعلومه الزاخرة وابجائه الوافرة ، ولا بدع فانه اول من وضع اساساً للأبحاث الفلسفية في الكتاب المقدس . فقد حاول قبله القديس يوسطينس والفيلسوف السرياني ططيانس واثنناغوروس وبنتينس واقليميس الاسكندري ايضاح المبادئ المسيحية بواسطة الفلسفة : إلا ان ابجائهم إذا ما قوبلت بأبجائه تظهر كأنها إنشاء تلميذ بالنسبة الى مقال استاذ . كما انه تعب اكثر من غيره باستمائه العالم القديم الى المسيحية ، وذلك بتوحيده الفلسفة مع الدين المسيحي ، والثقافة مع الانجيل . غير انه هفا عند تعمقه في شرح بعض المبادئ المسيحية الغويصة التي لم تحظ بفحص قانوني من قبل الكنيسة^٤ . غير ان المؤرخ روفينوس يقول ان الهرطقة نغلوا مصنفاته^٣ .

وفي اثناء إقامته في مدرسة قيصرية : اضطر الى مغادرتها مدة سنتين ، وذلك إبان اضطهاد مكسيميان سنة ٢٣٥ - ٢٣٧ ، متجولاً في قيصرية كبادوكية ونيقوميديّة واثينا ، كما انه دعي مرتين الى بلاد العرب لحضور جمعين عُقدا في بصرى (اسكي شام) ، الاول سنة ٢٤٤ ضد اسقفها بيرللس ، والثاني سنة ٢٤٨ ضد المرتابين بخلود النفس . فجادهم وأقنعهم بأخطائهم وعاد

(١) اوسابيوس ٦ : ٣٦

(٢) فيه ٦ : ٢٠

(٣) دائرة المعارف طبعة ٩ مج ١٧ ص ٨٣٩-٨٤٣

(٤) هدايات ابن العبري ٧ : ٩

٢٣٣ الى محجة الحق ١ . وكما كانت له علاقة مع اسرة القيصر سويروس
الـكـسـنـدروس سنة (٢٢٢ - ٢٣٥) : كذلك الآن صارت له علاقة
مع القيصر فيليب العربي وزوجته سويرا ، وذلك بواسطة المراسلة ٢ .
وقد كان لاوريچانس بعد اتعابه الكثيرة في مدرسة قيصرية : الحظ
الأوفر لاحتمال الآلام إبان الاضطهادات في سبيل دين يسوع الذي احبه
من كل قلبه . وفي سنة ٢٥٠ طرح في سجن صور في اضطهاد داقبوس ،
حيث ذاق مرّ العذاب . وسنة ٢٥٥ غادر هذا العالم وقد بلغ التاسعة
والستين من عمره . ودفن في صور حيث كان ضريحه معروفاً في القرون
الوسطى ٣ .

وخلف اوريجانس في مدرسة قيصرية : القديس بمفيلس القس البيروتي .
وكان هذا من اسرة عريقة ، فتوقل سلم العلوم في كلية بيروت الفقهية
اولاً ، ثم تخرج في مدرسة الاسكندرية اللاهوتية ، ورحل الى قيصرية
فلسطين حيث اقام ورسم قسيساً ، وعلم في مدرستها . قال في حقه
اوسابيوس القيصري « انه كان قسيساً كاملاً مزيناً بصنوف الفضائل وعالمًا
جليلاً » . وقد جمع له مجموعة ثمينة من نسخ الكتاب المقدس وشروحه
وغير ذلك من نفائس الكتب ضمها الى خزانة بيعة قيصرية . وصنّف
احتجاجاً عن اوريجانس ، ورسائل . وفي ١٦ شباط سنة ٣٠٩ خفر له
إكليل الشهادة . ثم خلفه في كرسي التعليم اساتذة كبار .

(١) اوسابيوس ٦ : ٣٣ وتاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١١٤ و ١١٥ وجيزلر مج ١

ص ٢٣١ والدرر النفيسة ص ٢٩٠

(٣و٢) دائرة المعارف البريطانية طبعة ٩ مج ١٧ صفحة ٨٣٩-٨٤٣

الفصل الثامن

اسقفية سليق وقطيسيفون (المرائن)



ذكرنا في ما مضى بعض الابريشيات الاسقفية التي أنشئت وانتظم امرها في المشرق ، وكيف ان اريج الدين المسيحي عطر المشرق ، وفاح عرفه الذكي في معظم البلاد الفارسية . ومع كل ذلك لم يكن هنالك ذكر لاسقفية سليق وقطيسيفون عاصمة هذه المملكة قبل اواسط المئة الثالثة ، لعدم وجودها . ذلك لان المؤمنين في العاصمة كانوا قليلين جداً . وفي اواسط القرن الثالث توجه المؤمن الشريف جازقن الى حدياب وشاهد فيها وفي ضواحيها عددا وافراً من المؤمنين . وكان هذا في جيش سابور الاول . فطلب الى شحلوفا اسقف حدياب ان يتوجه الى قطيسيفون لزيارة المسيحيين الضئيل عددهم الذين اخذوا بالظهور هناك في تلك الآونة . ففعل ، وجمع المؤمنين الذين فيها وشجعهم ورسم لهم قسيساً ومكث لديهم سنتين ١ .

وبعد اواسط هذا القرن افتقدها احادابوي خلف شحلوفا ، واجابة لالحاح المؤمنين فيها رسم لهم هو وحي بعل اسقف مدينة السوس وداود اسقف فرات ميسان : فافا بن عجي السرياني من سواد العراق اسقفاً . وكان ضليعاً من السريانية والفارسية ، وبه تبتدىء اسقفية سليق وقطيسيفون . قال في ذلك مشيخازخا : « فطلب اليه (الى احادابوي)

(١) تاريخ مشيخازخا في ترجمة الاسقف شحلوفا

مؤمنو قطيسيفون بالخاح ان يرسم لهم اسقفاً يقيم لديهم على الدوام
قائلين : إنه يوجد هناك مسيحيون كثيرون ، والرؤساء السادة الاساقفة
بعيدون عنا ولا يستطيعون ان يزورونا دائماً ليقضوا حاجتنا ويرشدونا
الى سبل البر روحياً وجسدياً . فأجاب رؤسهم بسرور واخبر حي بعلى
اسقف السوس ، فانتخبها كلاهما بموافقة الشعب كله : فافا الآرامي العالم
الحكيم ، ثم عاد كل منهما الى مكانه » ١ .

إن النساطرة بعد ان ابسلتهم الكنيسة وانفصلوا عن الكرسي الانطاكي :
انشأوا لهم في اوائل القرن الخامس جثثة في العاصمة الفارسية بمساعدة هذه
المملكة . وفي الاجيال التالية لما ارادوا تعظيم هذا الكرسي نسبوا
تأسيسه زوراً الى مار ادى البشير او تلميذه ماري ، ثم اضافوا اليه
سلسلة اساقفة وهميين ثم جثثة اولهم احادابوي ، وقالوا : « ان اساقفة
الغرب (اي اساقفة ابرشية انطاكية) اذنوا لاساقفة الشرق ان يضعوا
اليده على من يختارونه عند وفاة جاثليقهم ، ولا حاجة ان يذهبوا بعد
الى انطاكية لاقتبال الرسامة الاسقفية ، ويدعونه جاثليقاً بل بطريركاً
ايضاً ، ولو ان ذلك لم يرض بطريرك انطاكية ، وخلف احادابوي
شحلوفا وهو اول جاثليق رسمه الآباء الشرقيون ، وخلفه فافا الخ .. » ٢
كل هذا مخالف للحقيقة التاريخية الواضحة في تاريخ مشيخازخا ، الذي
ثبت بأن احادابوي وشحلوفا المذكورين كجاثليقين اول وثاني هما التاسع
والعاشر في عداد اساقفة حدياب ، وان شحلوفا كان سلف احادابوي ،
رسم اسقفاً حوالي سنة ٢٣٧ وتوفي سنة ٢٥٢ وخلفه في هذه السنة
احادابوي بعد ان تنصر وتلمذ له مدة من الزمن . فاحادابوي اذن
اسقف حدياب الذي اعتبروه اول جاثليق لسليق : عاش في ايام فافا

(١) في ترجمة الاسقف احادابوي

(٢) نقل ابن العبري هذا الخبر على علته عن مؤرخي النساطرة ، ولا سيما ماري بن سليمان
الذي عاش في القرن الثاني عشر .

أول اساقفة سليق الذي اعتبروه ثالث جاثليق ، وذهب الى ربه حوالي
سنة ٢٩٠ .

الفصل التاسع

الفيلسوف ماني السرياني

•

ولد وثنيًا في مدينة السوس حوالي سنة ٢١٥ او ٢١٦ (سنة ٥٢٧
لفلكي بابل) ، وتثقف بالعلوم في قطيسيفون بواسطة ابيه فوتاق ، ثم
تنصر ، وخلط في الدين المسيحي كثيراً من آراء زورواستر ، وانشأ
مذهباً جديداً على اساس المجوسية الفارسية . فقال بمبدأين : صالح وطالح ،
الاول خلق النفس والثاني خلق الجسد . وقد اعلن تعليمه هذا اولاً سنة
٢٤١ او ٢٤٢ في بلاط سابور الاول يوم تنويجه ، وهو يومئذ في الخامسة
والعشرين او الثلاثين من عمره ^١ .

قيل انه زعم انه الفارقليط ، وقال ان المسيح ظهر بنوع خيالي ،
وانكر القيامة العامة ، وعلم بالتقمص ، ورفض الزواج . واختار له
اثني عشر تلميذاً ، طاف بهم في بلاد شتى ناشراً مذهبـه الجديد ، وبعث
تلميذاً له اسمه ادى الى بلاد ارام وآخر اسمه توما الى الهند لنشر بدعته ^٢
وقد جادله مار ارخيلالوس اسقف كسكر وافحمه ^٣ . وفي سنة ٢٦٨

(١) دائرة المعارف البريطانية مج ١٥ ص ٤٨١ - ٤٨٧

(٢) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١١٨ و Theodoret. Hear, fab. I.C. 26

(٣) الدرر النفيسة ص ٣٢٧ و ٤١٧

حرمه المجمع الانطاكي مع بولس السمساطي^١ .
وفي سني سابور الاخيرة (٢٧٠ م) عاد ماني الى عاصمة الفرس
حيث عمل له انصاراً في البلاط . ثم قاومه الكهّان والمجوس ، واضطروا
الملك ان يضطهده ، فطرحه في السجن ، فأفلت منه . اما الملك هورمزد
الذي خلفه سنة ٢٧٢ او ٢٧٣ فقد ملاً ماني . ولما خلفه بهرام الاول
سلخ جلده وصلبه^٢ نحو سنة ٢٧٥ ، بل قيل انه ملاً جلده تبنياً وعلّقه على
سور المدينة (جنديسابور)^٣ .

وبعد موته انتشر تعليمه بسرعة البرق في معظم البلاد . فقد نفذت
شيعة الى المملكة الرومانية وارمينية وكبادوكية واسبانيا وفرنسا
ورومية وتبيت والهند والصين رغم اضطهاد بعض الملوك الرومانيين انفسهم
إياها . ففي نيسان سنة ٢٨٧ كتب ديوقليطيانس الى يوليوس والي افريقيا
ان يضطهد اصحاب مذهب ماني . ذلك انهم اعتبروها شيعة منبثقة من
الفرس اعدائهم^٤ .

زعم الكتبة الملباريون - الهند : ان ماني حمل الى الهند تعاليم اشبه
بمبادئ بوذا ، ونشر احد اعوانه تعليمه في ملبار بين مسيحي
كور كينيكولم ، فأضلّ ثمانى عيال منهم . ثم نمت شيعة ماني حتى
بلغت ٩٦ عيلة ، ولم تزل معروفة باسمه حتى الآن^٥ . ويرجح بعضهم
ان الذين يسمّون « ماني كراماكار » في ملبار هم حفدة اتباع ماني
الذين ظلّوا في ترافنكور كشيعه معروفة حتى الآونة الأخيرة ، ثم اندمجوا
تدريجياً في طبقة نايرس (Nairs) الوثنية^٦ .

- (١) تاريخ الهاوي المجهول مج ١ ص ١٣٧
- (٢) دائرة المعارف البريطانية مج ١٥ صفحة ٤٨١-٤٨٧
- (٣) التاريخ الكنسي لابن العبري مج ١ في ترجمة البطريك دومنوس الاول
- (٤) تاريخ جيزلر مج ١ ص ٢٢٣ - ٢٢٩
- (٥) تاريخ الكنيسة الملبارية تأليف اوجين ، سرياني مخطوط
- (٦) السريان الملباريون والرسالة البروتستانتية تأليف جريان بالانكليزية ص ٤٠

اما عبادتهم فكانت بسيطة . كانوا يحفظون الأحد بالصوم ، ويحتفلون كل سنة بيوم موت ماني ، ويعمدون بالماء الممزوج بالزيت ، ويعتبرون العشاء السري انه لعبادة الأنقياء المقدسة . ورفضوا اسفار العهد القديم كلها ، واعتبروا حقاً ثابتاً كل ما يوافق مذهبهم من اسفار العهد الجديد القانونية والموضوعة ، وما عداه فهو مزيف ^١ .
وكتب ماني بالسريانية والفارسية رسائل ومقالات ، مخترعاً لها أبجدية خاصة . وقد ذكر له بعضهم سبعة كتب رئيسية ، ستة منها بالسريانية وواحد بالفارسية ^٢ .

الفصل العاشر

ازدهار المسيحية في لبنان

ذكر الانجيل المقدس ان المعلم الالهي ابرأ ابنة الكنعانية الفينيقية السريانية في بعض قرى صور وصيدا (مر ٧ : ٢٤) ، وأن جمعا كثيرا من ساحلها وحولها تبعه الى البحر لسماع وعظه حين عاين عجائبه (مر ٣ : ٨ ولو ٦ : ١٧) . ولا نعلم اذا كان قد دخلها ام لا . وقد مرّ بك ان مار بطرس الرسول طاف في صور وصيدا وقيصريه وبيروت وجبيل وطرابلس وجزيرة ارواد وغيرها بطريقه الى انطاكية ، وأسس كنائسها ورسم احد اعوانه اسقفاً لبيروت ، وآخر لطرابلس . وان يهوذا الرسول

(١) تاريخ جيزلر مج ١ صفحة ٢٢٣-٢٢٩

(٢) دائرة المعارف البريطانية مج ١٥ ص ٤٨١ - ٤٨٧

بشر في جزيرة ارواد وببيروت ونال الكليل الشهادة في احدهما ١ .
وأخبرنا سفر الاعمال ان مار بولس نزل في صور حيث صرف مع
المؤمنين سبعة ايام (اع ٢١ : ٣ و ٤) ، وجاء إلى عكا فسلم على الاخوة
ونزل عندهم يوماً واحداً ، ثم مكث في قيصرية اياماً كثيرة . وفي اثناء
سفره الى رومية سنة ٦٠ زار صيدا وافتقد المسيحيين الساكنين
هناك (اع ٢٧ : ٣) .

وجبيل تفتخر ببول اساقفتها يوحنا مرقس .
وقد خرج من قيصرية وصور وصيدا وببيروت مبشرون الى البلاد
العليا الشمالية ٢ . ونحو سنة ١٩٧ حضر قاسيوس اسقف صور وقلاروس
اسقف عكا (بوطولومايس) مجمع قيصرية الذي عقده اسقفها تاوفيلس لبحث
قضية عيد الفصح ٣ .

فلما رأى الوثنيون ازدهار المسيحية في لبنان ، نهضوا يناهضونهم ،
دفاعاً عن دينهم وتوسيعاً لنطاق عبادته . وقد نشطهم على ذلك خاصة
القيصران هديران (١١٧ - ١٣٨) وسبتيمس سويروس (١٩٣ -
٢١١) . فشيد القيصران هديران وانطونينس بيوس (١٣٨ - ١٦١)
هيكل الشمس في بعلبك ، وشيد سبتيمس سويروس هيكل المشتري
في معبد بعلبك . والى ذلك الزمن ترقى هياكل فقرا وغيرها في لبنان .
وببيروت يومئذ تختال بنهضة عجيبة ، من دور شاهقة وقصور فخمة
الى حمامات مزخرفة وساحات فسيحة وملاه زاهية ، فضلاً عن كليتها
الفقهية التي انشئت في اواخر القرن الثاني ، فأكسبتها شهرة واسعة وشرفاً
رفيعاً . كيف لا وقد أحرزت قصب السبق على المدارس الرومانية الأخرى في

(١) هنا ص ٨١ و ٨٢

(٢) الدرر النفيسة ص ١٣٥

(٣) اوسابيوس ٥ : ٢٣ و ٢٥

(٤) تاريخ لبنان العام تأليف الدكتور يوسف مزهر مج ١ ص ١٣٣ و ١٥٤

الشرق ، حتى قال عنها القديس غريغوريوس العجائبي (٢٧٠ +) احد متخرجيها « ان بيروت جامعة كل دساتير الشرائع الرومانية » . ولا غرو فقد بدأت نهضتها قبل المسيح ، وكان اوغسطس قيصر اول من اهتم بها . وفي سنة ١٥ ق . م منحها لقب « مستعمرة رومانية » ودعاها باسم ابنته جوليا ، فورد اسمها في النقود على هذه الصورة « مستعمرة جوليا أغسطا السعيدة بيروت » . غير ان بيروت كانت منغمسة في حمأة الموبقات حتى لقبها مار غريغوريوس العجائبي واوسابيوس القيصري (٣٤٠ +) ببلاط عشوت وبمقام اللذات البهيمية . ذلك لكثرة دور الملاهي ، وازدهار الهياكل التي تؤلّث الشهوات البشرية فيها ^١ واستشهد كثيرون في طرابلس في اضطهاد القيصر هديران . وفي سنة ٢٥٠ طرح العلامة اوريجانس في سجن صور في اضطهاد داقبوس ، وسنة ٢٥٥ توفي ودفن في صور حيث كان ضريحه معروفاً في القرون الوسطى ^٢ .

وفي اضطهاد ديوقليطيانس الذي سذكروه ، نكّل الوثنيون بكثيرين من مؤمني صور وصيدا وقيصرية ، اشرهم : مار تيرانيون اسقف صور الذي طرح في اعماق البحر ومار زينوبيوس قس صيداء الطبيب الحاذق الذي مات بتمشيظ جنبيه في انطاكية سنة ٣٠٣^٣ . والقديسة ثأودوسية من عذارى مدينة صور التي استشهدت ولم تبلغ الثامنة عشرة من العمر ^٤ ، والقديس بيميلس البيروتي قس مدينة قيصرية الذي استشهد في ١٦ شباط سنة ٣٠٩^٥ .

(١) في المصدر السابق ص ١٤٦ - ١٤٨

(٢) دائرة المعارف البريطانية طبعة ٩ مج ١٧ ص ٨٤٣

(٣) اوسابيوس ٨ : ٣ و ١٣

(٤) اوسابيوس في « شهداء فلسطين »

الفصل الحادي عشر

مدرسة انطاكية اللاهوتية



في سنة ٢٩٠ أسس القسيسان الانطاكيان لوقيانس ودوروثاوس مدرسة لاهوتية كبرى في انطاكية بمؤازرة بعض الاساقفة والقسوس . وكانا متبحرين بالعلوم الكتابية واللاهوتية ، يجيدان اللغتين العبرية واليونانية .
لقد كان في انطاكية على الدوام مدرسة للعلوم الدينية واخرى شهيرة للعلوم الفلسفية العالية ، تصدر فيها للتعليم اساتذة كبار وعلماء افاض مثل القس جيمينوس الانطاكي الذي كان حياً بين سنتي ٢٢٢ - ٢٣٥ وذكر له هيرونيمس بعض تأليف ، والقس ملكيون الشهير الذي رأيناه في ترجمة بولس السميساطي : إلا ان نطاق العلم اللاهوتي اتسع الآن في انطاكية بهمة القسيسين المومأ اليهما ، بل انفتح فيها بفتح هذه المدرسة فرع شهير للعلوم الكتابية العالية .

كان في الاسكندرية في هذا الزمن مدرسة لاهوتية كبرى طبقت شهرتها الخافقين ، تسير على فلسفة افلاطون المؤسسة على الرموز . غير ان المدرسة الانطاكية سلكت طريقة اخرى مستندة على فلسفة ارسطو المبنية على البرهان والمنطق . سارت المدرستان على طريقتين فلسفتين مختلفتين في تفسير الكتاب العزيز ، إلا ان هدفهما كان واحداً . فالمدرسة الاسكندرية كانت تطلب لكل آية ثلاثة معان وهي : الروحي والحرفي والرمزي . وكان اشهر اساتذتها بنطينس الفيلسوف واقليميس الاسكندري والعلامة

اوريجانوس المتفوق والمتبحر في العلوم الكتابية ، فحازت المدرسة نجاحاً باهراً بعنايتهم الفائقة . اما المدرسة الانطاكية فقد اعتنت بالتفسير الحرفي اللغوي فقط ، إذ كانت طريقة المدرسة الاسكندرية وعرة المسلك وصعبة المنال ، فلم تسلكها إلا عند الضرورة القصوى ^١ .

وقد افراط تلامذة المدرستين الشهيرتين بسلوكهم هاتين الطريقتين الفلسفتين في تفسير آيات الكتاب ، الأمر الذي ادى الى ظهور بعض البدع الوخيمة .

فالقس دوروثاوس ^٢ ذكره اوسابيوس القيصري قائلاً : انه (اوسابيوس) كان يصغي بسرور الى دوروثاوس وهو يفسر الكتب في الكنيسة . اما لوقيانس ^٣ فقد ولد في سميساط وتخرج في مدرستي الرها وافسس ونشأ في انطاكية ورسم قسيساً لاحدى كنائسها . وإذ كان تلميذاً وصديقاً حميماً لبولس السميساطي وبمالتاً إياه على تعليمه ايضاً : حطه المجمع الانطاكي صخرة بولس ، وظل بعيداً عن الكنيسة طيلة رئاسة البطاركة الانطاكيين الثلاثة دومنوس الأول (٢٦٨ - ٢٧٣) وطيميوس (٢٧٤ - ٢٨٢) وقوريلس (٢٨٣ - ٣٠٣) الذين خلفوا بولس الآنف الذكر . وفي عهد قوريلس ثاب لوقيانس الى رشده تائباً راجعاً الى الايمان القويم ، فأعاده البطريك الى منزلته السابقة ، وأقامه رئيساً للمدرسة الانطاكية المذكورة . فجاز في هذه المدرسة نفس المكانة التي حازها اوريجانوس في المدرسة الاسكندرية ^٤ .

ولما رن صيت رسائله ضد الوثنية : انهى بعضهم امره الى القيصر مكسيميان ، فاستدعاه الى نيقيوميدية . ولما مثل بين يديه : دافع عن

(١) راجع مدرسة انطاكية اللاهوتية بقلم قداسة البطريك افرام الاول

(٢) اوسابيوس ٧ : ٣٢ و ١

(٣) اوسابيوس ٨ : ١٣ و ٩ : ٦

(٤) الدرر النفيسة ص ٣٣٦ - ٣٣٧

الدين المسيحي بشجاعة غريبة ، فعاقبه بالسجن والجوع ، فاحتمل ذلك بصبر عجيب . وفيما هو يتضور جوعاً : اتوه بلحم من ذبائح الاصنام ، فأبى ان يذوقه . فشع بذلك نور ايمانه . ومن سجنه انفذ رسالة الى انطاكية ، فيها ذكر استشهاد مار انتيمس اسقف نيقوميديّة قائلاً انه تم سنة ٣٠٣ ويسميه « البابا انتيمس » .

وقضى لوقيانس في السجن زمناً طويلاً يتجرع كؤوساً متروعة من المرائر ، ولم يكن في كل ذلك ينبس ببنت شفة سوى قوله « انا مسيحي » . واخيراً قطع رأسه مع رفيقه دوروثاوس في نيقوميديّة في ٧ كانون الثاني سنة ٣١٢ . وفي هذا القرن شيدت كنيسة على اسمه في نيقوميديّة .

وفي رسالة كتبها مار الكسندروس الاسكندري سنة ٣٢٠ يسمي لوقيانس هذا « مؤسس البدعة الأريوسية » . وذلك لان اريوس نفسه واشهر مناصريه مثل اوسابيوس النيقوميدي ، وماريس الخلقيدوني وثاوجنيس النيقاوي ولأونطيوس الانطاكي (٣٤٤ - ٣٥٨)^١ وانطونيوس الطرسوسي : هم خرنجو مدرسة لوقيانس . غير ان اوسابيوس القيصري (٣٤٠ +) والقديس اثناسيوس الاسكندري (٣٧٣ +) والقديس الذهبي الفم^٢ (٤٠٧ +) ومار ايرونيوس (٤٢٠ +) يعتبرون لوقيانس شهيداً قديساً .

كان لوقيانس منكباً على تفسير الكتاب العزيز ومعارضة ترجماته العديدة . وقد صحح نقل الكتاب المقدس السبعيني بحسب الاصل العبراني وضبط نص العهد الجديد . وصار لكثيرين الحظ الأوفر ليتذوقوا حلاوة معارفه الزاخرة .

(١) قاموس اللاهوت بيرو Pirot ص ٧٨

(٢) قرظه في خطبته السادسة والاربعين

الفصل الثاني عشر

انوار المسيحية في قصور القياصرة الرومان



اشتهرت أسرة باسيانوس رئيس كهّان حمص في اواخر القرن الثاني والنصف الاول من القرن الثالث بالرأي السديد والنظر البعيد . تزوجت ابنته الكبرى جوليا دمنه القيصر سبتيمس سويروس . وتزوجت ابنته الثانية جوليا ميذا يوليوس افتيوس حاكم روما ، وعرفت بالحكمة وسداد الرأي . واتصفت ابنتها جوليا مامّا ايضاً بحسن المدارك والآداب والعفاف ، وهكذا عُرف ابنها القيصر اسكندر سويروس . ان القياصرة الذين نشأوا من هذه السلالة الحمصية الآرامية ^١ حكموا المملكة الرومانية ٤٢ سنة . وإذا استثنينا اولهم سبتيمس سويروس الذي اضطهد المسيحية من سنة ٢٠٢ حتى هلاكه الذي حلّ سنة ٢١١ : نرى خلفاءه يجذبون عليها ويجذبونها إن لم نقل ان بعضهم قد اعتنقها . وهكذا تلالأت انوار الدين المبين في قصور هذه السلالة الآرامية ، واستراحت الكنيسة ثلاثاً وعشرين سنة .

ففي سنة ٢١١ خلف سبتيمس سويروس ابنه انطونينوس كاراكلا (٢١١ - ٢١٧) فأعاد المنفيين من اجل الايمان ^٢ ، وعامل المسيحيين بالحنى ، إذ كان ابن تربية امرأة مسيحية ، يلعب منذ حداثة مع طفل مسيحي ، حتى دعاه الوثنيون « نصف مسيحي » ^٣ . وفي سنة ٢١٧

(١) تاريخ لبنان العام تأليف الدكتور يوسف مزهر مج ١ ص ١٣١ - ١٣٩

(٢) التاريخ المدني السرياني لابن العبري ص ٥٥

(٣) الخريدة النفيسة ج ١ ص ٢٠٣

وجد في حرّان ، فأحب زيارة هيكل القمر وكان أشهر هياكلها وبعيداً عنها جداً . ولما ابتعد قليلاً عن المدينة اغتاله أحد فرسانه المدعو متياليس . وخلفه ايليوكابال^١ (٢١٧ - ٢٢٢) وهو افتيوس باسيانوس بن جوليا سومياس اخت جوليا ماما الآنفة الذكر . وقد أُقيم في الرابعة عشرة من عمره كاهناً على هيكل حمص وارثاً لجدّه باسيانوس ، فاستبدل اسمه باسم « ايليوكابال » معبود حمص ، وهو حجر اسود كان يعبدّه الحمصيون ويريدون به الشمس ، وكان السوريون يجلبون هيكل حمص اعظم الاجلال ويقرون له بحق الملجأ . وفي سنة ٢١٧ نادى به الجيش ملكاً ، وبعد ان جمع جيوش حمص تحت لوائه غادرها الى روما ومعه الحجر الاسود ليمثل به الدين الوثني الشرقي في روما التي كانت تحتوي على جميع رموز الآلهة الوثنية ، ومر بانطاكية ، فافتدى الاهلون نفوسهم واموالهم بدفعهم لكل جندي خمسة دينار .

وقد شخص ايليوكابال بنظره البعيد الى خلط الدين المسيحي بعبادة آلهته^٢ . اما سكان روما فاشمأزوا منه منكرين حكم شرقي عليهم ، ولا سيما انه فضل الحجر الاسود على آلهتهم ، اذ كان يبني له في كل سنة هيكلًا في ضواحي روما وينقله اليه بمظاهر التجلّة والاكرام .

وفي ١١ آذار سنة ٢٢٢ قتله حزب ابن خالته اسكندر سويروس وهو في الثامنة عشرة من عمره ، وطرحوا جثته في نهر التيبر ، والحقوا به معبوده الحجر الاسود . ونادى الجيش بالفتى اسكندر سويروس وهو في الرابعة عشرة من عمره .

ولد هذا في عرقة قرب طرابلس سنة ٢٠٩ ، واعتنت امه الفاضلة الحكيمة جوليا ماما بتربيته على يد مهبذين حتى تجمّل بحميد السجايا ونشأ ذكياً فاضلاً متواضعاً لين العريكة طلق الوجه حازماً ، يسترشد برأي

(١) اسم شرياني مؤلف من لفظتين هما « الله » و « الجبل » اي الخالق

(٢) تاريخ جيزلر مج ١ ص ١٩٢

امه . روى بعض المؤرخين ان مامّا آمنت بالمسيح ^١ ، فكانت تحترم رؤساء البيعة وتجلهم ، وتجالس الحكماء وتواصل العلامة اوريجانس الذي استقدمته الى انطاكية ^٢ لشرح لها اسرار الدين المسيحي ، وكانت معجبة بفصاحته . وبها خصّ مار هيبوليطس رومانس المعلم الغربي كتابه في « القيامة » ^٣ . فلا غرو اذا ظهر ابنها القيصر اسكندر سويروس اقل الملوك تمسكاً بالوثنية وعوائدها . وقد اخبرنا التاريخ انه احسن الى المؤمنين^٤ وفضل دينهم على جميع الاديان ، وكتب على باب قصره الآية الذهبية الواردة في الانجيل « فكل ما تريدون ان يفعل الناس بكم افعلوا هكذا انتم ايضاً بهم » ^٥ ، واکرم السيد المسيح مزيناً بلاطه بصورته وبكثير من الرسوم التي تشير الى الحوادث الواردة في الكتاب المقدس ^٦ ، بل اقام في بلاطه هيكلًا للصليب ^٥ . وبه خصّ يوليوس افريقيانس مؤلفه في التاريخ منذ الحلقة حتى سنة ٢٢١ استناداً الى ما ورد في الكتاب العزيز ^٧ . وفي عهده جدد المؤمنون الانطاكيون الكنيسة العتيقة التي كان قد اسسها الرسل القديسون ^٨ . وفي ١٩ اذار سنة ٢٣٥ فتك به وبأمره مامّا احد قواده مكسيميانس من تراقيا وخلفه ، بعد ان ملك ١٣ سنة ، ولم يبلغ من العمر إلا ٢٦ سنة . وانتهى بموته حكم السلالة السورية الآرامية الآتفة الذكر .

(١) التاريخ المدني السرياني لابن العبري ص ٥٥ وجيزل مج ١ حاشية ص ١٩٢ والخريدة النفيسة ج ١ ص ٢٠٥

(٢) اوسابيوس ٦ : ٢١

(٣) الدرر النفيسة ص ٢٦٦

(٤) تاريخ جيزل مج ١ ص ١٩٢ والخريدة النفيسة ج ١ ص ٢٠٥ والدرر النفيسة ص ٢٦١

(٥) تاريخ لبنان العام للدكتور يوسف مزهر مج ١ ص ١٣٨ نقلاً عن رينان وبوايه

(٦) دائرة المعارف البريطانية مج ١٢ ص ٧١٢ طبعة ٩

(٧) الدرر النفيسة ص ٢٧١

(٨) فيه ص ٤٣٣ و ٤٣٤

وعكر مكسيميانس صفاء الكنيسة مدة ملكه . ولما اغتيل في اذار سنة ٢٣٨ تمتع المؤمنون بالسلام مدة من الزمن ، ولا سيما في عهد القيصر فيليب (٢٤٤ - ٢٤٩) . كان فيليب من بُصرى ، ويُظن انه ولد مسيحياً كما اسلفنا ^١ . ولا عجب في ذلك ، لان قبائل كثيرة من العرب في بلاد باشان اي حوران العربية : اعتنقت المسيحية في القرن الثاني على عهد ملكهم عمر الاول الذي بنى في عاصمته بُصرى عدة كنائس حوالي ختام هذا القرن . وكان اسقف حوران يقيم في بُصرى ^٢ . وقد أيد مسيحية فيليب اوسابيوس القيصري ومار ابرونيمس وغيرهما كما سبق . وكانت ذكياً ومشهوراً جداً . فلما تبوأ عرش المملكة اصدر مرسوماً يقضي ان يمارس المسيحيون شعائر دينهم ويشيدوا الكنائس بحرية مطلقة . إذ كانوا قبل ذلك يمارسون عبادتهم غالباً في المغاور والدياميس خوفاً من المضطهدين في تلك الازمنة العصيبة ^٣ . فشاد مار بابولا الكنيسة التي تسمى الرسولية او « القديمة » والتي كان المؤمنون يجتمعون في محلها على عهد الرسل ^٤ . وفي سنة ٢٤٩ فتك به داققوس وتولى بعده ، فعادى المسيحيين واضطهدهم بشدة ، بغضة به . وفي ٢٩ آب سنة ٢٨٤ تبوأ عرش المملكة الرومانية ديوقليطيانس ، وكان في اول امره يحل المسيحيين ورؤساءهم ، فعيّن بعضاً منهم في بلاطه . وكانت زوجته الملكة بريسقا وابنته الاميرة فاليريا من صنف الموعوظات ، اي من اللواتي يتهيأن للتنصر ^٥ . في هذا الزمان كان الدين المسيحي ينمو بين الوثنيين . فلا يستطيع

(١) هنا ص ١٣٨

(٢) كتاب « القديس جرجس اللدي » بالانكليزية ص ١٩

(٣) الحريدة النفيسة ج ١ ص ٢٠٦

(٤) المباحث الجلية في التيورجيات للسيد رحاني ص ٥٩

(٥) الدرر النفيسة ص ٣٣٣

الانسان ان يتصور الجماهير الفقيرة التي كانت تتواكب في الكنائس في ايام مشهودة ، حتى اصبحت المباني الاولى غير كافية بالحاجة ، فشرعوا يوسعونها ويشيدونها كالحواضر . ولم يكن ثمة حسد يصد هذه الامور ، ما دامت يد المولى من العلاء تظلها وتحرس شعبه كما يليق به . وكان الملوك يتحفون المسيحيين بشرف جزيل ، مخولين إياهم رئاسة البلاد ، كما كان جميع الزعماء والولاة يستقبلون رؤساء البيعة بوقار عظيم .

هكذا تلالأت المسيحية وتوسعت في كل مكان ، وازدهرت الكنائس في جميع الجهات ، ومنح المسيحيون اسمى المراتب في الامبراطورية الرومانية . وقصارى القول فقد افلحت الكنيسة وتقدمت وكانت سفينتها تمخر عباب هذا العالم بأمان ١ .

الفصل الثالث عشر

الكنيسة وزوابع المملكة



كانت امواج الاضطهادات الجارفة وزوابعها الصاخبة تتقاذف سفينة الكنيسة على الشواطىء الصخرية قاصدة تحطيمها . ولكنها قويت على مقاومة ذلك التيار وصمدت امام حدة القوة المتدفقة .

ففي سنة ٢٠٢ اثار القيصر سبتيمس سويروس اضطهاداً دعي السادس وفيه جاهد القديس اسقليفياديس المعترف الذي تبوأ بعدئذ عرش انطاكية .

واعتقل القديس الكسندروس اسقف قيصرية كبادوكية ، فتاب عنه في ادارة امور ابرشيته استاذ القس اقليميس الاسكندري ، مشجعاً المؤمنين على اقتحام الشدة ، داعياً الوثنيين الى اعتناق الدين المبين . وكان اقليميس قد هرب الى هناك من جراء الاضطهاد الذي ضعفت مدرسة الاسكندرية اللاهوتية وبعثر طلابها ^١ . ودام الاضطهاد حتى قتل القيصر سنة ٢١١ . ومن شدته ظن المؤمنون ان المسيح الدجال ظهر في العالم ^٢ وفي سنة ٢٣٥ جلس مكسيميانس على تخت المملكة فساقه بغض لسلفه سويروس الكسندروس الى الحكم بالنفي والموت على رؤساء البيعة ولا سيما اصحاب سلفه ^٣ ، فاحرق الوثنيون بعض الكنائس في آسيا الصغرى عندما نكبت ولاية كبادوكية بالزلازل العنيفة والمجاعات لزعمهم ان سبب ذلك غضب الآلهة على المسيحيين .

وفي سنة ٢٤٩ ملك داققوس فعادى المسيحيين بغضة بسلفه القيصر فيلبس . وفي سنة ٢٥٠ اثار عليهم اضطهاداً عنيفاً كان افظع الاضطهادات التي سبقته واعتمها . فاستشهد فيه القديس بابولا بطريرك انطاكية . واعترف بالايمان القديس الكسندروس اسقف اورشليم امام محكمة قيصرية فلسطين ، فحكم عليه بالنسج حيث رقد سنة ٢٥١ بعد ان دبر بيعته اورشليم اربعين سنة . كما اعترف ايضاً القديس افاق اسقف انطاكية بيسيديا الذي عفا عنه داققوس لما رآه منه من عزم وفصاحة في دفاعه عن حقيقة دينه ^٤ .

وفي سنة ٢٧٥ اصدر القيصر اوريليان (٢٧٠ - ٢٧٥) مرسوماً يقضي باضطهاد المسيحيين ^٥ وهو الاضطهاد التاسع . وقبل ان يُنفذ فعلاً

(١) الدرر النفيسة ص ٢٣٠

(٢) الخريدة النفيسة ج ١ ص ١٤٤

(٣) التاريخ المدني السرياني لابن العبري ص ٥٦ والخريدة النفيسة ج ١ ص ٢٠٥

(٤) الدرر النفيسة ص ٢٧٣ و ٢٧٤

(٥) جيزلر مج ١ ص ١٩٤

انقضت صاعقة على رجليه ففتكت به ^١ .

وفي سنة ٢٩٥ استصدر مكسيميان غاليريوس امراً من ديوقليطيان يقضي باكره الجنود المسيحيين على تقديم الذبائح للاوثان . فصمد اولئك البواسب صمود الابطال وآثروا التضحية برتبهم بل بمهجهم الغالية حباً ليسوع الحبيب . وقد اشتهر مار سرجيس ومار باخوس بين الالوف الذين اظهروا شجاعة عجيبة في هذا الميدان .

كان مار سرجيس جندياً ومار باخوس قائداً ثانياً ، فحاول مكسيميان غاليريوس اكراههما على جحد المسيح ، ولكنه باء بالفشل . وبعد ان اذاقهما مر العذاب : البسهما ثياب النساء هزءاً فطافوا بهما في المدينة . ثم ارسلهما الى الوالي انطيوخوس في مدينة بالش ليحاكما فجلد اولاً باخوس وقتله ، ثم البس سرجيس حذاء وضعت فيه مسامير حادة وجعلوه يعدو مع حصان ميلا كاملاً ، محتملاً عذاباً اليماً . فانفجر من قدميه دم غزير ، وكان في كل ذلك يشجعه ملاك ، كما ظهر له باخوس ليلاً متسربلاً بالمجد وعلى هامته اكليل من نور وشجعه . فتاق الى الحصول على اكليل بهي مثله . واخيراً حُز رأسه بالسيف في مدينة الرصافة على ضفة الفرات في ٧ تشرين الاول سنة ٢٩٧ ^٢ .

وفي ٩ كانون الاول استشهد هوفار كوس وفيلوثاوس حاكما مدينة سميساط وخمسة من مواطنيها النبلاء ^٣ .

(١) التاريخ المدني السرياني لابن العبري ص ٥٧

(٢) انظر فرض عيدهما بالسريانية

(٣) الدرر النفيسة ص ٣٤٠

الفصل الرابع عشر

اشهر تلامذة مدرسة قيصريّة فلسطين



لقد نبغ من مدرسة قيصريّة فلسطين علماء افاضوا وصيتهم في كل الاقطار ، اشهرهم القديس غريغوريوس العجائبي واخوه اثنودورس ، والقديس ايفانس (افيان) واخوه مار الوسيس ، والعلامة اوسابيوس القيصري .

غريغوريوس العجائبي : ولد في قيصريّة الجديدة حوالي سنة ٢١٣ من اسرة وثنية موسرة وسمي تاوذورس ، فدرس العلوم في اثينا والاسكندرية ، والفقهاء الروماني في بيروت . وحوالي سنة ٢٣١ دخل واخاه اثنودورس مدرسة قيصريّة فلسطين اللاهوتية حين كان اوريجنس متصدراً للتعليم فيها ، فأخذ تاوذورس يطالع الكتاب المقدس ، حتى استنار به لبه ووقف على الحقائق الالهية ، وبارشاد اوريجنس تتلمذ واعتمد . وبعد خمس سنوات غادر المدرسة الى وطنه حيث اصبح قبة الابصار للقاصي والداني . وكان يرغب في النسك والعزلة . إلا انه لم يتمكن من البلوغ الى مناه ، اذ ساء مار فيديس مطران امصيا ان يرى رجلاً تقياً كهذا بعيداً عن خدمة الكنيسة . لذلك الزمه على قبول اسقفية قيصريّة الجديدة ورسمه اسقفاً حوالي سنة ٢٤٠ أو ٢٤٤ ودعاه غريغوريوس . وقد حرضه على ذلك العلامة اوريجنس أيضاً وكثيرون غيره . ولم يكن في هذه المدينة يومئذ من المؤمنين سوى سبعة عشر كما أخبرنا القديس غريغوريوس النوسي في

ترجمته . ولكنه استطاع أن يأتي بأهل المدينة الى الدين المسيحي المبين ، وذلك بقوة الله وبموهبة صنع المعجزات التي منحت له ، فضلاً عن سعة علمه ونفاذ بصيرته وعلو همته .

وقد صرح القديسان باسيليوس الكبير ، وغريغوريوس النوسي بالعجائب الكثيرة التي اجتريها . فسماه المؤمنون بالعجائبي . وسنة ٢٥٠ اختفى عن أورشليمه إبان اضطهاد داققوس .

اشترك العجائبي في عدة جدالات بيعية ثارت في أيامه . كما انه حضر المجمع الانطاكي الذي عزل بولس السميساطي سنة ٢٦٨ . وحوالي سنة ٢٧٠ دعاه الله الى راحته . قيل انه في ساعة موته سأل الذين حوله عن عدد الوثنيين الباقين في المدينة ، فأجابوه ١٧ شخصاً فقط .

وللقديس العجائبي مكانة رفيعة بين آباء الكنيسة ، لما صنّفه من مقالات نفيسة وكتب جليلة . وبما ان عمله كان بين الوثنيين بنوع خاص : فقد وضع ضدهم عدة مقالات جدلية . وأشهر مصنفاته : كتابه في الايمان . وله خطبة عجيبة في بشارة العذراء ومقال في كيفية قبول الساقطين في الاضطهاد .

أما أخوه أثينودورس فقد رسم أسقفاً لامصيا في هيلينوفنطس ، وحضر هو أيضاً مجمع انطاكية الذي عزل بولس السميساطي .

ابيفانس (افيان) اللقي

ولد في ولاية لوقية من أسرة ثرية ، ودرس الفقه الروماني في بيروت خمس سنوات ثم قرأ اللاهوت في قيصرية فلسطين على القديس بمفيلس البيروتي ، وتعلم منه الصبر والشجاعة والكمال المسيحي . أما أخوه الوسيس فبعد أن درس معه حكمة اليونان والرومان في بيروت تتلمذ للقديس بمفيلس ، واستشهدا كلاهما في الاضطهاد العاشر ١ .

(١) راجع « شهداء فلسطين » لآوسابيوس القيصري بالسريانية

اوسابيوس القيصري

هو أشهر مؤرخي الكنيسة في القرون الاولى بل ابو التاريخ الكنسي ، كيف لا وقد استقى جميع المؤرخين من ينبوعه التاريخي . تلمذ للقديس بمفيلس وساعده في أتعابه . ولشغفه الكثير في الأبحاث القديمة : استخرج للعالم جواهر لا تثنى من كنوز خزانة قيصرية الشهيرة . وسندرس حياته أكثر عند كلامنا على القرن الرابع .

الفصل الخامس عشر

تنصر بلاد الارمنه واستعمالها الإنجليزية السريانية



كانت بلاد ارمينية الكبرى تدين بالمزدكية الوثنية ، فأشرق على بعض اهلها نور الانجيل في تضاعيف القرون الثلاثة الاولى ، بواسطة بعض السريان من مدينتي الرها ونصيبين . وفي سنة ٣٠١ تم تنصيرها على يد القديس غريغوريوس المنور .

تثقف هذا القديس في بعض مدارس بلاد كبادوكية حيث تنصّر ، وترعرع على السيرة الفاضلة . وشاءت العناية الربانية ان يصبح من خواص تيودات ملك الفرثيين والأرمن (٢٦١ - ٣١٧) وأخذ يبشر بالدين المسيحي . فساء الملك عمله ، فقسى عليه وأذاقه من العذاب الواناً علّه يحوّلّه عن دينه ، واخيراً طرحه في جب يحوي حشرات قتالة ، فحفظه الله من كل اذى . ثم ابتلى الله الملك فارعوى واخرجه من الجب فشفاه .

فأذن له من ثم بالتبشير في بلاده حتى هداها برمتها الى الدين المسيحي
المبئن الذي جعلته لها دين الوطن . وفي هذه السنة رسمه لثونطس مطران
قيصرية كبادوكية اسقفاً لارمنية ، فأنشأ لها كنائس على انقاض هياكلها
الوثنية ، ورسم لها قسوساً وشمامسة ، وسنّ لها قوانين وانظمة .
وفي سنة ٣٢٥ نقله الله اليه ، وخلفه ابنه الاسقف اريستاكيس .
وخضعت الكنيسة الارمنية لمطراية قيصرية كبادوكية ، وكتبت لغتها
بالأبجدية السريانية ، ونبغ بعض اساقفتها بالسريانية . وفي حدود سنة ٤٤٠
في عهد الجاثليق اسحق اخترع مسروب احد علماءها : الابجدية الأرمنية
بمساعدة الاستاذ دانيال السرياني ونقل التوراة من السريانية الى الارمنية .

الفصل السادس عشر

الكنيسة ابان الازطرهاد العاشر



كان الملوك الرومان الذين عقبوا واليريانوس منهمكين في تهدئة
الاضطرابات والفتن التي ثار ثاثرها في الامبراطورية ، سواء نجم ذلك عن
الملوك الأجانب أو من تأثير البرابرة والمردة . لذلك لم يكن لهم متسع
ليفكروا في مشق حسامهم واثارة الاضطهادات على المسيحية ، ما خلا
اوريليانس (٢٧٠ - ٢٧٥) كما سبق .

وفي ٢٩ آب سنة ٢٨٤ تبوأ عرش المملكة ديوقليطيانس ، فعطف على
المسيحيين في اول امره وعيّن بعضاً منهم في بلاطه كما اسلفنا . بيد ان
مكسيميانس غاليريوس الذي عينه قيصرًا معاونًا له في الشرق سنة ٢٩٢

كان يكرههم ويفلي حقداً عليهم ، لا يرتوي من دماء الأبرياء . ولم يكتفِ باستصداره امراً من ديوقليطيانس سنة ٢٩٥ باضطهاد الجنود المسيحيين كما علمت ، بل كان يحرضه للإيقاع بهم والنيل من كرامتهم ، حتى استصدر مرسوماً منه في عيد تيرمنيوس الوثني المصادف يوم الثلاثاء ٢٣ شباط سنة ٣٠٣ يقضي « بهدم كنائس المسيحيين واحراق كتبهم المقدسة وإهانة رؤسائهم »^١ . فأخذ الاضطهاد يمتد من بلاط الملك في نيقوميديا رويداً رويداً الى سائر الجهات . فهدمت الكنائس والمعابد ، وأحرقت الكتب المقدسة في الشوارع ، واختفى رؤساء الكنائس ، والذين قبض عليهم منهم ذاقوا من الهوان ألواناً^٢ . وكثيرون من اهل الرتب العالية آثروا الدين القويم على المجد الباطل ، فضحوا برتبهم ومهجمهم ايضاً^٣ . ووصل التيار الجارف الى انطاكية وفلسطين حوالي عيد الفصح . فصار الشماس رومانس الذي كان قادماً من بيعة قيصرية فلسطين الى انطاكية : اول الشهداء في انطاكية .

وفي تلك الأيام شبت نار في قصر الملك في نيقوميديا ، اشتهم بها المسيحيون . فاصدر ديوقليطيانس مرسوماً ثانياً يقضي بسجن رؤساء الكنائس في جميع البلاد . فسجن من المؤمنين ربوات كثيرة ، حتى ان السجون التي كانت قد اعدت للقتلة والمجرمين ضاقت يومذاك بالاساقفة والقسوس والشمامسة والقرّاء والمخلفين ، فلم يبق فيها مكان للمجرمين^٤ . وعقب هذين المرسومين مرسوم ثالث ، يقضي على الاساقفة والاكليروس المعتقلين بتقديم الذبائح للاوثان ، فيعتقون ، والا سلموا الى صنوف التعذيب . وهكذا حلت بكثير منهم صنوف الآلام الفادحة ، فماتوا

(١) اوسابيوس ٨ : ٣

(٢) فيه ٨ : ٢

(٣) فيه ٨ : ٤

(٤) اوسابيوس ٨ : ٦

ضرباً او غرقاً او حرقاً او جوعاً او قتلاً بالسيف ، او ذهبوا فريسة
للووحوش الضارية ، وغير ذلك . وارتخت فئة منهم مظهرة ضعفاً وجبناً ١ .
ذكر المؤرخون أن القديس قوريلس الانطاكي ايضاً نال اكليل الشهادة في
هذه السنة ٢ .

وفي ١٨ تشرين الثاني أُعتق الاسرى في انطاكية وغيرها ، اذ تمت
عشرون سنة لمُلك ديوقليطيانس ٢ .

وفي سنة ٣٠٤ اصدر ديوقليطيانس مرسوماً رابعاً يقضي على جميع
المسيحيين بالسجود للاصنام ، فاستشهد كثيرون ، كما انخرط كثيرون في
سلك المعترفين . وقد تفنن الطغاة في تعذيبهم ، فكانوا في بلاد سوريا
يشوونهم على المقالي ، وفي بلاد ما بين النهرين يشنقون بعضهم منكسي
الرؤوس ، وفي ولاية البنطس يدخلون تحت اظافرهم قصباً حاداً ثم
يصبون عليها رصاصاً مذوباً ٣ .

وفي سنة ٣٠٥ ابتلى الله ديوقليطيانس بداء وبيل ، فاصدر مرسوماً
يقضي باطلاق الاسرى المسيحيين واستئناف بناء كنائسهم المتقوضة ،
والسماح لهم بممارسة شعائر دينهم ، طالباً دعاءهم للافراج عن دائه . غير
أن الولاة لم ينفذوه ، فاستقال في هذه السنة وخلفه مكسيميان غاليريوس
برتبة أوغسطوس ، يعاونه ابن أخيه مكسيميان دايا برتبة قيصر وهو في
العشرين من عمره . وكان هذا فاسد الاخلاق ، فعاث فساداً في المملكة
بانتزاعه بواسطة جنوده من راقته من النساء من ازواجهن والبنات من
آبائهن ، يقدمهن ضحية لشهوته ، وتعذيبه وقتله اللواتي امتنعن مفضلات
الموت في سبيل المحافظة على العفة . وكانت مدينة انطاكية مسرحاً لهذه
الامور المؤلمة . غير ان غاليريوس قبل موته الذي حل سنة ٣١١ اصدر

(١) اوسايبوس ٨ : ٣ و ١٣

(٢) بطريكية انطاكية لنيل ص ٦٠

(٣) اوسايبوس ٨ : ١٢

مرسوماً بإبطال الاضطهاد في الشرق ، فاستأنفه مكسيميان دايا بعد ستة اشهر ١ .

وظل الاضطهاد في الشرق حتى تنصّر قسطنطين الكبير ، وانتصر على مكسيميان دايا سنة ٣١٣ ، فنفّذ منشور ميلان في المملكة كلها . وفي سنة ٣١٤ قهر ليقيانس قيصر الشرق ايضاً والزّمه ان يوقع هذا المنشور ٢ . بيد ان ليقيانس جدد الاضطهاد بعد مدة يسيرة فأبعد المؤمنين عن بلاطه وجيشه ، وضيّق عليهم برسوم مزعجة ، ودمّر بعض الكنائس ، ومنع الاكليروس من تنصير احد ، وأمر ألا تكون الكنائس بشركة حبية مع بعضها ، مبعثراً اجتماعات المؤمنين مانعاً اجتماع الرجال والنساء معاً في اثناء الصلوات ، وتشديد الكنائس في المدن ، وغير ذلك ٣ . ولكي يقهر قسطنطين اعتضد بالوثنيين .

ولما خرج الاكليروس والمؤمنون على تلك الرسوم : قتل بعضاً منهم ونفى آخرين ، كما اغلق عدة كنائس وصادر اموال المؤمنين . فساء ذلك قسطنطين الذي اعلن عليه الحرب وانتصر عليه ٣ في خريسوبليس في ١٨ ايلول سنة ٣٢٣ ونفاه إلى تسالونيكي ثم قتله .

وفي هذا الاضطهاد استشهد القديس بلاسيوس أسقف سيبيسطية (وقيل باسيلوس أسقف أماسيا) سنة ٣١٦ ، وكثيرون من الجنود المسيحيين ومن جملتهم الشهداء الاربعون في مدينة سيبيسطية (سيواس) سنة ٣١٦ . واعترف سنة ٣١٤ مار بولس أسقف قيصرية الجديدة ومار ثاودوطا أسقف سيرونيا (قبرس) .

وقد اعترف اوسابيوس القيصري المعاصر لهذا الاضطهاد بان العدل الالهي بطش بطشه من جراء سوء تصرفات المسيحيين قائلاً : « لقد تبدلت

(١) اوسابيوس ٩ : ٢

(٢) فيه ٩ : ١١

(٣) فيه ١٠ : ٥

اوضاعنا نظراً لاستتباب الامن والحرية . فكان الكثيرون يحسدون بعضهم بعضاً ، بل كنا كأننا نحارب ذواتنا بسيف الكلام وحرابه . وكانت الرؤساء ينازعون الرؤساء ، والشعب يثور على الشعب ولم يبق حد للمحاباة ، كما كان الانغماس في الشرور يقوى ويزداد : واولئك الذين كانوا يُظنون انهم رعاة : فقد ابعدوا عنهم سُنة التقوى ، متأججين على بعضهم بنار الحُصام ، ومبطنين لبعضهم الريب والسخط والغيرة والنزاع والبغضاء ، وكانوا يتهافتون بكل نواياهم على التسلط وحب الرئاسة « ١ » .

الفصل السابع عشر

اشهر شهداء الكنيسة الانطاكية ابان الاضطهاد العاشر



كان لابرشية انطاكية الواسعة ، الحظ الاوفى ابان الاضطهاد العاشر في تقديم ألوف في ألوف من الشهداء الابطال الذين احتملوا مضض الآلام الفادحة ، وتباريح الاعذبة التي لا تطاق ، بايمان متين وصبر ممكن . واليك طرفاً من اخبار اشهرهم .

١ - مار جرجس : ولد في غزة (فلسطين) ، وكان ابوه قد تسلم منصباً رفيعاً في الجيش ، فانخرط الفتى جرجس ايضاً في جيش ديوقليطيانس ، فصار ضابطاً . ولما اثار ديوقليطيانس اضطهاده الشهير : لمعت محبة جرجس لدينه اكثر من قبل ، فأعد نفسه بقلب غير مدهول

وعزم غير مفلول للنزول الى حومة الجهاد لنيل اكليل الشهادة . فقرّع الملوك والحكام على اعمال الظلم والظلام غير وجل ولا هيب ، فجرعوه كؤوساً متوعة من الآلام بقسوة لا تطاق . ولم يستطع كل ذلك ان يفصله عن محبة المسيح . فاجترح معجزات باهرات اذهلت مضطهديه . قيل ان الكسندرة زوجة الملك وابنتها فاليرية وكثيرين غيرهما آمنوا حين عاينوا صبره العجيب ومعجزاته . وبعد ان ذاق صنوف التعذيب حزن رأسه في ٢٣ نيسان سنة ٣٠٣ . فشيدت باسمه في هذا القرن كنائس في اماكن عديدة ، منها تسالونيكى ونيقوميديا والد .

٢ - مار رومانس : كان فلسطينياً وشماساً لبيعة قيصرية فلسطين . ولما ثار الاضطهاد اخذ يطوف في البلاد مبشراً ومشجعاً المؤمنين على اقتحام الاهوال بدلاً من ان يضحوا للاوثان . ولما وصل الى انطاكية قبض عليه المضطهدون فقطعوا لسانه ، ثم اضرموه ناراً لاحراقه ، اخمدها الله بمطر غزير . واخيراً استشهد سنة ٣٠٣ وهو اول ضحايا انطاكية في هذا الاضطهاد ، فانشئت له فيها بيعة .

٣ - القديسة فبرونية : استولى ديوقليطيانس على مدينة نصيبين سنة ٣٠٤ . وبعد ان فتك القائد سيلينوس بمسيحي ما بين النهرين : قبض على القديسة فبرونية في نصيبين ونكّل بها . فعرّاها ومدّها على الارض وشعل تحتها ناراً خفيفة ، وجلدها بقضبان ، ثم علقها على خشبة ومشط جنبها بامشاط حديدية واحرقها بالنار ثم قلع اسنانها وقطع ثدييها ورجليها ويديها ، واخيراً حزن رأسها سنة ٣٠٤ . وبعد زوال الشدة شيد باسمها مار يعقوب النصيبيني بيعة فاخرة في نصيبين نقل اليها شيئاً من رفاتها .

٤ - القديسة بلاجية : كانت من انطاكية ، وتثقت بالعلوم الدينية عند مار لوقيانوس استاذ المدرسة الانطاكية ، وتحلت بالفضائل العالية حتى بلغت الخامسة عشرة من عمرها . فلما بلغ امر جمالها الفتان مكسيميان

دايا : ارسل مفرزة من الجند ليأتوه بها اشباعاً لشهوته . فباغتوها وهي وحدها في البيت . غير انها آثرت الموت على التضحية بعفتها وإيمانها ، فأقنعت الجند ليأذنوا لها بلبس اجمل ثيابها ، ثم صعدت الى السطح والقت بنفسها الى اسفل ، ففاضت روحها النقية سنة ٣٠٥ .

٥ - القديسة دومنينة : كانت من انطاكية من اسرة عريقة ، ونشأت على الفضيلة ، وكانت لها بنتان هما برسدوقية وبرنيقا ، ربتها بتقوى الله وإيمانه . فأرسل مكسيميان ليأتوه بهن . فلما بلغهن ذلك هربن من انطاكية الى الرها . ولما ادركهن الجند : استاقوهن الى الملك . وفي الطريق : اقنعت الام بنتيهما لتؤثرا الموت على فقدان العفة والدين . ولما وصلن الى الفرات : استأذن الجنود بالاستحمام في النهر ، فطرحن فيه انفسهن ومُتن غرقاً ١ .

مار عزرائيل : كان من سميساط ، فأمر مكسيميان بتشيم جسمه وتكسير عظامه بالمعاول وفقء عينيه وقلع اضراسه وبتر يديه ورجليه ، وطرحه اخيراً في الجب . فصر على هذه الآلام كلها قاهراً مضطهدية ، وذلك سنة ٣٠٦ .

٧ - مار قوزما ومار دوميان : كانا طبيبين حاذقين شهيرين من بلاد العرب ، فاستعملا ثروتها وفنهما الخير البشرية بحسب مشيئة الله . فعذبها الحاكم ليسيوس ، وأخيراً حز رأسيهما واخوتهما سنة ٣٠٦ . وشيد باسميهما في هذا القرن بيعة في حلب .

٨ - مار كوريا ومار شمونا : كانا شيخين ناسكين من الرها ، فنكل بهما انطونيوس حاكم الرها ، وذلك انه علّقهما برأس عمود عال ، وربط بأرجلهما حجارة ثقيلة مدة خمس ساعات ، ثم انزلهما وطرحهما في سجن ضيق ، واخيراً حز رأسيهما في ١٥ تشرين الاول سنة ٣٠٦ ،

فكتب سيرتها بالسريانية معاصرها تأوفيلس السرياني الرهاوي .

٩ - مار حبيب : كان شماساً من قرية تلصها المجاورة للرها غيوراً على نشر الايمان . وكان إبان الاضطهاد يطوف في القرى المجاورة للرها يكرز مبشراً ومشجعاً المؤمنين على اقتحام الآلام . ولما بلغ امره حكام البلاد : اخبروا الملك الذي امر فوراً بالقاء القبض عليه . واذ لم يجدوه : قبضوا على امه وانسابائه . فلما علم بذلك حبيب اسرع الى الجزرة فرحاً متهللاً ، وأسلم نفسه بأيدي المضطهدين لثلاثين يوماً غيره لأجله . فأذاقوه مرّ العذاب ، ذلك انهم جلدوه ثم وضعوه في قفص حديدي وضيقوا عليه كثيراً ثم طرحوه في السجن ، ثم ضربوه بقضبان الرمان ، ثم علقوه على خشبة ومشطوا جسمه بامشاط حديدية ، ثم احرقوه بالنار في ٢ ايلول سنة ٣٠٩ . فكتب سيرته بالسريانية تأوفيلس الرهاوي الآنف الذكر .

١٠ - القديس بمفيلس البيروتي : تلميذ مدرسة الاسكندرية وقسيس بيعة قيصرية فلسطين واستاذ مدرستها اللاهوتية . طرح في السجن سنة ٣٠٧ حيث اقام نحو سنتين يشتغل بعلم الكتاب المقدس يساعده في العمل بعض اصحابه الذين كانوا يزورونه ، منهم تلميذه اوسابيوس القيصري . ثم استشهد في ١٦ شباط سنة ٣٠٩ .

١١ - مار لوقيانس السيمساطي : قسيس انطاكية وأحد مؤسسي مدرستها اللاهوتية كما اسلفنا ، قطع رأسه مع رفيقه القس دوروثاوس في نيقوميديّة في ٧ كانون الثاني سنة ٣١٢ .

١٢ - مار سلوانس اسقف حمص : كان فلسطينياً ، تسقف على حمص سنة ٢٧٢ . وبعد ان خدم الاسقفية اربعين سنة بطهر وقداسة : قبض عليه المضطهدون ، وجعلوه مع ثلاثة آخرين فريسة للوحوش الضارية في مسرح حمص ، في ٢٩ كانون الثاني سنة ٣١٢ .

١٣ - الشهداء الاربعون : كان هؤلاء من جملة الجنود المسيحيين
الكثيرين الذين ضفرت لهم اكاليل المجد والظفر في اضطهاد ليقيانس سنة
٣١٦ . فقد امرهم الحاكم في مدينة سبسطية (سيواس) الاشتراك بذبيحة
وثنية . ولما رفضوا ذلك قضى عليهم بالموت بعد ان يتجرعوا كووساً
مترعة من الآلام . وفي إحدى ليالي الشتاء ، بينما كان البرد قارساً ،
والماء متجمداً ، والرياح الشمالية تقصف قصفاً : عروهم من ثيابهم واقاموهم
حتى اعناقهم في غدير ، وبجانبه حمام اضرمت فيه نار . فوهنت قوى
احدهم ، فكفر واسرع الى الحمام ليصطلي ، فمات حال ان لمستته الحرارة .
وكان حارس الحمام يعاين جهاد الشهداء ، فشاهد اكاليل النور والمجد
تهبط عليهم من السماء ، فطرقت النعمة باب قلبه ، فاستنار بالنور الالهي
وآمن بالمسيح وخلع ثيابه واسرع ووقف مكان ذلك الخاسر لكي يحصل
على مثل تلك الاكاليل السموية . فقضى الشهداء في ذلك البرد القارس .
وفي الصباح أخذت الاجساد لتُحرق ، فوجدوا رَمَقاً في احدهم ، فتركوه
هناك على امل ان يمجّد المسيح . فلما رأته والدته الباسلة : ضمته إلى
عربة الشهداء لينال الاكليل مع رفاقه . وهكذا أُحرق الشهداء الاربعون .



الباب الرابع

من سنة ٣١٢ — ٤٠٠

الفصل الاول

الملكة هيلانة السريانية الرهاوية

في النصف الثاني من القرن الثالث سافر الأمير قسطنس خلورس الى بلاد الفرس ، ونزل في مدينة الرها واعمالها . وهناك رغب في الزواج بفتاة ذات حسب ونسب ، فأخبروه عن هيلانة ابنة قسيس سرياني من قرية « فججي » بجوار الرها ، وكانت جميلة الخلق والخلق . وكان قسطنس يميل الى المسيحية ويحميها . فخطب الفتاة من أبيها وتزوجها كما أيد معظم المؤرخين الشرقيين ^١ فولد له منها ولد هو فلاويوس واليوريوس اورليون قسطنطين في نيسوس او « نيسا » من اعمال « ميسيا العليا » في شباط سنة ٢٧٤ . وفي سنة ٢٩٢ تسلم قسطنس منصب القيصر على بلاد الغرب ومن ضمنها اسبانيا وفرنسا وبريطانيا . أما الفتى قسطنطين فكان يعمل في

(١) الدرر النفيسة ص ٤٤٤ وأصدق ما كان عن تاريخ لبنان تأليف الفيكت فيليب دي طرازي مج ١ ص ١٩٩ - ٢٠١ نقلاً عن اغايوس بن قسطنطين الرومي المنبجي من مؤرخي القرن العاشر للميلاد ، وجرجس ابن العميد التكريتي السرياني (١٢٧٤ +) ، وغيرهما .

الشرق في بلاط ديوقليطيانس الذي أرسله لمحاربة مصر حتى سنة ٢٩٦ ثم جعل رئيساً ثانياً تحت قيادة غاليريوس في محاربة الفرس . فاستمال اليه الجيش بمنظره الملكي وشجاعته النادرة وذكائه المفرط وبراعته الفائقة في فنون الحرب حتى حسده غاليريوس وحاول الايقاع به . قيل إنه في هذه الأثناء درس في الرها حكمة اليونان . وفي سنة ٣٠٥ صار كل من قسطنس خلورس وغاليريوس اوغسطاً . أما الشاب قسطنطين وإن كان كفوءاً وأهلاً لمنصب القيصر ، بل كان ذلك من حقه : فقد عزّ على غاليريوس ان يسنده اليه حسداً من مناقبه . فكتب اليه قسطنس ان يأذن لقسطنطين بالشخص اليه ، ففعل مكرهاً . وفي ٢٥ تموز سنة ٣٠٦ توفي والده في يورك بعد ان قلده سراً منصب اوغسطس . وبعد ان نال تأييد الجيش : قبله اهل بريطانيا ايضاً ، ثم رتب أمور غاليا (فرنسا) والبلاد الاخرى ، وبتحريض امه هيلانة منح المسيحيين حرية تامة مثل ابيه ، حتى فشل المرسوم الذي اصدره غاليريوس باضطهادهم . وفي سنة ٣٠٧ تزوج في « ارلس » بفوستا ابنة القيصر مكسيميان هرقل . وبهذه المناسبة نال لقب اوغسطس .

اما هيلانة فكانت تكم دينها وتدمن الصوم والصلاة الى الله لكي يشرق على ابنها قسطنطين نور الايمان والهدى ، حتى استجاب دعاءها . فصرفت من ثم همتها في تأييد الدين المبين ، منشئة كنائس جليلة في اورشليم والاماكن المقدسة والرها وطنها وحلب وغيرها من البلدان . وبإشارتها عقد ابنها المجمع المسكوني الاول في مدينة نيقية سنة ٣٢٥ نصره للحق وتأييداً للايمان القويم كما سيأتي .

الفصل الثاني

تنصر قسطنطين ابن الملكة هيلانة

كان القيصر مكسيميان هرقل في رومية ، فاضطره ابنه مكسنطيوس على مغادرتها . فتوجه الى ايليريوم ، فطرده منها غاليريوس ، فالتجأ ببلاط قسطنطين الذي رحّب به اجمل ترحيب . وبعد مدة همس اليه الشيطان فتعاقد وابنه على خذل قسطنطين الذي كان يومئذ في « رين » فلما انكشف له سر المؤامرة خرج على مكسيميان حتى أرس ، واضطره على التراجع الى مارسيلس حيث انتحر في شباط سنة ٣١٠ . فأوغر ذلك صدر ابنه واستعد ليثار له . فخرج قسطنطين لمبارزته ، ولما رأى جيشه العرمرم هاله امره ولم يدر بأيّ من آلهة الرومانيين الكثيرة يلتجئ في تلك الحرب الضروس . وفيما كانت تتشعبه الافكار ، واذا به يرى في السماء ، والشمس في رابعة النهار : صليباً شبه عمود من نور مكتوباً عليه « بهذا تنتصر » . وظهر له الرب في حلم الليل وقال له « اصنع مثلاً رأيت فنتصر » . وفي الصباح صنع رمحاً ذهبياً يتوسطه صليب معلق به منديل حريري رسمت عليه صور قسطنطين واولاده ، يعلوه اكليل نقش عليه الحرفان الاولان من اسم السيد المسيح . واختار لجملة خمسين رجلاً من حرسه الخاص^١ . فانتصر على عدوه وابن حميه عند

(١) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٢٢ وتاريخ مختصر الدول بالعربية لابن العبري صفحة ١٣٤ والخريدة النفيسة ج ١ صفحة ١٩٤ و ٢٠٤ نقلاً عن اوسابيوس القيصري .

جسر ميلويان على نهر تير بقرب رومية وذلك في ٢٨ تشرين الاول سنة ٣١٢ . ولما كان الجيش المقهور يتراجع منكفئاً مزدحماً على الجسر سقط مكسنتيوس في النهر وغرق ، ثم انكسر الجسر وسقط الجيش المخدول كله واختنق . فتأيد قسطنطين بالايان ودخل رومية واعلام النصر تحفق فوق رأسه . واستدعى اسقفها سلبسترس وتعلم منه الايمان . وبهذه المناسبة آمن واعتمد في رومية نحو ١٢ الف من اليهود والوثنيين ما عدا النساء والاطفال ١ .

وفي اذار سنة ٣١٣ تزوج ليقيانس اوغسطس الشرق في ميلان قسطنطينة اخت قسطنطين ٢ وفي هذا الشهر اصدر اجملة مرسوم ميلان الشهير في حرية الاديان ، اردفه قسطنطين بمرسوم آخر لصالح المسيحيين ، معيداً اليهم حقوقهم المهضومة ، مدنية كانت ام دينية ، مانحاً اياهم تمام الحرية والمساواة .

الفصل الثالث

مار فيطاليوس الانطاكي يعقد مجتمعا في انقرة سنة ٣١٤



بعد ان انقشعت هموم المسيحية بما منَّ به الله عليها من السلام : اخذ دعايتها بلمّ شعث المؤمنين واصلاح ما طرأ على قوانين الكنيسة من الفساد ابان الاضطهاد العاشر العنيف ، وذلك بما عقدوه من المجمع الاقليمي .

(١) تاريخ مختصر الدول صفحة ١٣٤ .

(٢) اوسابيوس ١٠ : ٥

وكانت ابرشية انطاكية السبّاقة في هذا المضمار . فقد عقد مار فيطاليوس الانطاكي سنة ٣١٤ مجمعين في انقرة وقيصرية الجديدة ، حضرهما اساقفة من ولايات غلاطية وكيلىكية والبنطس وبيثونيا وليقونية وفرجيية وبليسيديه وبغليية وكبدوكية وارمينية الكبرى وسوريا وفلسطين .

كانت انقرة عاصمة غلاطية ، فحضر مجمعها سبعة عشر اسقفاً برئاسة مار فيطاليوس ، وسنّوا خمسة وعشرين قانوناً في نظام البيعة ، وكيفية قبول توبة الساقطين إبان الاضطهاد ، وزواج المؤمنين وغير ذلك ، وإليك خلاصتها :

تتكلم القوانين الثمانية الاولى وكذلك الحادي عشر : عن كيفية قبول الذين ضحوا للأوثان مرة او اكثر ، او الزموا غيرهم على ذلك ، او اكلوا في هيكل الاوثان قسراً او لمجرد تهديد فقط ، او اكلوا مع الوثنيين في اعيادهم وفي امكنة خاصة بهم . وتقضي على القسوس والشمامسة الذين ضحوا ثم تابوا مجاهدين حقاً لا تصنعوا ، ان يُمنحوا شرف الرتبة فقط دون القيام بآية خدمة كهنوتية . غير انها خوّلت الاساقفة كلاً في ابرشيته ان يفعل ما يراه مناسباً من جهة الشمامسة اذا لمس فيهم تواضعاً ووداعة . وكذلك تبرىء ساحة الذين وضع الوثنيون قسراً في ايديهم شيئاً وثنياً او اضطروهم ان يأكلوا ما هو وثني ، وكانوا في كل ذلك مجاهرون بدينهم المسيحي . كما انها امرت ألا يمنعوا من تناول الاسرار ، بل ان يقبل العلمانيون منهم في سلك الكهنوت إذا وجدوا أكفاء وكان تصرفهم السابق يؤهلهم لذلك ، بل تجيز لهم ذلك وان ضحوا للأوثان قبل العباد ثم اعتمدوا . اما في الحالات الاخرى المذكورة آنفاً : فقد حددت مدات مختلفة للتوبة بنسبة الجرم ، ثم يصيرون اهلاً للاشتراك بالاسرار مع المؤمنين ، على ألا تتجاوز أقصى مدة ، العشر سنوات ، كما خوّلت الاساقفة ان ينقصوا او يزيدوا في المدة بحسب

استعداد التائبين .

اما القوانين التاسع والثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر والسابع عشر والثامن عشر : فهي بخصوص واجبات الاكليروس . فالتاسع يأذن بزواج الشمامسة بعد رسامتهم إذا سبقوا فاستأذنوا الاسقف في اثناء الرسامة ، ولكنه يمنعهم عن الخدمة إذا تزوجوا وكانوا قد رضوا بالتبتل في اثناء الرسامة . والثاني عشر يمنع الحورفسقةوس من رسامة قسوس وشمامسة بدون إذن أسقف الابرشية . والثالث عشر يوجب عزل القسوس والشمامسة إذا رفضوا أكل اللحم حاسبين إياه نجاسة . والرابع عشر يقضي باعادة أملاك الكنيسة إذا بيعت بدون علم الاساقفة والقسوس ، على ان ينظر الاسقف في أمر إعادة ثمنها الى اصحابه . والسابع عشر يقضي بعزل الاساقفة الذين رسموا ولم تقبلهم أبرشيتهم ، وأخذوا من ثم يلقون راسمهم طالبين أبرشيات اخرى . ولكنه يأمر ان يحفظ لهم شرف الاسقفية إذا أرادوا ان يخدموا كقسوس حيث كانوا قبلاً ، بشرط ان لا يلقوا راحة اساقفة تلك الابرشيات ، وإلا تُزع عنهم شرف القسوسية ايضاً وحُرموا . والثامن عشر يقضي على الذين نذروا البتولية رجلاً كانوا ام نساء ثم عادوا الى العالم : ان يمارسوا قانون ذوي الزيجة الثانية . كما انه يمنع سكن العذارى كراهبات مع اي شخص كان .

اما القوانين الباقية فهي عقابات صارمة لمرتكبي الفجور والقتل ، وخاصة محاولة النساء الفاجرات إفساد أجنسهن . ولمتمني السحر والشعوذة وغير ذلك من العوائد الوثنية .

الفصل الرابع

مار فيطاليوس الانطاكي يعقد مجعاً في قيصريّة الجديدة سنة ٣١٤

كانت قيصريّة الجديدة من ولاية البنطس ، فعقد فيها مار فيطاليوس الانطاكي سنة ٣١٤ مجعاً برئاسته ، شهده اثنان وعشرون اسقفاً ، وضعوا خمسة عشر قانوناً في آداب الكنيسة وسياستها والزواج وغير ذلك وإليك خلاصتها :

إن القوانين الاول والسابع حتى الخامس عشر منها : هي بخصوص صفات الاكليروس وواجباتهم ، فالأول يقضي بعزل القسيس الذي يتزوج بعد رسامته ، والسابع يمنع القسيس من الصلاة والاكل في وليمة المتقدم الى الزواج الثاني ، ليتسنى له فرض العقاب عليه ، وإلا اعتُبر بمالئاً لذلك الزواج . والثامن يمنع من أمسكت زوجته في الفجور من الانخراط في سلك الاكليروس ، كما انه يقضي عليه ان يطلقها إذا ات ذلك بعد رسامته وإلا عُزل . والتاسع يمنع من خدمة القداس القسيس الذي اخطأ ثم اعترف ثم رُسم ، تاركاً له ممارسة الخدم الأخرى . والعاشر يُعطي الشماس الساقط في الجرم نفسه وظيفة الافدياقون فقط . والحادي عشر يمنع رسامة قسيس قبل تمام الثلاثين من عمره وإن كان اهلاً لذلك . والثاني عشر يمنع الموعوظ المعتمد بسبب خطر المرض : من الانخراط في سلك الكهنوت إن شُفي ، إلا إذا أظهر بعدئذ إيماناً صادقاً ، او لمحل المكان ممن يتقدم الى هذه الرتبة . والثالث عشر يمنع قسوس القرى من

إقامة القديس في كنائس المدن في حال وجود اسقف المدينة او قسوسها .
والرابع عشر يأمر الخورفسقفوس الاعتناء بالفقراء . والخامس عشر يقضي
ان يكون في كل بيعة سبعة شمامسة فقط مهما كبرت المدينة .

أما القانونان الثاني والثالث فهما بخصوص الزواج . يمنع اولهما تزوج
امرأة بأخي زوجها المتوفى ، وتزوج رجل بأخت زوجته المتوفاة ، وإلا
أبعد كلاهما عن شركة الكنيسة حتى الموت . ويأمر الثاني ان يراعى القانون
القديم في العلمانيين المتعددي الزيجات .

ويتكلم القانونان الرابع والخامس عن كيفية القانون الذي يجب ان
يفرض على مرتكبي الفجور .
ويؤكد القانون السادس بان الموعظة التي تعتمد وهي حبللى ، لا
يشارك جنينها بعمادها .

الفصل الخامس

فيطاليوس وفيلاوجونيوس بطريرك انطاكية

فيطاليوس

رسم فيطاليوس بطريركاً لانطاكية حوالي سنة ٣١٣ بعد ان هدأت
زوبعة الاضطهاد العاشر ، فأخذ يلمّ شعث المؤمنين الذين شردهم ذلك
الاضطهاد العنيف ، واستأنف بناء بيعة انطاكية القديمة التي ردمها الوثنيون
إبان الاضطهاد وكان يتقد غيرة على ايمان الكنيسة وقوانينها . وفي سنة

٣١٤ عقد برئاسته بجمعين في مدينتي انقره وقيصرية الجديدة كما مرّ بك ،
واعاد الى حظيرة المسيح كثيرين ممن كبوا أوان الاضطهاد . وبعد ان
خدم الكنيسة نحو ست سنوات لبس دعوة ربه حوالي سنة ٣١٩ .
فيلوجونيوس :

اما القديس فيلوجونيوس فقد خلف فيطاليوس سنة ٣١٩ . وقد
اخبرنا القديس الذهبي الفم في خطبة لفظها يوم عيدہ الواقع في ٢٠ كانون
الأول انه كان قد تزوج قبل رسامته ورزق ابنة ثم ترمّل ، وكان
محامياً ذا سمعة طيبة . وبعد ترمّله اعتلى الكرسي البطرسي ، فأتم بناء
البيعة التي استأنف بناءها سلفه كما سبق . وصار له الحظ الأوفى فان
يخصي بين المعترفين في اضطهاد ليقيانس اوغسطس الشرق . ولما احتدم
أوار الجدال بين اريوس المبتدع ومار الكسندروس الاسكندري : تدخل
القديس فيلوجونيوس وشجع الأخير برسائله حتى اعتبره اريوس من الدّ
اعدائه . وظل مجاهداً في سبيل الكنيسة نحواً من اربع سنوات ثم
توفاه الله في ٢٠ كانون الاول عام ٣٢٣ ورتبت له الكنيسة عيداً .

الفصل السادس

الملكة هيلانة السريانية تستحث ابنها على عقد مجمع مسكوني



للملكة هيلانة السريانية مساعٍ مشكورة في سبيل تأييد الايمان
الارثوذكسي ، ومن أعظمها تحريضها ابنها على عقد مجمع مسكوني للقضاء
على بدعة اريوس الوخيمة التي اقلقّت الكنيسة في الربع الاول من

القرن الرابع .

ولد اريوس وثنياً في ليبية ثم آمن على يدي القس لوقيانس الانطاكي وتوغل في معارج العلوم في مدرستي انطاكية والاسكندرية الشهيرتين ، فجعل احد القسوس السبعة لكاتدرائية الاسكندرية واستاذاً في مدرستها . وكان تياهاً 'معجباً بنفسه' ، فشطّ في رأيه وابتدع بدعة نكراء منكرأ ألوهة المسيح قائلاً « إن كان الآب قد ولد الابن فكان ثمة متى لم يكن الابن ، فليس إذن مساوياً للآب في الازلية والجوهر وفي كل شيء ، بل مخلوق ، خلقه الآب في اول خلائقه » . فحرّمه مار بطرس الاسكندري ، ولما خلفه مار اكيلا حلّته وأعادته الى منصبه في مدرسة الاسكندرية . وكان يطمح الى الرتب الكنسية ولا سيما الرئاسة العليا . ولما خاب سعيه بعد وفاة اكيلا ، إذ فضّل عليه القس ألكسندروس : عاد الى قيئه واخذ يناصبه العدا . فحاول مار ألكسندروس هدايته ، ولما لم يفلح تهدده بالقطع في جمع مكاني ثم حطّه من رتبته ، فانحاز الى رأيه أسقفان اسكندريان ورهط من الاكليروس والمؤمنين . فاضطرّ مار ألكسندروس الى تسفيه بدعته في جمع آخر عقده حوالي سنة ٣٢٠ ضم نحو مئة اسقف من مصر وليبية . ثم كتب الى اشهر اساقفة العالم المسيحي والى قسطنطين ، يوقفهم على دخيلة اريوس . فانبرى اريوس ايضاً وكتب الى اوسابيوس النيقوميدي واوسابيوس القيصري وغيرهما ثم توجه الى فلسطين ونيقوميديّة عاصمة قسطنطين يومئذ ، لنفث سمومه . فاستمال اليه كثيرين من الاساقفة والمؤمنين ولا سيما اوسابيوس النيقوميدي الذي عقد جمعاً من الاساقفة المجاورين ، برأوا ساحة اريوس ، وطلبوا الى اساقفة الشرق إقناع ألكسندروس بجلّته . ثم عاد اريوس الى الاسكندرية ، يلبث بدعته في السوق بواسطة اغاني يعرف مجموعها باسم « تاليا » . فحرّمها مار ألكسندروس . فقامت من ثم المشاجرات على قدم وساق في كل صقع

ومكان ، الامر الذي اضطر قسطنطين ان يوفد الى الاسكندرية اوسبيوس
الاسباني اسقف قرطبة ليصلح ذات البين . فعقد هذا حال وصوله مجمعاً
لبحث الامر ، فوجده جوهرياً وليس كما صورّه لقسطنطين اوسابيوس
النيقوميدي . فعاد وأشار الى قسطنطين ان يعقد مجمعاً مسكونياً ليظهر
الحق ويذهب الباطل ، وتُستأصل ايضاً شأفة الخُلف الضارب اطنابه في
الكنيسة منذ امد بعيد لاجل قضيتي عيد الفصح ومعمودية الهراطقة .

اما هيلانة فلما بلغها امر الخُلف في الكنيسة ساءها جداً فكتبت الى
ابنها تستحبه على عقد مجمع مسكوني تتفق فيه كلمة الاساقفة على
الاستمساك من الايمان القويم بالعروة الوثقى ، فينتصر بذلك على اعداء
الايمان المستقيم كما انتصر على اعدائه في المملكة شرقاً وغرباً .

الفصل السابع

البطريك بولينس الانطاكي

في الفترة القصيرة التي تخللت انتقال القديس فيلوجونيوس وقيام القديس
اوسطاثاوس اي سنة ٣٢٣ - ٣٢٤ : شغل الكرسي الرسولي الانطاكي بولينس كما
ورد اسمه في خرونيقون العلامة ايرونيمس . غير انه لم يرد في سلسلة
البطارقة التي اوردها مار ميخائيل الكبير والعلامة ابن العبري .

كان بولينس قبل اعتقاله السدة الانطاكية اسقفاً لبرشية صور . وقد
اظهر جرأة وغيرة في تجديد كنيستها التي دمرتها عاصفة الاضطهاد العاشر
منفقاً عليها بسخاء حتى البسها حلة قشبية من المجد والبهاء ، فاحتفل

بتدشينها في سنة ٣٢٣ بحضور جمهور من الاساقفة ، فالقى اوسابيوس القيصري الشهير خطاباً بليغاً ، فيه نوّه ببنائها العجيب ، متطرقاً الى ذكر التغيير الذي اصاب العالم ، بالسلام الذي منّ الله به على بيعته التي انتصرت على اعدائها بأيد منه . وفي تقريظه لبولينس منشئها ، يسميه هارون الجديد وملكيصادق ، ويشبّهه ببصلائيل الذي ملأه الله حكمة فصنع خيمة الاجتماع ، وبسليمان الذي بنى الهيكل في اورشليم ، وبزرو بابل الذي جدده بعد سبي بابل ^١ .

والأظهر ان بولينس كان انطاكياً . يقول اوسابيوس ان الانطاكيين يعتبرونه منهم . غير انه يختلف كثيراً عن القديسين فيلوجونيوس واوسطاثاوس ، ذلك انه مالاً اريوس ، الذي اعتبره في رسالته من جملة اصدقائه . وتوفي سنة ٣٢٤ وخلفه مار اوسطاثاوس .

الفصل الثامن

قسطنطين يعقد مجمع نيقية المسكوني الاول سنة ٣٢٥



لما رأى قسطنطين ما يحيق بالبيعة من شر مستطير ، نزل عند رغبة والدته ورأي الآباء الاساقفة ، وعمد الى عقد مجمع مسكوني في مدينة نيقية ببيتينية القريبة من مقره . وفي اوائل نيسان سنة ٣٢٤ كتب إلى جميع الاساقفة الارثوذكسيين وغيرهم لحضور المجمع العتيق ان يُعقد في سنة ٣٢٥ ، وأمدّهم بكل وسائل السفر . فوافى إلى المجمع عدد وافر

(١) اوسابيوس ١٠ : ٣ و ٤

من الاساقفة : من سوريا وفينيقية وفلسطين وما بين النهرين والعربية
 وآسيا الصغرى وارمينية الصغرى والكبرى ومصر وليبية وبلاد اليونان وجزرها
 وبثونية وإيطاليا وفرنسا واسبانيا وصقلية والقوط . وقد اختلف القدماء
 في عددهم . فذكر اوسابيوس انهم لم يقلوا عن مئتين وخمسين . وروى
 غيره انهم كانوا نيفاً وثلاثئة ، مع ان التاريخ لا يعرف منهم سوى
 مئتين وسبعة وثلاثين . اما العدد المتفق عليه بالاجماع فهو ٣١٨ . بينهم
 عشرة من اوربا ، منهم اوسبيوس اسقف قرطبة الآنف الذكر ، وويطن
 وويكندوس قسيسا كنيسة رومية اللذان نابا عن سلبستوس الروماني^١ الذي
 لم يحضر لشيخوته . واربعة وعشرون من افريقيا يتقدمهم مار الكسندروس
 الاسكندري . والباقيون من آسيا . لذلك نقول بكل فخر ان الجمع
 كان شرقيا . وكان اكثرهم من أجلاء الآباء الذين فاح عبير قداستهم
 بين الملأ ، وقد نقشت على اجسامهم سمات الكلوم التي اصابتهم في سبيل
 الدين المبين ، ولا سيما في اضطهاد ليقيانس الاخير ، كفقدان العينين
 وتمشيم الاسنان وكسر الساقين واحراق اعصابهما وغير ذلك من
 صنوف التنكيل . فلم يكن فيهم من لا تشويه في جسمه سوى
 احد عشر . وقد عانى بعضهم مشقات كثيرة في الطريق .
 فلما رأهم قسطنطين هش لهم وقبل جروحهم . ذكر ابن العبري ان
 الوفاء من القسوس والشمامسة والرهبان رافقوا هؤلاء الاساقفة ، كالملفان مار افرام
 السرياني الذي رافق معلمه مار يعقوب النصيبيني ، والعلامة مار اثناسيوس
 الشماس الاسكندري الذي رافق بطريركه مار الكسندروس . وكان
 الملك ينفق عليهم بسخاء .

(١) اوسابيوس في حياة قسطنطين ك ٣ ص ٧ . وسوزومينس في تاريخه الكنسي ك ١ ف ١٧
 وثاودوريطس في تاريخه الكنسي ك ١ ف ٧

الفصل التاسع

أشهر الآباء الذين حضروا مجمع نيقية من أبرشية انطاكية



إن أشهر الآباء الذين حضروا المجمع النيقاوي من أبرشية انطاكية هم القديس اوسطاثاوس الانطاكي ومقاريوس الاورشليمي وتوما اسقف مرعش ويعقوب اسقف نصيبين واسبيريدون اسقف قبرس وبولس اسقف قيصرية الجديدة واوسابيوس القيصري .

مقاريوس

هو اسقف ايلياء كما كانت تدعى اورشليم يومئذ ، وكانت له منزلة خاصة في المجمع لاشغاله كرسي مار يعقوب اخي الرب ، قبلة انظار المسيحية في كل الاجيال . وبعد ارفض المجمع ساعد الملكة هيلانة في البحث عن خشبة الصليب المقدس . ولما اكتشفت ثلاثة صلبان : اشار على الملكة ان تضعها واحداً فواحداً على ميت كان يشيع جثائه الى مقره الاخير ، ليُعرف صليب المخلص ، ففعلت ، فما ان مسّه صليب الحياة حتى استأنف الحياة . ثم كتب اليه قسطنطين ان ينشئ على قبر المخلص كنيسة منقطعة النظير ، على ان يده هو بجميع النفقات ، ففعل .

توما اسقف مرعش

كان سريانياً ، سُجن إبان الاضطهاد نحواً من عشرين سنة في سبيل

الدين القويم ، فشُوهِت اعضاء جسمه كلها ، ذلك ان الأعداء كانوا يبترون منه كل سنة عضواً او يشوهونه تشويهاً . فقطعوا اذنيه ومنخريه وشفتيه ، وكتلتا ذراعيه ورجليه ، وهشموا اسنانه واضراسه . فلم تؤثر فيه الآلام الفادحة ، بل صبر على مضضها حتى النهاية ، فحمله الآباء في كيس الى المجمع حيث قبِل الملك كلاً من كلومه . وقد احصته الكنيسة في زمرة المعترفين .

يعقوب اسقف نصيبين

ولد في مدينة نصيبين من اسرة سريانية ، وتحلى بالفضائل منذ نعومة اظفاره ثم رغب عن الدنيا وارتاض باعمال النساك ، فذاع صيت فضائله في كل الاقطار ولا سيما كثرة عجائبه . وكان يقتات بجذور النباتات واوراقها ، ويلبس رداءً خشناً من جلد المعزى . ولما انتشرت لفحات فضله رُسم اسقفاً لنصيبين فلم يغير وشاحه أو شيئاً من خشونة عيشه . تبحر في علم الكتاب العزيز وأنشأ مدرسة في نصيبين للعلوم الدينية والآداب السريانية . وهدى كثيرين من الوثنيين الى حظيرة الكنيسة ، واعتنى بأهل الفاقة والبؤس . وفي سنة ٣٣٦ حضر تكريس بيعة القيامة في اورشليم . وفي سنة ٣٣٨ لما حاصر سابور الثاني ملك الفرس نصيبين للمرة الاولى : انقلب بعسكره خائزاً بدعاء هذا القديس وتلميذه مار افرام . وفيها توفي فرتبت له الكنيسة عيداً في ١٨ ايار .

اسبريدون

عرف بالراعي لانها كانت مهنته قبل اسقفيته . رُسم اسقفاً على ترميتو في قبرس ، وذهبت له في الحلم والدعة شهرة طائلة . دُعي بصاحب العجائب لكثرة ما اتاه الله منها على يديه . منها : ان لصوصاً انقضوا

على غنمه في غيابه ، فربطهم بصلاته ، ولما عاد اليها حلهم وأهدى اليهم خروفاً واطلق سراحهم . فبككتهم ضميرهم وقرعت الندامة صدرهم فتأبوا عن شرهم . ومنها : كانت له اخت راهبة تقيّة تدعى اناريا ، فآتمنها أجير على وديعة له ، ثم نقلها الله اليه دون ان تحبّر احداً بموضع الوديعة . فلما طلبها الأجير من القديس اسبيريدون : اخذه الى ضريحها وسألها عنها فأخبرته بها^١ .

ولم يزل جثمانه الطاهر في كورفو بالجزائر الايونية موضع التجلّة والاحترام .

بولس اسقف قيصرية الجديدة

اشتهر بجهاده في سبيل الايمان في اضطهاد ليقيانس سنة ٣١٤ . فقد عُدّب بالآلات الحديدية حتى يبست اعصاب يديه . فاحتفى به المجمع المقدس وأحصى في زمرة المعترفين .

اوسابيوس القيصري

ولد حوالي سنة ٢٦٥ وتخرج بصنوف العلوم اولاً في مدرسة قيصرية فلسطين على القس بمفيلس البيروتي الشهير فتسمى باسمه « بمفيلس » نظراً لمحبته الوافرة له ثم في مدرسة انطاكية على القس دوروثاوس الانطاكي ، فرسمه قسيساً اغابيوس مطران قيصرية ، وبعد سنة ٣١٣ خلفه في مطرانية قيصرية . وكان خطيباً مصقعاً ومفسراً ماهراً وكاتباً بارعاً ومؤرخاً شهيراً عُرف بابي التاريخ الكنسي ، فذاع صيته وُعدّ وحيد عصره . وحظي عند قسطنطين بمنزلة مرموقة ، فصار امين سره وكاهنه الخاص واما اعترافه وترجمانه . ولكنه يُعاب كثيراً اذ شارك بعد المجمع النيقاوي الاربوسيين في مجامعهم التي نقضت دستور الايمان النيقاوي وظلمت القديسين

(١) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٣٢-١٣٣ .

اوسطاثاوس الانطاكي واثناسيوس الاسكندري وغيرهما ، لذلك اعتبره بعضهم اريوسياً او من انصاف الاربوسية . ولكن لا اثر للبدعة الاربوسية في مؤلفاته ، التي ضمنها اعترافاً صريحاً بلاهوت السيد المسيح . وتوفي سنة ٣٤٠ .

وقد وضع عدة مصنفات نفيسة منها : التاريخ الكنسي ، وخرونيقون ، واخبار شهداء فلسطين ، والشهداء الذين سبقوا الاضطهاد العاشر ، وترجمة استاذة بمفيلس ، وترجمة قسطنطين ، و « الاستعداد الانجيلي » اهداه الى ثاودوطس اسقف اللاذقية في سوريا ، فيه يرد على اليهود والوثنيين ويفضل اليهود على الوثنيين سواء كان ذلك من جهة الأسبقية ام الدين ام الآداب ، مبرهنناً على ان الكنيسة اليهودية كانت تمهيداً للمسيحية . ويتطرق الى ذكر اديان الفينيقيين واليونان والمصريين والرومان وفنونهم . واخيراً يصف عظمة التعاليم المسيحية . ثم اختصر هذا المؤلف في كتاب آخر اسماه « الظهور الالهي » . ووضع ايضاً بعض التفاسير والخطب والرسائل . وقد نُقل معظم مصنفاته الى اللغة السريانية . منها الخرونيقون الذي ترجمه مار يعقوب الرهاوي ، وبعد تصحيحه نسج على منواله ، فعمل كتاب تاريخه المختصر بدءاً من السنة العشرين لقسطنطين الكبير حتى سنة ٦٩٢ . والتاريخ الكنسي الذي وصل اليها نسخة منه فُرج من تعليقها في نيسان سنة ٤٦٢ وهي في خزانة بطرسبرج - لينينغراد . مع ان المتن اليوناني الحالي كُتبت اقدم نسخة منه في القرن التاسع . وكتاب الظهور الالهي وصل في مخطوطة كُتبت سنة ٤١١ للميلاد ، وكذلك كتاب شهداء فلسطين وهي في متحف لندن .

الفصل العاشر

اعمال مجمع نيقية



في اليوم السادس عشر من حزيران سنة ٣٢٥ اجتمع ممثلو العالم المسيحي في بهو واسع مستطيل ، ثم دخل قسطنطين وتوسط مجلسهم متربعاً على عرش ذهبي^١ . فهب الالباء الى رفع صلاة الشكر لله وطلب العون منه . وترأس المجمع مار اوسطاثاوس الانطاكي الذي جلس عن يمين قسطنطين كما شهد المؤرخ ثاودوريوس . وبعد ان خيم الصمت عليهم انتصب واقتتح المجمع بخطاب رائع مرحباً بقسطنطين ، ومكبراً فيه جهاده العظيم لرفع شأن المسيحية . ثم تلاه العلامة اوسابيوس القيصري بخطاب آخر ، ختمه بصلاة الشكر لله على النصر المبين الذي منحه قسطنطين على ليقيانس . ثم نهض قسطنطين ورمق الجميع بعين البشاشة ولفظ بصوته العذب خطاباً بمتعاً باللاتينية ، نقله اوسابيوس القيصري الى اليونانية ، فيه حث الجميع على السلام والوئام ، مخولاً اياهم السلطة الشرعية للبت في القضايا المختلف عليها وذلك بتسليمه اليهم خاتمه وصولجانه وسيفه قائلاً : إنه اعطاهم سلطاناً على الكنيسة والمملكة كلها ، ليفعلوا ما يرونه ملائماً لنصرة الدين وبنيان المؤمنين . ثم تأمل الشكاوى الخاصة التي رفعها اليه بعضهم ، فرماها في الموقد امام الجميع ، وحثهم على نبذ الحزازات مستشهداً بقول السيد المسيح « من رغب في الغفران لنفسه فليغفر أولاً لأخيه » . ثم اردف يحذرهم من فسح المجال امام الناس لمعرفة هينات ذوي الكهنوت قائلاً : « إن في

ذلك عاراً بل عثرة الآخرين . ثم نشر طيات ردائه واستطرد قائلاً :
 « اني لو عاينت بأم عيني اسقفاً يرتكب اثماً فظيعاً : لستوته بثوبي
 الارجواني لئلا يتألم احد من رؤية ذلك »^١ . وهكذا تخلص الالباء من
 مشكلات عديدة . ثم اذن لهم قسطنطين بافتتاح اعمال المجلس رسمياً .
 فتلافى المجمع اولاً الامور البسيطة التي اقلقت الكنيسة في ما مضى ،
 كقضية اوريجانس الذي جب نفسه ، واريوس الذي رسم قساً وهو
 حديث الايمان ، وملاطيوس الذي قاوم سلطة بطريركه الاسكندري ،
 والانقياء « اتباع نوباطيان » الذين اوصدوا باب التوبة امام الخطاة
 التائبين ، والبولسين « اتباع بولس السيساطي المبتدع » ، ونظام
 الاكليروس وواجباتهم وامتيازات الكراسي الاسقفية الكبرى ، والاكليروس
 المرابين وغير ذلك ، وسن لها عشرين قانوناً . ثم بحث قضايا الفصح
 ومعمودية الهراطقة وزواج القسوس واخيراً بدعة اريوس .

فقرّر من جهة عيد الفصح : ان يحتفل به يوم الأحد الذي يلي
 اليوم الرابع عشر من شهر نيسان القمري لئلا يعيد المؤمنون قبل اليهود
 او معهم فيشتركوا بنجاساتهم . وأمر ان يعلنه سنوياً اسقف الاسكندرية
 لجميع المسيحيين ، بناءً على حساب خاص يعمل له . وقد اخبرنا القديس
 اثناسيوس الاسكندري في الفصل الرابع من كتابه « المجمع » ان آباء
 المجمع لما اصدروا حكمهم هذا قالوا « هذا ما رأيناه حسناً » .

وقرّر بخصوص معمودية الهراطقة قائلاً : إن المعمودية واحدة وهي
 التي تتم فيها كل الشروط القانونية ولا سيما الايمان الصحيح بالثالوث
 الأقدس . لذلك رفض بقانونه التاسع عشر قبول البولسين وامثالهم في
 شركة الكنيسة إلا بعد إعادة عمادهم ، إكليريكيين كانوا ام علمانيين .
 والاكليريكيون منهم يرسمهم اسقف الكنيسة بعدئذ بوظيفتهم إذا كانوا

(١) تاريخ مختصر الدول لابن العبري ص ١٣٧ وتاريخه الكنسي مج ١ في ترجمة اوسطاثاوس .

اهلاً لها . وقد قبل المجمع هراطقة آخرين بدون إعادة عمادهم ، وهم الذين كانوا قد اعتمدوا قبلاً في البيعة الارثوذكسية ثم ارتدوا عنها .
وقرر وجوب زواج الكليريكيين ، مانعاً إياهم من الاقتران بزيجة ثانية كما سلّم الرسل القديسون . وكان القديس بفنوتيوس اسقف طيبا (الصعيد) الناسك المتقشف والمعترف ، من اكبر المحامين عن هذه القضية^١ .

الفصل الحادي عشر

قوانين مجمع نيقية

لقد سنّ المجمع المقدس عشرين قانوناً ، حاسماً بها قضايا كثيرة كانت تقلق الكنيسة ، من جهة النظام البيعي ، وآداب المؤمنين وامتيازات الكراسي الرسولية الكبرى ، ورسامة الاساقفة اللائذين بها ، وعقد المجامع الاقليمية ، والعماد ، وصفات الكيروس وواجباتهم ، وكيفية قبول الجاحدين اَبان الاضطهاد ، الخ . وقد نظمت باللغة اليونانية ، فنقلها الى اللغة السريانية بعض اعضاء المجمع ثم نقلها ايضاً القديس ماروثا الميافارقيني نحو سنة ٤١٠ ، اجابة الى طلب مار اسحق جاثليق سليق ، وسنة ٦٨٧ نقلها العلامة مار يعقوب الرهاوي ايضاً ، واليك خلاصتها :

تستعرض القوانين الاول والثاني والتاسع والعاشر بعض الامور التي لا تتفق ووظيفة الكهنوت . فالاول يقضي بقطع الكليريكي الذي جب نفسه ، ولا يُنتدب الى الكهنوت ان كان علمانياً ، ما لم يكن قد جبه

(١) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٢٧ .

الاطباء لمرض او قطعه المضطهدون . وقد اشار المجمع بهذا القانون الى عمل اوريجانس . والثاني يمنع تقديم حديثي الايمان الى الاكليروس ، اشارة الى اريوس الذي رسم وهو حديث الايمان . والتاسع يقضي برفض الكهنة الذين رُسموا بغير فحص ، او خلافاً للقانون الذي يأمر ان يكون الكاهن بلا عيب . والعاشر يقضي بشأن الذين جحدوا الايمان اَبَّان الاضطهاد ، ورُسموا بعدئذ دون ان يعرف بهم واسمهم : ان يُقطعوا اذا اشهر امرهم .

وتتكلم القوانين الثالث والثالث عشر والخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر والثامن عشر ، عن تصرف الاكليروس . فالثالث يقضي ألا يساكن الاسقف او القسيس او الشماس امرأة اجنبية . والثالث عشر يقضي على الاسقف بمنالة الذين يطلبون القربان وهم في حالة الاحتضار ، بفحص واختبار . والخامس عشر يمنع الاكليروس من مغادرة كنائسهم وانتقالهم الى كنيسة اخرى دفعاً للخصام . والسادس عشر يقضي برفض الاكليريكيين الذين ينزحون عن كنيستهم الى كنيسة اخرى ، كما يحكم ببطلان الرسامة التي يقلدها اسقف شخصاً من كنيسة اخرى دون موافقة اسقفها . والسابع عشر يمنع الاكليروس المرابي من قرض مال لقاء فوائد . ويقضي بقطع من يقدم على ذلك . والثامن عشر يمنع الشمامسة من منالة القسوس القربان ، او تناوله قبل الاساقفة ، آمراً ان يتناولوا بعد القسوس ، من يد الاسقف او القسيس ، كما انه منعه من الجلوس بين القسوس ، ووضع تحت طائلة العزل من لا يمثل الامر .

وتتكلم القوانين الرابع والخامس والسادس والسابع عن امتيازات المتروبوليت والعوام . فالرابع يقضي بوجوب رسامة الاسقف من جميع اساقفة الابرشية إن امكن ، وإلا وجب ان يجتمع ثلاثة معاً بعد اشتراك الغائبين في الانتخاب وموافقتهم عليه كتابة . اما المصادقة فمنوطة بالمتروبوليت في كل أبرشية . والخامس يقضي ان الاكليريكي او العالمي

الذي يمنعه من الشركة اسقف ابرشيته لا يجب ان يقبله اسقف آخر .
ويأمر بالتسام المجمع في كل ابرشية مرتين في السنة ، قبل الصوم الاربعيني
وفي فصل الحريف ، يحضره اساقفة الأبرشية عموماً لبحث المشكلات التي
تعارض سير الأبرشية ، ولا سيما امور الذين قطعهم اساقفتهم ، إذا كانوا
حقيقة مجرمين ام لا ، لكي إذا ثبت ذلك يرفضهم المجمع . والسادس
يقضي ان تراعى العادات القديمة التي توجب السلطة لأساقفة الاسكندرية
ورومة وانطاكية على الكنائس الأخرى ، كل في أبرشيته ، ويصرح بان
من صار أسقفًا بدون رأي المتروبوليت لا يكون اسقفًا . لذلك أبطل
المجمع الرسامات التي قام بها ملاتيوس اسقف اسبوط في ابرشيات غائبة
اساقفتها ، مقاوماً سلطة بطريركه الاسكندري مار بطرس الشهيد الذي
حرمه ، ومقدماً على رسامة اساقفة دخلاء بدون تفويض منه . وأمر ان
يمنح اسم الاسقفية فقط دون ان تكون له اية سلطة ليُرسَم احداً او ان
يتنقل من مكان الى آخر . واخبر كنيسة الاسكندرية بذلك . اما
السابع ولئن صرح بان يحلّ اسقف اورشليم محل الشرف والاعتبار :
ولكنه اخضعه لسلطة متروبوليت قيصرية فلسطين .

والقانون الثامن هو بخصوص النوباطيين « الانقياء » ، ويقضي على من
يقبل منهم الى الكنيسة وكان اكليريكياً ان يعترف كتابته بمعتقدات
الكنيسة ، ويشارك ذوي الزيجة الثانية والساقطين في الاضطهاد ، وغير
ذلك ، ويقسم في الاكليروس بهد ان يُرسَم قانونياً . واذا كان اسقفًا
انضم الى الكنيسة مع قوم ، وكان في تلك الابرشية اسقف ارثوذكسي :
فاسقف الارثوذكس تكون له رتبة الاسقفية ، واسقف اولئك
تكون له كرامة القسوسية ، ما لم يرد الاسقف الارثوذكسي ان يشركه
بكرامة الاسم الاسقفي . والا فليكن له مقام خورفسقفوس او
قس ، لئلا يصبح اسقفان في مدينة واحدة .

ويتكلم القانونان الحادي عشر والرابع عشر عن كيفية قبول الذين جحدوا الايمان ، والقانون الثاني عشر عن كيفية قبول الذين زهدوا في العالم ثم عادوا اليه ثانية ، والقانون التاسع عشر عن البولسيين كما سبق .
اما القانون العشرون فيقضي ان تؤدى الصلوات وقوفاً ايام الاحاد وايام الخمسين .

الفصل الثاني عشر

دستور النيقاوي



بعد ان تلافى الجمع كل المساوىء وسنّ الانظمة والقوانين البيعية :
بحث بدعة اريوس الذي حضر بصحبة اوسابيوس النيقوميدي وثاوجانيس النيقاوي وماري الخلقيدوني وعشرة فلاسفة آخرين ، وابرز كتاب ايمانه .
فلما تلي سدّ اباء الجمع آذانهم لدى سماعهم كلمات التجديف ، ثم مزقوه ارباً ارباً . فثار حزب اريوس حتى اضطر الملك ان يستعمل القوة لتهدئتهم
ثم فند الجمع كفر اريوس بالبوايين الكتابية القاطعة ونصوص الآباء الاولين . واليك البوايين الكتابية التي استشهد بها اريوس لدعم رأيه :
١ - « الرب خلقتني اول خلائقه » (امثال ٨ : ٢٢) ٢ - « ابي اعظم مني » (يوحنا ١٤ : ٢٨) ٣ - « دُفع اليّ كل سلطان في السماء وعلى الأرض » (متي ٢٨ : ١٨) ٤ - « وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفها احد ولا ملائكة السماء بل الآب وحده » (مر ١٣ : ٣٢)

٥ - « لا اطلب مشيئتي بل مشيئة من ارسلني » (يو ٥ : ٣٠) ٦ -
 « كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان » (يو ١ : ٣) .
 فاستنتج منها ان الابن مخلوق ، واصغر من الآب ، وسلطانه منبثق
 منه ، وليس إلهاً وإلا لعرف وقت الدينونة ، وهو عبد للآب ، بل آلة
 بيده لعمل الخلائق ، وبالتالي ليس مساوياً له في الجوهر . فانبرى الشماس
 مار اثناسيوس وفنّدها واحدة فواحدة مؤيداً ألوهة الابن ومساواته للآب
 في الجوهر . وكان هذا قويم الرأي فصيح اللسان ، وقد حضر
 جلسات المجمع بالنيابة عن رئيسه الشيخ الجليل مار الكسندروس بابا
 الاسكندرية . قيل ، لما حي وطيس الجدال بين المجمع والفلاسفة تقدم
 القديس اسبيريدون الشيخ الورع وقال لهم : « ان المسيح ورسله لم
 يسلّمونا صناعة المنطق بل إيماناً بسيطاً يُدعم بالاعمال الحسنة » فأفحمهم
 وسكتوا .

وبعد ان فنّد المجمع بدعة اريوس اعلن ان ربنا يسوع المسيح هو
 « إله حق وابن الله الأزلي حقاً ، وهو مساوٍ لأبيه ، وصورته ، وكائن
 فيه دائماً » . فسَلّم الاربوسيون بهذه العبارات ، لانهم وجدوا طريقة
 لتحريف معانيهم دون ان يقلعوا عن غيِّهم . فعَبّر المجمع حينئذ باقتراح
 مار اثناسيوس عن وحدة الطبيعة الالهية بعبارة « المساوي في
 الجوهر » (Homoousios) . وكان في المجمع حزب انصاف
 الاربوسيين ومنهم اوسابيوس القيصري ، فاقترح عبارة اخرى وهي
 (Homoiousios) اي « كالآب في الجوهر » . ومع انها لا تختلف عن
 تلك إلا بحرف واحد في المبنى ، إلا ان بينها بوناً شاسعاً في المعنى ،
 فحاربها مار اثناسيوس بكل قواه حتى صاغ المجمع العبارة الاولى في
 قانون الايمان . فنّبذها الاربوسيون . ثم رتّب المجمع الجزء الاول من
 قانون الايمان الشهير المتضمن سبع قضايا ، استخرجها من الكتاب المقدس
 اولها « نؤمن بإله واحد » وآخرها « ونؤمن بالروح القدس » . فوضع

بتلك الفقرات الوجيزة اسباسباً راسخاً للايمان القويم بالتثليث والتوحيد والتجسد ، مفنداً آراء الوثنيين واليهود والمبتدعين السابقين واللاحقين . واعقبه بالحرم التالي « من قال إنه كان ثمة متى لم يكن الابن قبل ميلاده ، وخلق من العدم ، ويختلف عن الآب في الجوهر وهو خاضع للتغيرات : هذا تحرمه الكنيسة الجامعة » . فوقّعه جميع الاساقفة ما عدا الاربوسيين وهم نفر قليل ، وحرّموا اربوس واتباعه ، ورسموا اساقفة آخرين لابرشياتهم . وقد اخبرنا مار اثناسيوس في الفصل الرابع من كتابه « المجامع » ان الآباء لما قرروا عن الايمان قالوا : « هذا ما تؤمن به الكنيسة الجامعة » مبينين بان إيمانهم ليس جديداً بل هو الذي سلمته الرسل للكنائس .

أما الاساقفة الذين تحزبوا لاربوس فهم اوسابيوس النيقوميدي وثاو جانيس النيقاوي وماري الحلقيدوني وسقندوس اسقف طوكيلياس (مصر) وثاوناس اسقف مارمايقا (مصر) . فأيد قسطنطين حكم الجمع ونفى اربوس الى ايريقون ، واتباعه الى بلاد اخرى . فندم الثلاثة الاولون وظهروا توبة امام الجمع ، فأعادهم الى ابرشياتهم ومنح ابرشيات اخرى للاساقفة الذين رسموا محلهم . ثم ختم اعماله . فأصدر قسطنطين مرسوماً الى العالم المسيحي فيه يشرح له كيفية التمام الجمع وتلافيه المساوي والقضايا المختلف فيها ، وتقديره الايمان القويم ، وتوحيده النظام الكنسي . لذلك قدّست الكنيسة قانون الايمان النيقاوي وصاغته في مراسيم صلواتها وقداديسها شرقاً وغرباً . واصبح الجمع النيقاوي الحجة القاطعة في المجامع التي تلتها كما نرى في مقدمة قوانين الجمع القسطنطيني وفي القانون الثاني من قوانين الجمع الافسسي .

الفصل الثالث عشر

الملكة هيلانة تكتشف الصليب المقدس



لقد مرّ بك ان تيطس بن وسبسيانوس دمر اورشليم سنة ٧٠ م ثم عاد اليها المؤمنون واقاموا حول العلية الصهيونية التي جددوها سنة ٧٣ ، وكانوا يختلفون الى قبر المسيح وغيره من الاماكن المقدسة كعادتهم حتى شيد القيصر هديران (١١٧ - ١٣٨) هيكلًا للمشتري (جوبيتر) على أنقاض هيكل سليمان ، وغمر الجبلجة وقبر المسيح بتل عالٍ ، بنى عليه هيكلًا للزهرة ، فازداد المؤمنون اضطراماً بمحبة القبر المقدس مستدلين على مكانه بذلك الهيكل الوثني . وقد اخبرنا اوريجانوس واوسابيوس وايرونيμος بتوافد المؤمنين على زيارته من كل صوب وحذب في القرنين الثاني والثالث ، الأمر الذي يبرهن على حرصهم الزائد عليه .

ان السنة العشرين لملك قسطنطين ذكرّته بوجوب تقديم آيات الشكران للقوة السماوية التي بلغ بواسطتها ما بلغ ، فقرّر رأيه ان يقدّق سخاءه على الأراضي المقدسة في البحث عن خشبة الصليب والقبر المقدس ، وإنشاء كنيسة فاخرة عليه . وهذه كانت رغبة امه الملكة هيلانة ايضاً ، التي كانت قد نذرت ذلك مذ كان قسطنطين لم يزل وثنيّاً ، متلهفة لزيارة الأماكن المقدسة والتبرك بآثار الفداء . وكان قسطنطين قد خلع عليها لقب اوغسطا طابعاً صورتها على النقود .

وفي سنة ٣٢٦ توجهت الى اورشليم وهي في الثمانين من عمرها ،
مجتازة بانطاكية . فهدمت هيكل الزهرة ورفعت الاتربة والنفايات من
على قبر المسيح ، فظهر القبر والجلجلة . وبجثت عن خشبة الصليب ،
وبإشارة يهوذا احد شيوخ اليهود نسفت تلاً عظيماً من التراب كان قد
اقامه الوثنيون واليهود فوقها ، فوُجدت مغارة مجاورة للقبر وفيها ثلاثة
صلبان ، ولوح الكتابة الذي كتب عليه عنوان المسيح . ثم اشار عليها
مقاريوس الاورشليمي ان تضع الصلبان واحداً فواحداً على ميت
كان محمولاً الى القبر . فلما مسّه صليب المخلص قام حياً كما شهد
اوسابيوس . اما روفينس فيقول إنه وضع على امرأة وهي في الرمق
الاخير ، فقامت صحيحة سالمة . فشمّل الفرح جميع المؤمنين الذين
تبركوا بخشبة الصليب بمجدين الله على نعمته . فتنصر من اليهود خلق كثير .

ثم تركت الملكة جزءاً من الخشبة في اورشليم وارسلت الباقي الى
قسطنطين الذي هرع لاستقباله مع الأساقفة والكهنة والشعب الغفير ،
وتبركوا به . ثم وضعه في الكنيسة مرفوعاً على عمود كبير من
الأرجوان ، واصبح موضع التجارة والاکرام مدى الأيام . ثم نقله الى
القسطنطينية حين اتخذها عاصمة له ^١ ، اما المسامير فوضع بعضها في تاجه
والبعض الآخر في جلام فرسه ^٢ .

(١) مختصر الدول لابن العبري ص ١٣٥ .

(٢) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٢٦ .

الفصل الرابع عشر

همة الملكة هيلانة وابنها في تشييد الكنائس

لقد مر بك ان الملكة هيلانة وابنها قسطنطين صرفا همة عالية في توطيد اركان الدين المبين . ومن جملة مآثرهما إنشاءهما عدة كنائس في الرها ، وحلب ، وانطاكية ، وبعلبك ، واورشليم ، وبيت عنيا ، وجبل الزيتون ، وبيت لحم ، وحبرون ، والناصره ، وقانا الجليل ، وطبرية ، وشكيم ، وبيت صيدا ، وجبل تابور ^١ .

فقد اخبرنا ابن العميد السرياني التكريتي ان الملكة بذلت اموالاً طائلة في الرها وطنها ، أنشئت بها كنائس وأديرة ، أشهرها كنيسة اجياسوفيا التي عدت إحدى عجائب الدنيا ^٢ ، وضع أسسها نونا مطران الرها ثم أكملها خلفه شيوث ^٣ وزخرفها خلفه ايثالاها . وقد دُبح داخلها بالذهب والزجاج والرخام الابيض ، ورُصع مزجها واعمدتها بالفضة الخالصة ^٤ .

وكنيسة حلب أطلق عليها بعدئذ اسم والدة الاله . وفي سنة ١١٢٤ حوّلها المسلمون الى مسجد . وفي انطاكية أنشئت كنيسة فاخرة مثمّنة الزوايا بقبة عالية مصفحة بالذهب ، عُرفت بالكنيسة المذهبّة ، ثم اطلق

(١) السريان في فلسطين بقلم سيادة مار فيليكسينوس يوحنا دولباني مطران ماردين في مجلة الحكمة القدسية السنة الثانية ص ٤٣٥ .

(٢) شرح المطرزي لمقامات الحريري طبعة مصر ص ٢٣٤ .

(٣) التاريخ الكنسي لابن العبري مج ١ .

(٤) تاريخ الرهاوي المجهول مج ١ ص ١٨٢ .

عليها اسم السيدة ١ وفي بعلبك عَمَر قسطنطين كنيسة كبيرة ومعاهد
خيرية ، وبعث اليها اكليروساً . وهدم هياكل وثنية خاصة بالخلاعة
كهيكل الزهرة في بعلبك وهيكل عشتروت او الزهرة في افقه -
لبنان ، وهجين في كيليكية .

اما الاماكن المقدسة فقد جادت عليها هيلانة باموال جزيلة ، وبنت
كنيسة القيامة العظيمة وكنيستين بديعتين فوق مغارتي بيت لحم وجبل
الزيتون ، وبذلت مالا كثيراً على اهل البؤس ، وصارت للنساء مثلاً
يحتذى في الرداعة والالطف ، واعدت بيديها طعاماً للعداري المتزهديات ،
والفقراء ٢ . ثم عادت الى نيقوميديّة حيث نقلها الله اليه في هذه السنة .

الفصل الخامس عشر

مطرائية سليق وقطيسيفون



عاش الاسقف فافا السرياني حتى الربع الاول من القرن الرابع . وبما انه
كان اسقف العاصمة الفارسية : ابتلي بالكبرياء ، فأخذ يخاصم اساقفة
المشرق ابتغاء التروّس عليهم . فاجتمعوا معه في مجلس حوالي سنة ٣١٥
وانكروا عليه الأمر ، وخاطبه مار ميليس اسقف شوشان بما يكره
وبعد وفاته التي حلت سنة ٣٢٩ بمديدة اصبغ كرسي سليق وقطيسيفون
مطرائياً . وفي الربع الاول من القرن الخامس حصل مطرائه على لقب

(١) تاريخ مختصر الدول لابن العبري ص ١٣٥

(٢) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٢٦

جاثليق ، وتمكن ان يفرض نفوذه على الابرشيات الاخرى التي في المملكة الفارسية عدا ابرشية فارس (ريبوردشير) كما اخبرنا ابن العبري ^١ .
ان ما تمهم معرفته من تاريخ مشيحا زخا : هو مسألة الجثقة والمدائن وهو حجة لانه أُلّف في القرن السادس ^٢ : فقد فضح ادعاءات النساطرة الواهية كما اسلفنا . فلو كانت الجثقة في عالم الوجود في الربع الاول من القرن الرابع لماذا لم تشترك في المجمع النيقاوي ؟ كيف لا وقد صرّحت اعمال مجمع الجاثليق اسحق ان القوانين النيقاوية لم تكن معروفة في الكنيسة الفارسية الى سنة ٤١٠ ^٣ .

كان مطران سليق او الجاثليق ^٤ يدير دفة امور الكنيسة في المملكة الفارسية خاضعاً للكرسي الانطاكي ، ومؤيداً منه ، بل نائباً عنه في هذه المملكة ^٥ . ولم يكن ليتسنى للقديس ماروثا الميافارقيني ان يسن قوانين وانظمة للكنيسة الفارسية في مجمع حضره الجاثليق اسحق واربعون اسقفاً فارسياً في قطيسيفون سنة ٤١٠ ، لو لم يكن يحمل تفويضاً من الكرسي الانطاكي . لقد زوّده هذا الكرسي الرسولي بثلاث رسائل : الواحدة توصية بحقه للملك يزدرجرد وللأساقفة ، والثانية تعليمات لمار اسحق الجاثليق ، والثالثة الى الملك نفسه ليساعد الاساقفة الذين في مملكته على عقد مجمع

(١) التاريخ الكنسي مج ٢ في ترجمة المفران يوحنا الكيوني .

(٢) ألفه بالسريانية ونشرته مجلة النجم الموصلية باعداد متتابعة معرباً بقلم المطران بطرس عزيز الكلداني ، وقد مهد فيه المعرب بعدم وجود الجثقة في القرون الثلاثة الاولى وحتى الربع الاول من القرن الرابع .

(٣) كلدو وآثور مج ٢ ص ٩٨ .

(٤) قال السيد توما اودو الكلداني في قاموسه السرياني « الجاثليق اسم لرتبة شريفة في الكنيسة منذ الاجيال الاولى ، وكان البطريك اعلى منه درجة » (كنز اللغة السريانية ج ٢ ص ٤٠٣) .
(٥) رسالة البطريك يوحنا صاحب السدترات الى ماروثا التكريتي وجوابها في تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ٤٢٢ - ٤٢٧ وتاريخ الكنيسة الشرقية المقدسة تأليف نيل مج ١ ص ١٢٥ وذخيرة الازهان مج ١ ص ٤٤ و ٤٥ و ٥٥ .
(١٤)

اصلاحاً لاحوال الكنيسة في المشرق^١ . فاهتم ماروثا ومار اسحق الجاثليق بنقلها من اليونانية الى الفارسية ، وتليها امام الملك . وكانت الرسائل موقّعة من البطريك الانطاكي فورفوربوس (٤٠٤ - ٤١٣) وفاق الحلبي وفقيدا الرهاوي واوسابيوس التّلي وفاق الآمدي . فتليت في المجمع .

الفصل السادس عشر

مجمع انطاكية الخامس سنة ٣٣٠



في سنة ٣٣٠ دّبر اقطاب الاربوسيين مكيدة فاجتماعاً اسقفياً في انطاكية على عدوهم اللدود القديس اوسطاثاوس بطريك انطاكية . وقد مهد لذلك الاجتماع اوسابيوس النيقوميدي وصاحبه تاوجانيس بزيارتها انطاكية ، بحجة رؤية كنيسة الجديدة المذهبة التي كان بناؤها قد اوشك ان يتم . فرحب بها القديس اوسطاثاوس اجمعل ترحيب ، وأخذها الى جميع الكنائس والاماكن الاثرية في انطاكية ، وهو لا يدري بما يبطنان من مكر ونفاق . فانتهزا تلك الفرصة الملائمة لمعرفة عدد الاربوسيين ومبلغ قوتهم في انطاكية . وقد ساعدهم على بلوغ غايتهم : انقسام الكليروس انطاكية يومئذ الى حزبين : اوسطائي ومعارض . فتمكنا من الاجتماع برؤساء الحزب المعارض وتديبر مكيدة على القديس اوسطاثاوس . ثم

(١) كلدو وآثور مج ٢ ص ١٠٢ ومجموعة الجامع الشرقية ص ١٨ وهي تأليف بعض علماء النساطرة، ألّفت في ما يراه النقاد الخبثيون في اواخر القرن الثامن وهي المصدر الوحيد لهذا الخبر.

غادرا انطاكية الى اورشليم حيث اجتمعا باوسابيوس القيصري وفطروبيوس اسقف سقيطوبوليس (بيت شان) وايطيوس اسقف اللد وثاودوروس اسقف اللاذقية الأريوسيين . وبعد ان تأمروا على القديس اوسطاثاوس : انقلبوا كلهم الى انطاكية نحو سنة ٣٣٠ ودبروا اجتماعاً اسقفيّاً . ولما ذاع خبرهم اسرع الى انطاكية جمهور من الاساقفة الارثوذكسيين المجاورين واحتجوا بشدة على ذلك العمل ، وانضموا الى الجمع .

فآثم الأريوسيون القديس اوسطاثاوس بالفجور متآمرين في ذلك مع بغى جاؤوا بها الى الجمع . ولما سألها النيقوميدي ان تثبت ادعاءها بقسم : علت ضجة عظيمة ، وقال الارثوذكسيون وهم الأكثرية الساحقة في الجمع : ان القانون الكنسي يرفض تصديق تهمة كهذه على قسيس ما لم تكن على فم شاهدين او ثلاثة ، فكم بالحري بالنسبة الى اسقف ، ولا سيما إذا كان من الاساقفة المتقدمين ، كأوسطاثاوس الذي لم يجسر الشين ان يشوب اسمه ؟ فأقسمت البغى . ولكن مار اوسطاثاوس تبرأ من التهمة . وبعد ذلك ابتليت البغى بمرض وبيل ، فكشفت سر المؤامرة . ثم قرّفه خصومه امام قسطنطين بتهم اخرى ، فحاكمه وسمع دفاعه عن نفسه . واخيراً جازت وشاياتهم على قسطنطين فنفاه الى ترايانوبوليس (تراقيا) ثم نقله الى فيليبي حيث توفي سنة ٣٣٧ .

الفصل السابع عشر

استيلاء الأريوسيين على الكرسي الانطاكي



في الجمع الانطاكي السابق آثم القديس اوسطاثاوس : اوسابيوس

القيصري بالأريوسية ، بينما قرّفه هذا بالسبيلية . وبعد نفي القديس
اوسطاثاوس ، طلب كثيرون من اريوسي انطاكية اوسابيوس القيصري
اسقفاً لأنطاكية ، والتمسوا من الملك ان يتدخل في الأمر . ولما كتب
اليه الملك بذلك امتنع بتصنع قائلاً : إنه لن يتجاوز القانون الذي يمنع
تنقل الأسقف من ابرشية الى اخرى . والصحيح ان سبب امتناعه هو
انقسام الشعب الى حزبين . فأثنى عليه الملك لتمسكه بالقوانين . ثم كتب
الى الانطاكيين قائلاً : لا يجوز له ان يضعف كنيسة ما من اجل تعزيز
كنيستهم . وأنفذ رسالة اخرى الى بعض الاساقفة في ابرشية انطاكية فيها
يعرب لهم « بان له إماماً كافياً بحال كنيسة انطاكية ، ولذلك يرشح لها
كاهنين صالحين للكرسي الشاغر وهما اوفرونيوس قس كنيسة قيصرية
كبادوكية وجرجس قس كنيسة اريتوسا ، من رسامة مار الكسندروس
الاسكندري » . غير ان الانطاكيين انتخبوا واحداً ثالثاً هو اولاليوس
الاريوسي ، ورسم سنة ٣٣١ . ولما مات سنة ٣٣٣ خلفه اوفرونيوس
مرشح الملك . وبعد سنة مات فخلفه فلاقيوس (٣٣٤ - ٣٤٢) .
فاسطيفانس (٣٤٢ - ٣٤٤) وفي سنة ٣٤٤ عزل لتدبيره مؤامرة خبيثة
خد اسقفين غربيين كان قد اوفدهما الى انطاكية لجمع سرديكا كما سترى .
فخلفه لأونطيوس (٣٤٤ - ٣٥٨) فأودوكسيوس اسقف مرعش
(٣٥٨ - ٣٥٩) من متخرجي المدرسة الانطاكية اللاهوتية . وفي
سنة ٣٥٩ انتقل اودوكسيوس الى الكرسي القسطنطيني فخلفه إنيانوس
سنة ٣٦٠ .

الفصل الثامن عشر

القديس اوسطاثاوس الانطاكي



ولد القديس اوسطاثاوس حوالي سنة ٢٥٧ في مدينة سيدا من ولاية بفسلية ، وتوقل سلّم العلوم اللاهوتية في مدرسة انطاكية فاضحى احد مصابيحها النيرة . ثم صار اسقفاً لحلب فكان ، الرجل الرسولي ، اذ جاهد جهاداً محموداً في سبيل الايمان في اضطهاد ديوقليطيانس او ليقيانس ، حتى سماه القديس اثناسيوس الكبير « المعترف » . وفي سنة ٣٢٤ جلس على السدة الرسولية الانطاكية خلفاً لبولينوس . وكان متمسكاً بالايمان القويم ، عدوّاً لدوداً لبدعة اريوس . وظهرت عظمة جهاده ضده في المجمع النيقاوي . وكان يتبوأ منزلة رفيعة بين الاساقفة ، فترأس المجمع العظيم مفتتحاً اياه بخطاب رائع ، معلناً الغاية الاولى من التثامه ، مرحباً بقسطنطين الكبير . ثم جلس عن يمينه . اما علومه فكانت زاخرة . وقد حبر مؤلفات هامة ، منها : كتاب ضد الاربوسية في ست او سبع مقالات . ومقالات في تفسير الايام الستة ، وتفسير المزمورين الثاني والخامس عشر ، وفي النفس ، ورسائل جلييلة ، وجدت منها مجموعة كبيرة في عهد ابرونيئمس (٤٢٠+) . اما اليوم فلم يبق منها شيء سوى مقالته في « عرّافة عين دبور » ، مفنداً فيها رأي اوريجناس في ان الذي تراءى لشاول ليس صموئيل ، داحضاً طريقة المدرسة الاسكندرية في التفسير الرمزي . ونسبت

اليه ليتورجية مطولة بالسريانية . وقد قرظ سوزومينس بلاغته ٢ .
وفي سنة ٣٣٠ نفاه الاربوسيون وتوفي سنة ٣٣٧ كما مر بك .

الفصل التاسع عشر

مجمع صور سنة ٣٣٥

لما افلح الاربوسيون بنفي مار اوسطاثاوس الانطاكي تحفزوا لاصطياد
مار اثناسيوس الاسكندري الدّ خصومهم . فموهوا على قسطنطين بان
اربوس صحيح الاعتقاد . وانما شجب لخطئه في ايضاح معتقده ، وطلبوا
اليه ان يأمر اثناسيوس بقبوله في كنيسته . فانخدع قسطنطين بتمويههم
وامر اثناسيوس بذلك مهدداً اياه بالعزل اذا مانع . فرفض اثناسيوس
معتذراً . فوشى به اعداؤه الى الملك قاصدين الايقاع به والنيل من
اكرامته ، مقرفين اياه بامور شتى . ثم دعوه الى مجمع في قيصرية فلسطين
فأبى الحضور متبيناً مكيدتهم . وفي السنة التالية (٣٣٥ م) انتقلوا الى
صور حيث عقدوا مجمعاً بامر قسطنطين لفحص تلك الوشايات . فحضر
المجمع معتمد الملك وستون اسقفاً اكثرهم من الاربوسيين وانصافهم
الاوسابيين من ابرشية انطاكية ، بينهم اثنان غربيان هما اوزاس وفالانس .
وحضر اثناسيوس ايضاً بامر قسطنطين كمرتكب لثلاث جرائم : هي تدنيس
المقدسات والقتل والفجور . وترأس المجمع اوسابيوس النيقوميدي من اكبر
انصار اربوس . فأقاموا على اثناسيوس قضاة من حزبهم ، وعاملوه اسوأ

معاملة ، ملزمين اياه الوقوف كمجرم . فاحتمل كل ذلك بصبر ووداعة .
ولكي يثبتوا عليه تهمة القتل تأمروا مع ارسانيوس اسقف ابيسال
(مصر) من حزب الميليطيين ، فأخفوه وقطعوا يمين ميت اخذوها الى
الجمع وادعوا ان اثناسيوس قتل ارسانيوس واستخدم يمينه للرسامات
وعمل السحر . اما ارسانيوس فبكته ضميره وتاب ، وبغاية ربابية وجد
في صور في اثناء التثام الجمع ، فجاء به حزب اثناسيوس الى الجمع
فاضحين مكيدة خصومه . فتعالت حينئذ اصوات الاربوسيين : إن اثناسيوس
لساحر ، اقتلوه اطرده ، وكادوا يفتكون به لو لم ينقذه معتمد
الملك من بين ايديهم .

ولاثبات تهمة الفجور ، تأمروا مع بغى جاءوا بها الى الجمع ، كما
فعلوا قبلاً بالقديس اوسطاثاوس . ولما تظاهرت بالبكاء متهمه اثناسيوس
كأنه قهرها قسراً : انتصب في وسط الجمع طيمثاوس احد كهنة
الاسكندرية ، وقرعها بصفة كونه اثناسيوس قائلاً : كيف تتجاسرين على
اتهامي بهذا ؟ واذ لم تكن تعرف شخص اثناسيوس لم تشك ان اثناسيوس
نفسه يخاطبها ، فأجابت بوقاحة لا تطاق : نعم انت قهرتني . فافتضحت
المكيدة وطردت البغى من ساعتها .

فلما رأى القديس اثناسيوس ان هذه المحكمة التي نصبت نفسها
لا تملك حق مقاضاته وعزله لانها خارجة عن نطاق كرسية الاسكندرية :
افسح منها باشارة معتمد الملك وتوجه تَوّاً الى القسطنطينية متظاهراً
لقسطنطين من هذه المحكمة المغتصبة .

فاصدر عليه الجمع حكماً غيبياً يقضي بعزله ، بناء على محضر حرره
اوزاس وفالانس المذكوران ، اللذان ذهبا الى مريوط (مصر) عند
انعقاد الجمع لاجراء تحقيق قانوني عن التهم المنسوبة اليه . ثم لحقوه الى
القسطنطينية واوغروا عليه صدر قسطنطين قائلين : إنه تواعد بمنع ما يرد
من القمع من الاسكندرية الى القسطنطينية . فوجدت الوشاية في نفسه

محلاً ، ونفاه ظلماً الى مدينة « تريف » سنة ٣٣٦ دون ان يستمع الى احتجاجه عن نفسه .

اما الاسقفان الغربيان اوزاس وفالانس فحكم عليهما بجمع سرديكا سنة ٣٤٣ بسبب سلوكهما المعيب في هذه القضية فقدما للمجمع توبة طالبين الصفح عما اقترفاه ١ . ثم كتبوا الى اسقفهم مار يوليوس الروماني رسالة استغفار قائلين انهما كانا المدبرين لما حصل ضد البابا اثناسيوس ٢ .

الفصل العشرون

تفسير كنيسة القيامة وتكريسها



ذكر اوسابيوس القيصري ان قسطنطين لما بلغه خبر اكتشاف القبر والجلجلة ومغارة الصليب كتب الى مقاريوس اسقف اورشليم لينشىء على نفقته فوق القبر كنيسة عجيبة منقطعة النظير ، تدبج بالذهب والفضة ، وترتفع على عواميد رخامية . وأمر الوالي دراسيان ان يقدم كل ما يتطلب للعمل العظيم من النفقات ، كما انتدب المهندس القس اوسطاثاوس البيزنطي ليشرف على البناء . فنقضوا الجبل الى مساواة القبر ، ثم نصبوا عشرين عموداً رخامياً حول القبر ، بنوا فوقها قبة عالية . وشيدوا فوق هذا البناء الفخم قبة كبيرة شاهقة تضم كل البناء الذي اطلق عليه اسم « كنيسة القيامة » . ثم بنوا كنيستين اخريين الواحدة على الجلجلة

(١) ثاودوريطس ك : ف ١٦ .

(٢) ايفانيوس في الهرطقات ، والخريدة النفيسة ج ١ ص ٣٥٥ و ٣٥٦ نقلاً عن كيرلس مقار .

والاخرى فوق مغارة الصليب ، وانشىء على اعمدة رخامية اروقة جميلة
وفسيحة حول هذه الكنائس الثلاث التي فاقت ابنية العالم كلها بجمال هندستها
وبنائها . واستغرق البناء ست سنوات ، وانتهى سنة ٣٣٥ . فكتب
قسطنطين الى الاساقفة يدعوهم لتكريسها ، فاجتمع كثيرون في اورشليم ،
معظمهم ممن يتكيفون مع الريح ، وبينهم من زعماء الأريوسيين . وكان
هنالك آخرون من أئمة الارثوذكسين كالقديسين الكسندروس اسقف
تسالونيكي ، وميليس اسقف شوشن (فارس) الذي ضفر له اكليل
الشهادة بعدئذ ، ويعقوب اسقف نصيبين . وتم التكريس في حدود ١٤
ايلول . فاحتفل بعض الاساقفة بالقداس الالهى لاجل تأييد المملكة وسلام
الكنيسة . وانبرى غيرهم يخطبون في الجموع الفقيرة المحتشدة ، من كتاب
الله او في تقريظ قسطنطين . ثم احتفلوا بعيد الصليب .

الفصل الحادي والعشرون

مار يعقوب اسقف نصيبين السرياني يقترح صوماً ضد اريوس

كان اريوس حاملاً رسالة من قسطنطين الى الاساقفة المجتمعين في
اورشليم لتكريس كنيسة القيامة ، لكي يقبلوه في شركتهم . ويمكننا
ان نصرح جازمين بان الارثوذكسين رفضوه مع ان مرقلوس اسقف
انقرة كان غائباً ، ومكسيموس اسقف اورشليم كان في صور آنذاك .
ثم بلغهم امر قسطنطين بالتوجه الى القسطنطينية لعقد اجتماع . فأوفد اليها

الارويسيون ستة من زعمائهم ، حيث عزلوا مرقسوس الآتف الذكر .
ولكنهم شهدوا هلاك رئيسهم الشقي .

لقد حاول اريوس الدخول الى كنيسة الاسكندرية بعد نفي بطريركها
مار اثناسيوس ولكنه باء بالفشل الذريع ، اذ قاومه الشعب واقفل
ابواب الكنيسة بوجهه ، حتى قامت فتنة عمياء . وبإشارة والي الاسكندرية
عاد ادراجه ، ورغب في مشاركة مار الكسندروس اسقف القسطنطينية .
واذ لم يقبله هذا استمسكاً منه بالايان النيقاوي : التجأ بقسطنطين الذي
كتب اليه بقبوله . فحزن مار الكسندروس حزناً عميقاً ، وبإشارة
القديس يعقوب اسقف نصيبين السرياني الذي وجد حينئذ في القسطنطينية :
جثا امام المذبح مبتهلاً الى الله لكي يأخذ نفسه قبلما يدخل اريوس
الكنيسة . وهو متأبط بدعته النكراء . وفي الوقت نفسه اقترح مار يعقوب
على مؤمني القسطنطينية ان يصوموا سبعة ايام من اجل اسقفهم ، ففعلوا .
وتجمهر اشياع اريوس ليزفوه الى الكنيسة بحفاوة كبرى ، فما ان بلغوا
قصر الملك حتى اضطرب اريوس ، ومضى لقضاء حاجته حيث لقي هلاكه
باندلاق احشائه ١ . فانقضّ هذا النبأ على اصحابه كالصاعقة ، والتحفوا
بجزيمهم . ولما طرق ذلك مسمع الكسندروس حمد الله الذي اخزى المنافقين .

(١) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٢٩ - ١٣٠ والتاريخ الكنسي لابن العبري مج ١
والخريدة النفيسة ج ١ ص ٣٠٥ والدرر النفيسة ص ٤٥١ - ٤٥٢ .

الفصل الثاني والعشرون

مجمع انطاكية السادس سنة ٣٤١



لما اكتمل بناء كنيسة انطاكية المذهبة ، اجتمع لتكريسها في صيف سنة ٣٤١ سبعة وتسعون اسقفاً شرقياً من الاربيين وانصافهم الاوسابين . وهذه المناسبة عقدوا مجمعا لبحث المعتقد . وكان الاوسابين ستة عشر ، منهم غريغوريوس الاسكندري وفلاقيطوس الانطاكي واوسابيوس النيقوميدي واقاق القيصري وماري الخلقيدوني وثاوفرونيوس اسقف تانيا فمطران كبادوكية ، واودوكسيوس اسقف مرعش فانطاكية فالقسطنطينية ، واوسابيوس الحمصي . وكان بعضهم ينسبون الى الارثوذكسيين مثل مرقلتوس اسقف انقرة واغابيوس اسقف سلوقية فمطران يسوريا ، ومغنوس اسقف دمشق وإيثالاها اسقف الرها ، ومنثاقوس اسقف بصرى ، وبولس اسقف قيصرية الجديدة وثاودولوس اسقف ترابانوبوليس . وقد عُرف بعضهم بالذكاء والدهاء والنشاط كأوسابيوس النيقوميدي واوسابيوس الحمصي وثاودوروس اسقف هرقلية .

فألف المجمع ثلاثة دساتير إيمان عقبها دستور رابع ، وكلها خالية من جملة « المساوي في الجوهر » . وهذا الأخير قدمه ثاوفرونيوس الأنف الذكر ونسبه الى مار لوقيانس الشهيد احد مؤسسي المدرسة الانطاكية . وواصل المجمع اعماله لمدة ثلاث سنوات . ثم مات اوسابيوس النيقوميدي الطموح والمشغب ، فأرسل المجمع وفداً حاملاً دستور إيمانه الى قسطنط

قيصر الغرب . بيد ان الكنيسة رفضته لانه ينقض دستور الايمان النيقاوي .

وقد سنّ المجمع خمسة وعشرين قانوناً تهديبياً ، قصد بالرابع والحادي عشر منها مناوئة مار اثناسيوس الاسكندري واليك خلاصتها :
يمنع القانون الأول الاحتفال بعيد الفصح مع اليهود وفقاً لأمر المجمع النيقاوي ، ويقضي على العالمي الذي يتجاوز ذلك بالقطع عن شركة الكنيسة وعلى الكليريكي بالخط من رتبته ايضاً .

ويقضي القانون الثاني بالقطع عن شركة الكنيسة على من يدخل الكنيسة ويستمتع الى قراءة الكتب المقدسة ثم يغادرها دون ان يشترك بالصلاة والقربان المقدس مع المؤمنين ، سواء كان اسقفاً او قسيساً او شماساً او عالمياً .

ويمنع القانون الثالث القس والشماس وكل كليريكي من التنقل من كنيسة الى اخرى ، ولا سيما اذا دعاه اسقفه وابى الانصياع والاّ عُزل . وكذلك يقضي بأن يوبخ في مجمع عام الاسقف الذي يقبله في ابرشيته .
وينص القانون الرابع على ان الاسقف الذي يعزله المجمع ، والقس او الشماس الذي يعزله اسقفه : يسقط من رتبته كلياً اذا تجاسر وخدم الكهنوت ، بل يفقد حق الاحتجاج في مجمع آخر . ويُبعد عن شركة الكنيسة من يشترك معه ايضاً .

ويقضي القانون الخامس بعزل القس او الشماس الذي ينبذ اسقفه ويترك كنيسة ، ويبني له مذبحاً آخر ، ويعقد اجتماعات ، ولم يُذعن لامر الاسقف ولئن دعاه مرة او مرتين .

وينص القانون السادس على ان لا يقبل اسقف غريب ، الكليريكين قطعهم اسقفهم قبل ان يقبلهم اسقفهم نفسه ، إذ لهم ان يحتجوا عن انفسهم لدى المجمع .

ويتكلم القانونان السابع والثامن عن الشهادات التي يجب ان يحملها الغرباء . فالسابع يمنع قبول الغرباء بدونها . والثامن يقضي ألا تكون من قسوس المكان إلا اذا أخذت الى الاساقفة المجاورين . اما شهادة الخورفسقفوس الذي بلا لوم فهي مقبولة .

ويؤيد القانون التاسع العادة القديمة أي ان يكون المقام الاول للمتروبوليت فلا يأتي الاساقفة عملاً ما بدون إذنه ، ما عدا رسامة القسوس والشمامسة وما يقتضي لادارة الابرشية . وينع المتروبوليت ايضاً من ان يأتي عملاً ما غير ما ذكر ، بدون موافقة الاساقفة .

ويصرح القانون العاشر بان الخورفسقفوس ولئن كان حاصلاً على وضع اليد الاسقفي نفسه ، مع انه يُرسم من اسقف الابرشية : إلا انه يؤذن له بتعيين القراء والافودياقونيين والمحلفين فقط ، ويُعزل إذا تجاسر ورسم قسوساً وشمامسة بدون إذن اسقف الابرشية .

ويقضي القانون الحادي عشر بعزل الاسقف والقس وكل اكليريكي يرفع دعواه الى الملك بدون تفويض من اساقفة تلك الولاية ولا سيما المتروبوليت ، وابعاده عن شركة الكنيسة .

ويرفض القانون الثاني عشر قبول القس أو الشماس الذي يعزله اسقفه ، أو الاسقف الذي يعزله الجمع ، ويلتجىء بالملك لأجل حله — لا بجمع اكبر — حيث يُفحص امره .

يمنع القانون الثالث عشر الاسقف من القيام برسامات وخدم بيعية في أبرشيات غيره ، إلا إذا كتب له بذلك المتروبوليت والاساقفة . وإلا عُزل وعُدَّت الرسامات باطلة .

ويأمر القانون الرابع عشر انه إذا حوكم اسقف في مجمع الولاية واختلف الاعضاء في امره : وجب على المتروبوليت ان يدعو بعض الاساقفة المجاورين ليشتركوا معهم بفحص القضية واصدار الحكم المناسب . وينع

القانون الخامس عشر الاسقف الذي شجبه بالاجماع مجمع اساقفة ولايته من استئناف حكمه الى مجمع ولاية اخرى .

ويقضي القانون السادس عشر بعزل الاسقف الذي لا ابرشية له واستولى على ابرشية لا اسقف لها بدون موافقة المجمع الذي يرئسه المتروبوليت ، ولئن رضيت به جماعة الابرشية كلها . ويقضي القانون السابع عشر بعزل الاسقف الذي يأبى بعد رسامته الشخص الى ابرشيته . ويأمر القانون الثامن عشر ان تحفظ له الكرامة والخدمة فقط اذا كان الشعب لا يرغب فيه او لسبب آخر ، على ان لا يتدخل بأمور الكنيسة التي يصلي فيها حتى ينظر في ذلك مجمع الولاية . ويقضي التاسع عشر الا يرسم الاسقف الا في المجمع وحضور متروبوليت الولاية الذي يجب ان يدعو لذلك اساقفة الولاية كتابة . والوافق ان يحضر كلهم والا اكثروهم ، او ارسالهم موافقتهم كتابة .

ويأمر القانون العشرون بالتثام مجمع الولاية مرتين في السنة بواسطة المتروبوليت فقط ، في الاسبوع الرابع بعد العنصرة وفي الخامس عشر من تشرين الاول ، وذلك لحل المشكلات الكنسية ، يحضرهما القسوس والشمامسة وكل من يظن انه مظلوم .

ويمنع القانون الحادي والعشرون الاسقف منعاً باتساً عن التنقل من ابرشية الى اخرى ، سواء بارادته ام بتحريض الشعب والاساقفة . ويقضي القانون الثاني والعشرون بمعاقبة الاسقف الذي يرسم قسوساً وشمامسة في ابرشية اخرى بدون اذن اسقفها ، وببطلان تلك الرسامات . ويمنع القانون الثالث والعشرون الاسقف من اقامة وارث له على كرسيه والا عدّ باطلاً . ويقضي القانون الرابع والعشرون بان تميز املاكه من املاك البيعة لتعطى بعد وفاته لمن يوصي لهم ، لئلا يتضرر الفريقان . وينيط به القانون الخامس والعشرون إدارة املاك الكنيسة بمعرفة القسوس والشمامسة ، فيأخذ منها نفقاته ونفقات الاخوة الغرباء الذين يستضيفونه ،

ويساعد المحتاجين . ولكنه يحذر عليه تولية أحد اقربائه عليها لئلا تُتمنى الكنيسة بخسارة ، وإلا حوكم في المجمع . وإذا اتهم وقسوسه باختلاس شيء ينظر المجمع في امرهم .

الفصل الثالث والعشرون

الاضطهاد الاربعيني في بلاد الآراميين

للاضطهاد الاربعيني في المملكة الفارسية سببان : ديني وسياسي . فالديني ، لان الدين المسيحي كان مضاداً للمجوسية دين المملكة يومذاك . اما السياسي فلأن الكنيسة في هذه المملكة كانت خاضعة دينياً لسلطة الكرسي الانطاكي الذي في المملكة الرومانية . وقد مهدت للاضطهاد فضلاً عن هذا ظروف دينية وسياسية .

كان سابور مديناً بكثير للمجوس . فقد مات ابوه هورميزد وهو لم يزل جنيناً في بطن امه . وبحسب نظام المملكة الساسانية ، إذا كان الجنين أنثى يحق لها تاج المملكة وإلا فذلك متروك لرحمة المجوس ان يحفظوا له عرش ابيه إذا ارادوا . فأنبأ جميع الكهّان بولادة ملك للفرس . وفي حفلة رائعة حضرها عظماء المملكة والكهّان والشخصيات البارزة : أعدت في البلاط تحت ملكي ، وثير ، ووُضع تاج على الموضع الذي كان يُظن انه سيجرس وارث المملكة الفارسية العتيد . ولذلك كان سابور مبدى حياته يتذكر الامور التي رافقت ميلاده ، محترماً للمجوس الذين اسدوا اليه فضلاً عالياً . ولما كان الدين المسيحي مضاداً للمجوسية كما

اسلفنا : حرّض المجوسُ سابور على اضطهاد المسيحيين .
كانت الحرب سجالاً بين المملكتين الرومانية والفارسية . ففي اواخر
القرن الثالث ضبط غاليريوس خمس ولايات من الفرس ، فنهض سابور
يطالب بها . وفي سنة ٣٣٧ اخضعها لسلطته . فخرج قسطنطين لمبارزته ،
فحال مرضه دون الوصول الى بغيته ، وعاد الى نيقوميديّة حيث توفي في
٢٢ ايار من هذه السنة . فواصل الحرب ابنه قسطنس . وفي السنة التالية
حاصر سابور مدينة نصيبين سبعين يوماً ، واخيراً انكفأ الى بلاده فاشلاً
بصلاة مار يعقوب اسقف نصيبين وتلميذه مار افرام . فانقلب على المسيحيين
الذين في مملكته يضطهدهم .

وفي سنة ٣٣٩ اثار عليهم شدة عظيمة دامت اربعين سنة اي حتى
هلاكه سنة ٣٧٩ . فأمر بالقاء القبض على مار شمعون برصباعي مطران
سليق وفرض عليه جباية الجزية مضاعفة من رعيته ، فأبى قائلاً : ليس
هذا من شأنه لان له سلطة روحية فقط على المؤمنين . وتحفز اليهود ايضاً
يشنون بالمسيحيين اليه اذ كانت لهم حظوة عند الملكة التي كانت على
دينهم . فقالوا له اذا بعثت وانت ملك الملوك برسائل جليلة وهدايا فاخرة
الى القيصر الروماني ، لا تكون عزيزة في عينيه بقدر ما اذا كتب اليه
شمعون رسالة حقيرة ، فانه يقف ويسجد لها ويتلقفها بكلتا يديه ويسرع
الى تنفيذ امره ، لانه يتجسس له اسرار مملكته . فغضب الملك وامر
بهدم الكنائس سنة ٣٤٠ فدمّرت كنيسة سليق اولاً ثم امتد الاضطهاد
الى جميع نواحي المملكة الفارسية . وفيه استشهد الوف وربوات بينهم
ثلاثة مطارنة وكثير من الاساقفة والقسوس والرهبان والرواهب . وقد
حفظت دبتخة الكنيسة الفارسية اسماء ستّة عشر الف من اولئك
الشهداء البواسل .

وكان معظم الشهداء سرياناً جنساً من بلاد حدياب ونينوى وبابل
وليدان والاهواز وباجرمي والمرج الخ . وقد كتب اكثر اخبارهم القديس

ماروثا السرياني اسقف ميفارقين باللغة السريانية الفصحى والأدب الشرقي الرائع . وقد اعترف الدكتور نيل بان ما وصل الى الغربيين من اخبار هؤلاء الشهداء بواسطة المؤرخين الغربيين كبارونيوس وفلوري وتيلموت ورينارت ، ناقص ومشوش إذ نُقل عن الكتب اليونانية بدلاً من السريانية الموثوق بها .

وتفنن المضطهدون في تعذيب الشهداء . فقد نكّلوا بهم اعظم تنكيل ، ضرباً موجعاً ، او تقطيع اعضاء ، او نشرأً بمنشار ، او نخزاً بقصب حاد ، او سكب زفت وكبريت في الفم ، او رجماً او جلداً او تكسير الركب والسيقان والاجناب بالمطارق او تمزيق المفاصل او سحباً على الجليد طوال الليل وايقافاً على حديد مجمر بالنار او سلخ جلد الرأس والطرح في خلقين زفت مغلي او ضرب العنق بمجد السيف او شق القذال وسل اللسان او توسيط الاجساد وغير ذلك .

الفصل الرابع والعشرون

مار سمعون برصباعي مطران المشرق

ولد في المدائن (سليق وقطيسيفوت) او في شوشن ويعرف بابن الصباغين . كان ابوه من سراة القوم ، ذا كلمة مسموعة في بلاط سابور الثاني . ولما ترعرع درس السريانية فقبض على ناصيتها وأقيم ارخدياقوناً لكنيسة سليق . ولما نشب خصام بين اسقفه فافا الآنف الذكر وبين

اساقفة المشرق لسياسته الحرقاء : التأم مجمع في سليق سنة ٣٢٩ فعزله ورسم الارخدياقون شمعون خلفاً له . وكان عادلاً فاضلاً محسناً الى الفقراء ومضيفاً للغرباء ، سار بالرعية سيرة رسولية . وادخل انظمة جديدة الى الكنيسة ، وامر بتلاوة الصلاة في كنائس المشرق بين فوجين على سنة كنيسة انطاكية من زمن مار اغناطيوس النوراني . وقسم مزامير داود الى « مراميث » تتخللها لفظة « هلاويا » ، وامر الاكليروس بترنيمها وقت الصلاة على ظهر قلوبهم ، كما انه نظم ميامر ومداريش روحية حلوة ، دخلت فرض الكنيسة . وله رسائل . وفي عهده اصبح كرسي سليق الاسقفي مطرانياً .

وفي سنة ٣٣٩ نزلت بالمؤمنين في المشرق شدة ابتلاهم بها سابور الثاني كما مرّ بك فأبى مار شمعون جباية الجزية مضاعفة من رعيته كما فرض عليه سابور ، واستدعى جميع القسوس والشمامسة وشجعهم على الصبر واحتمل كل شيء من اجل يسوع . وفي سنة ٣٤٠ استدعى وبعض الاساقفة والقسوس الى البلاط في ميدان ليدان في الاهواز . وفي تلك الايام القي القبض على خمسة اساقفة هم جدياب وسابينا اسقفا بيت لافاط ، ويوحنا اسقف هورميزد واردشير ، وبوليداع اسقف فرات ميشان (بصرة) ، ويوحنا اسقف كرخ سلوخ (كركوك) وسبعة وتسعون قساً وشماساً ، وكوشتازاد رئيس الموالي . فأمرهم الملك باعتناق المجوسية ، فأبوا ، فطرحهم في السجن .

ولئن ارتخى گوشتازاد اولاً واحزن مار شمعون وصحبه بانصياعه لأمر الملك ، ولكنه فرّحهم اخيراً بندايمته واستشهاده يوم خميس الفصح . وفي هذا اليوم قدسوا الذبيحة الالهية على ايديهم في السجن ، وسهروا تلك الليلة مترنين بمزامير داود وباناشيد روحية وقوفاً على ارجلهم . فلما رأهم الملك شديدي الاعتصام بجبل دينهم امر بحز رؤوسهم . وفي الساعة

السادسة من يوم الجمعة العظيمة في ٦ نيسان سنة ٣٤١ سيقوا الى ظاهر المدينة . وكان مار شمعون يقودهم الى المجزرة مشجعاً اياهم بصوت عال . ثم اتجهوا نحو الشرق وجثوا على ركبهم مصليين الى الله . ثم انبرى الجلادون يضربون اعناقهم عشرة عشرة فغشيرة ، والقديس شمعون يشجعهم . ونحو الساعة التاسعة تكمل القديس آخر الكل . وفي الليل حمل مؤمنو مدينة ليدان اجسادهم الطاهرة ودفنوها بمآتم مهيب ، ما عدا جثمان مار شمعون الذي دُفن في شوشن .

وقد مثله مار ماروثا الميافارقيني بيهودا الكاهن المكابي بقوله : « الواحد خلّص شعبه بواسطة الحرب ، والآخر بموته . الواحد غفر بواسطة كهنوته للاموات الذين في الهاوية ، والآخر بجبريته بعث المائتين بالخطيئة » .

وكانت لمار شمعون اختان تدعى احدهما « تربو » ، نالتا اكليل الشهادة في ٥ ايار من هذه السنة بتوسيط جسديهما .

الفصل الخامس والعشرون

القديسان الشهيدان شهدوست وبربعشمين مطراننا المشرق



شهدوست

ولد في بعض بلاد باجرمي وذكر بعضهم انه ابن اخت مار شمعون . رُسم ارخدياقونا لبيعة سليق ، ثم خلف مار شمعون في كرسي

سليق بعد ان نال إكليل الشهادة بثلاثة أشهر . وقد رسم سرّاً في سليق . وبعد سنة وبضعة شهور رأى ليلاً سماً قائمة على الارض ورأسها يمس السماء ، وفي أعلاها مار شمعون يكتنفه مجد عظيم وهو يدعوه بسرور قائلاً : « إصعد إليّ يا شهيدوست ولا تخف ، إصعد الى فرح سيدك ، فقد صعدت انا بالامس وانت تصعد اليوم » . فلما استيقظ أيقن بأنه سينال إكليل الشهادة عاجلاً . وبلغ سابور امر الرؤيا السماوية ، وفي تشرين الاول سنة ٣٤٢ ألقى القبض عليه ومئة وثمان وعشرين نفساً من قسوس وشماسه ورهبان ورواهب ، بينهم أخته ، واعتقلهم خمسة أشهر في سليق . ثم ضربوا وجلدوا ثلاث مرات بقسوة لا تطاق لكي يسجدوا للشمس ، فأبوا . وفي تشرين شباط عام ٣٤٣ سيقوا مكبلين الى خارج المدينة وهم يرتلون معاً المزمور الثالث والاربعين ، وهناك استشهدوا في سبيل الدين المبين ، ما عدا مار شهيدوست الذي سيق مكبلاً الى مدينة لافاط حيث فاز بإكليل الشهادة .

بربعشمين :

هو ابن اخت مار شمعون من بلاد باجرمي . رُسم خلفاً لمار شهيدوست سرّاً في منزل بعض المؤمنين في سليق . فأشار على الاساقفة والقسوس والرهبان بلبس الابيض زي العالمين ، علّتهم ينجون من اضطهاد سابور . وبعد ان ساس أبرشيته سرّاً مدة سنتين وشي به الى الملك . وفي شباط سنة ٣٤٥ ألقى القبض عليه وست عشرة نفساً من كهنة وشماسه ورهبان من سليق واعمالها . ولما استجوبهم أمر فكبّلوا وطرحوا في السجن حيث أقاموا احد عشر شهراً اي حتى التاسع من كانون الاول ، وذاقوا 'مرّ' العذاب ضرباً وجلداً وجوعاً وعطشاً . ثم سيقوا الى كرخ ليدان حيث أخذوا بجد السيف في ٩ كانون الثاني عام ٣٤٦ لرفضهم السجود للشمس والنار والماء ، والاكل من دم الحيوانات . وبلغ الاضطهاد غاية الشدة :

الفصل السادس والعشرون

زبول مجمع انطاكية السادس



توفي قسطنطين الكبير في ٢٢ ايار سنة ٣٣٧ . وفيما هو على فراش الموت أوصى ابنه قسطنطين الصغير (الثاني) ان يرد العدل الى نصابه باعادة القديس اثناسيوس الاسكندري الى كرسيه ، نادماً على ما جنته يده . ونفذ قسطنطين وصية ابيه ، الأمر الذي اثار سخط الأريوسيين فأسقطوه ثانية في مجمع انطاكية سنة ٣٤١ لأنه على زعمهم عاد الى كرسيه بدون تصريح مجمع آخر ، وأقاموا بدلاً عنه غريغوريوس الكبادوكي ، ووضعوا ضده القانونين الرابع والحادي عشر من قوانين مجمعهم كما اسلفنا . ولما بلغ دستور ايمانهم قسطنط قيصر الغرب كما مرّ بك : عقد مجمعا في سرديكا سنة ٣٤٣ حضره مئة وسبعون اسقفاً ، منهم اربعة وتسعون ارثوذكسيون ، والباقيون اوسابيون انصاف الأريوسيين ، وفيهم اسطيقيانس الانطاكي واقاق القيصري ومقدونس القسطنطيني . ورأس المجمع اوسبيوس اسقف قرطبة ، وناب عن مار يوليوس الروماني قسيسان ١ . واشتراط الاوسابيون إخراج الأساقفة المحكوم عليهم في مجامع سلفت قاصدين بذلك عدوهم اثناسيوس بنوع خاص . ولم يستطع اوسبيوس إقناعهم بالعدول عن ذلك . وبعد أخذ ورد تنصلوا من المجمع متظاهرين بالتوجه الى قسطنس قيصر الشرق لتهنئته بفوزه على الفرس . وغادروا سرديكا متخذين

الليل جملاً ، واجتمعوا في مدينة فيلبوبلي - تراقية برئاسة اسطيافانس ،
أبدوا قرار جمعهم الانطاكي وحرموا اوسوس وباقي اعضاء مجمع سردىكا .
اما اعضاء مجمع سردىكا الغربيون وبينهم اسقفان شرقيان احدهما استيرىوس
العربى اسقف بطرا : فبرأوا ساحرة اثناسىوس ومرقلوس اسقف انقرة
واسقلىبياس اسقف غزّة ، وحرموا افاق القيصري وزعماء الأوسابيين .
ولما عاد الأوسابيون الى الشرق حرّضوا قسطنس فنفى استيرىوس الآنف
الذكر ورفيقه مقاربوس اللذين تخلفا في مجمع سردىكا .

وفي سنة ٣٤٤ ارسل قسطنس الى اخيه قسطنس مندوباً اسمه ساليانوس
يرافقه اسقفان غربيان هما وينسنت اسقف كابو واوفراتاس اسقف كولوكن
يمثلان مجمع سردىكا ، ونصحاه بان يرد مار اثناسىوس ولا يصغي الى
وشايات الارىوسيين بحقه . فلما بلغوا انطاكية تأمر اسطيافانس الانطاكي
على الاسقفين ليسين سمعتهما ، وبإشارته اتفق شاب يدعى اوغريس مع
بغى ادخلها ليلاً الى غرفتهما . فلما سمع اوفراتاس صوتها صرخ بها قائلاً :
من انت ؟ ثم استدعى من ألقى القبض عليها . وفي الغد رفعوا امرها الى
قسطنس ، فكشفت سر المؤامرة . فجلد اوغريس الذي اعترف بانه فعل
ذلك بإشارة اسطيافانس . وفي ايام الفصح عقد قسطنس مجمعاً في انطاكية ،
عزل اسطيافانس ووضع دستوراً جديداً مسهباً للآيمان هو اقرب الدساتير
التي سبقته الى الارثوذكسية ولئن خلا من عبارة « المساوي في الجوهر » .
ويُعرف باسم Macrostichus اي المسهب ، وأنفذ الى الغرب صحبة اودو كسيوس
اسقف مرعش ومرطورىوس ومقدونىوس المصيصى .

وعمل قسطنس بإشارة اخيه قسطنس ، فأعاد اكليروس الاسكندرية
المنفيين الى وطنهم . ولما قُتل غريغورىوس الاسكندري الدخيل في ٢٥
حزيران سنة ٣٤٥ : أعاد مار اثناسىوس ايضاً الى الاسكندرية ، فاجتاز
بانطاكية حيث اكرم قسطنس مشواه . ولم يشترك مع لاونطيوس

الاربوسي بل مع الارثوذكسين المعروفين بالاوسطائيين ، في الاماكن الخاصة التي كانوا يجتمعون فيها للصلاة . وطلب اليه قسطنس ان يعطي الاربوسيين كنيسة واحدة في الاسكندرية ، فرضي شريطة ان يعطي لاونطيوس ايضاً الاوسطائيين كنيسة في انطاكية . فأبى الاربوسيون ذلك قائلين : لا لنا في الاسكندرية ولا لكم في انطاكية . وفي ٢١ تشرين الاول سنة ٣٤٦ دخل مار اثناسيوس الاسكندرية بعد نفى ست سنين باستقبال حماسي رائع .

الفصل السابع والعشرون

الجبالية السريانية الرهاوية في الهند



في النصف الاول من القرن الرابع كان يتاجر مع بعض البلاد الهندية وجيه سرياني من بلاد ما بين النهرين اسمه توما . ففي سنة ٣٣٩ سافر الى سواحل الهند الغربية وطاف في ملبار وميلابور وجينم وبنغال ومنكمم حيث التقى ببعض المؤمنين استدل عليهم بواسطة الصليبان التي زينت صدورهم . فعلم انهم بحاجة ماسة الى رعاة ومدبرين روحيين . وكانت اسقفية الهند يومذاك خاضعة لمطران فارس الذي اشغله اضطهاد سابور الثاني عن تفقد احوالهم . ولما عاد توما الى ما بين النهرين نقل اخبارهم الى بعض الاساقفة . ثم عاد الى الهند بجبالية سريانية من الرها واعمالها يرئسها اسقف رهاوي فاضل يدعى يوسف . وكانت مؤلفة من ٤٠٠ نفس ، تنتمي الى سبع قبائل ، وتؤلف اثنتين وسبعين عائلة ، فيها قسوس

وشمامسة . فبلغوا مدينة كودنكاتور (Cranganloor) اوائل سنة ٣٤٥ على عهد ملكها « چيرامان بيرومال Perumal » (٣٤١ - ٣٧٨) الذي رحب بهم اجمل ترحيب . وفي شباط سنة ٣٤٥ منحهم اثنين وسبعين امتيازاً منقوشاً على لوح نحاسي باسم توما ، رفعت حالة المسيحيين الاجتماعية في تلك الديار ، وساوتهم بأعلى طبقة من الهندوس . ونال الوجيه توما امتيازات خاصة رفيعة وعبيداً وأراضٍ واسعة في المدينة ، وغير ذلك . فانشرح بقدمهم صدر المسيحيين القلائل ، ومنذئذ دُعوا سرياناً ، وسميت كنيستهم : السريانية . واهتمت الجالية بنشر الدين المسيحي في ملبار ، وأنشأوا بيعة في كودنكاتور تجاه هيكل الملك ، وساعدوا الملك في الحرب التي نشبت بينه وبين بعض ملوك الهند ، فمنحهم لقب « الاشراف » ونسأهم لقب « الشريفات » . ونغوا وانتشروا في بلاد شتى من ملبار ، دون ان يمتزجوا بالمصاهرة مع المسيحيين الهنود ، حتى تألفت منهم سنة ١٩١٠ ابرشية سريانية سميت « ابرشية الكناعنة » . وقد حملوا مشعل الانجيل الى بلاد چينم وبنغال وغيرهما ، وتوفي توما في بنغال . وفي سنة ٣٩٤ نقلوا رفات القديس توما الرسول من الهند الى الرها .

ذكر العلامة فوتيوس القسطنطيني ان القيصر قسطنط بعث نحو سنة ٣٥٤ وفداً برئاسة تاوفيلس الهندي الى بلاد سبا والحبشة وجزيرة سيلان . فشاهد في جزيرة سوقطرة وساحل بلاد هندستان بعضاً من شيعتي الاونوميين والاربوسيين ، وان اهل سوقطرة كانوا يصلون باللغة السريانية . والأظهر ان هذا الوفد لم يصل الى الهند .

الفصل الثامن والعشرون

افرهاط السرياني الملقب بالحكيم الفارسي

وُلد مجوسياً في بعض بلاد الفرس ثم تنصّر وترهب كما يستفاد من مقالاته . درس السريانية وألمّ بعلم الكتاب المقدس ، فوضع كتاباً اسمه « البراهين » طواه على ثلاث وعشرين مقالة او خطبة مسهبة مرتبة على الأبجدية السريانية ، ما عدا الأخيرة التي دعاها « حبة الغنب » وهي في الايمان ، المحبة ، الصوم ، الصلاة ، الحروب ، الرهبان ، التائبين ومعلمي الاعتراف ، قيامة الموتى ، التواضع ، الرعاة ، الحُتان ، الفصح ، السبت ، الاقناع ، تمييز الأطعمة ، دعوة الأمم الوثنية بدلاً من اليهود ، كون المسيح هو ابن الله ، ضد اليهود وفي البتولية والقداسة ، ضد اليهود لادعائهم بان شملهم سيجمع لا محالة ، إعانة المساكين ، الاضطهاد ، عواقب الانسان . وموضوع المقالات بالاجمال : الحياة الرهبانية ، وهو اول من كتب فيها من السريان . غير انه يوقفنا في مقالاته على تاريخ القرن الرابع وتضارب آراء الكتبة البيعيين في ما وراء الطبيعة ، والقضية الفصحية ، والطقوس الدينية ، وعدد السنين منذ الخليفة ، والمنازعات التي ضربت أطنابها في كنيسة المشرق ، وغير ذلك . ففي خطبه الثانية والحادية عشرة والثالثة والعشرين يصرح بان العالم يدوم مدة ستة آلاف سنة ذاكرآ حساب السنين منذ الخليفة الى ايامه وذلك بحسب التوراة العبرية . فنقض رأيه مار جرجس اسقف العرب في جوابه على اسئلة القس يشوع

الحبيس في كانون الأول سنة ٧١٧ استناداً الى الترجمة السبعينية . ومقالته الرابعة عشرة هي رسالة عامة في الاقناع والمسألة والحسد والبغضاء ، وجهها الى اساقفة وإكليروس سليق وقطيسيفون .

ان تعاليمه اللاهوتية في هذه المقالات هي ارثوذكسية ، غير انه كان يأخذ بمبدأ افلاطون القائل ان الانسان مركب من نفس وجسد وروح ، فنقض رأيه مار جرجس اسقف العرب في جوابه الآنف الذكر .

وقسم مقالاته الى قسمين ضمن القسم الأول عشرها منها ، وهي التي أنشأها سنة ٣٣٧ (٦٤٨ ي) ، والقسم الثاني ثلاث عشرة الباقية وقد كتبها بين سنتي ٣٤٤ - ٣٤٥ (٦٥٥ ي) كما ذكر في خطبته في عواقب الانسان . وفي مقدمة المقالات اثبت رسالة من طلب اليه إنشاءها ، مفقود بدوها .

وهو الملفان السرياني الأول الذي وصلت اليها تآليفه كاملة . غير ان إنشاءه خالٍ من فصاحة مار افرام والسروجي والمنبجي وغيرهم من كتبة العصر الذهبي ، ولئن كان صحيح العبارة . وقد استشهد بكتاب دياطسرون ططيانس .

وتوفي بعد سنة ٣٤٦ .

الفصل التاسع والعشرون

القديس ملاطيوس بنهبوا عرسه انطاكية



من اعظم البطارقة الانطاكيين الذين رفعوا شأن البيعة بمجاهد هم الرسولي واستمسكهم من الايمان بالعروة الوثقى . ولد سنة ٣٢٥ في ملطية من اعمال ارمينية الصغرى ، في احضان اسرة ثرية نبيلة ، وتخرج في مدرسة انطاكية اللاهوتية ، فكان احد مصابيحها النيرة . وكان في سيرته مثلاً يحتذى ، فانتظم في سلك اكليروس ملطية . وعرف بتواضعه ودمائة اخلاقه ومحبهه للسلام . ولما حرم مجمع في انطاكية : اوسطاثيوس اسقف سبسطية ارمينية الذي مال اولاً الى أنصاف الاربوسيين ثم انضم الى المقدونيين : رُسم ملاطيوس اسقفاً سنة ٣٥٨ على هذه الابرشية^١ ، وما عثم حتى بارح الابرشية نظراً لعناد حزب اوسطاثيوس وتمرده على اوامره . واتزوى في مدينة حلب متعبداً لله ، منعكفاً على الصوم والصلاة .

وفي سنة ٣٦٠ فرغ الكرسي الانطاكي بانتقال اودوكسيوس الاربوسي الدخيل الى القسطنطينية ، فالتأم بأمر قسطنس مجمع الاساقفة اللائذين بهذا الكرسي الرسولي ، من الأرثوذكسيين والاربوسيين لانتخاب بطريرك بالاجماع فيُدفن الشقاق الذي اقلق الكنيسة مدة طويلة . وكان الاربوسيون يؤلفون الاكثرية الساحقة في المجمع . فاتجهت ابصار الجميع نحو القديس ملاطيوس وكتبوا صك اختيارهم وامضوه واودعوه القديس

اوسابيوس الشهير اسقف سميساط احد اساطين الارثوذكسية^١ . ولم يكن الاربوسيون عالمين بارثوذكسيته . لذلك اظهروا ارتياحهم به على امل ان يعضد بدعتهم . اما الارثوذكسيون فكانوا على بينة من امره ، فابتهجوا جداً بانتخابه آملين ان تنجو بواسطته ابرشية انطاكية الواسعة من ضلال الهرطقة والشقاق . وسر قسطنس ايضاً بهذا الانتخاب الذي لم تنشطر فيه الآراء ، وبأمره استقدمه الاساقفة من حلب إلى انطاكية التي استقبلته باسرها ، واجلسوه على كرسيها البطريركي .

الفصل الثلاثون

نفي القديس ملاطيوس الاول وسقاف كنيسة انطاكية



لقد مر بك ان الاربوسيين بعد نفي القديس اوسطاثاوس طلبوا اوسابيوس القيصري خلفاً له ، فلم يوفق الى ذلك لمقاومة الارثوذكسيين الشديدة ، تمسكاً باوسطاثاوس ، الأمر الذي ادى الى اقتداح فتنة عمياء بين الفريقين^٢ . وظل الارثوذكسيون برئاسة القس بولينس متمسكين بالايمان النيقاوي ، لا يشتركون مع اساقفة انطاكية الاربوسيين . وفي انتخاب القديس ملاطيوس اتحد الفريقان كما سبق .

اما القديس ملاطيوس فلما صرح في إحدى خطبه من على منبر

(١) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٣٩ - ١٤٠ والتاريخ الكنسي لابن العبري مج ١ والخريدة النفيسة ج ١ ص ٤٠٥ والدرر النفيسة ص ٥٣٦ .

(٢) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٣٢

الكنيسة بالاعتقاد القويم في الثالث الاقدس : تأكد الاربوسيون انه متمسك بالايمان النيقاوي فامتعضوا منه وحملوا قسطنس على نفيه ، فنفاه إلى ملطية بعد شهر من دخوله انطاكية بذلك الاستقبال الحماسي الرائع ^١ . وأقاموا بدلاً منه اوزيوس الاربوسي ، الذي افرغ كنانة جهده في نشر الاربوسية حتى انفصل عنه الارثوذكسيون معترفين بشرعية القديس ملاطيوس الذي احتل منزلة رفيعة في قلوبهم وانطبعت فضائله في اذهانهم كقول القديس الذهبي الفم ، فدعوا ملاطيين . وبعد نفي القديس ملاطيوس حمل الاربوسيون قسطنس على تمزيق صك انتخابه فاوفد رسولاً الى القديس اوسابيوس السميساطي ليأتيه بالصك . فأبى تسليمه قائلاً : بما انّ المجمع الانطاكي اودعه هذا الصك لا يمكنه تسليمه الى احد الا بأمر المجمع نفسه اذا التأم ثانية . فعاد الرسول الى القيصر وانهى اليه جواب القديس اوسابيوس . فانتقد غيظاً وامره بالعود اليه ثانية وبقطع يمينه ان ابى . فعاد وابلغه امر القيصر ، فبسط يديه في الحال قائلاً : إنه خير له ان تقطع يداه من تسليم الصك الشرعي . ولما كان الرسول يخاف الله لم ينفذ فيه امر القيصر لكنه عاد ونقل اليه ما جرى . فدهش من شجاعته واعتصامه بجبل بالايمان واغضى عنه ^٢ ثم نفاه الى تراقيا .

وفي سنة ٣٦٢ قدم انطاكية لوسيفار اسقف كاجلياري (في جزيرة سردينية) الغربي ورسم القس بولينس الآنف الذكر اسقفاً لفرقة ضئيلة من الارثوذكس في انطاكية فانقسم ارثوذكسيو انطاكية الى قسمين . ومن الغريب ان القديس اثناسيوس الاسكندري الذي زار انطاكية عام

(١) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٣٩ - ١٤٠ والتاريخ الكنسي لابن العبري مج ١ والخريدة النفيسة ج ١ ص ٤٠٥ والدرر النفيسة ص ٥٣٦ .

(٢) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٣٩ - ١٤٠ والخريدة النفيسة ج ١ ص ٤٠٥ - ٤٠٦ والدرر النفيسة ص ٥٣٨

٣٦٣ ثم اساقفة الغرب وقبرس اعترفوا ببولينس ، بينما اساقفة الشرق بالاجماع لم يعرفوا لانطاكية بطريكاً سوى القديس ملاطيوس . وكان في مقدمة المحامين عن فضائله وحقه الشرعي في الكرسي الرسولي : القديس باسيليوس الكبير الذي امتنع من فتور الغربيين في السعي لاطفاء نار الشقاق مقرعاً اياهم بالغطرسة وجهل الحقائق وسمى اعترافهم ببولينس « تبديلاً في الشركة »^١ . ونقض مؤرخو الغربيين ونقادهم المتأخرون تهور ايرونيوس الراهب والكاثل اللاتيني المعروف في معاداة مار ملاطيوس سيراً مع الهوى . على ان اساقفة مصر والغرب بالرغم من موقفهم هذا في حياة ملاطيوس فانهم اقرؤا له بعد وفاته بقداسة السيرة ، وعيّد له اللاتين .

الفصل الحادي والثلاثون

عودة القديس ملاطيوس من منفاه ونفيه الثاني وعودته



لما مات قسطنس خلفه يوليانس الجاحد فردّ المنفيين ، فعاد مار ملاطيوس من ارمينية والقديس اوسابيوس السيمساطي من تراقيا ، ولبت ملاطيوس خارج المدينة (انطاكية) واوسابيوس في بيعة صغيرة في انطاكية ، اما اوزيوس الاربوسي فكان يختلف الى كنائس انطاكية كلها كقول مار ميخائيل الكبير . ولما هلك يوليانس سنة ٣٦٣ ملك يوبينيانوس الارثوذكسي

(١) رسالته ال ٢١٤ ، ورسالته ال ٢٣٩ الى اوسابيوس السيمساطي

فردّ الاساقفة الارثوذكسيين الى كراسيهم مؤيداً الايمان النيقاوي . فعاد القديس ملاطيوس الى كرسيه الانطاكي وتألم للشقاق الذي احدثه لوسيغار في ابرشيته الآمنة ، واخذ يعظ ويعلم مقاوماً الهراطقة ، وعقد مجعاً فيه رتب كل ما هو ضروري ولا سيما تأييده عبارة « المساوي في الجوهر » فاتقد الاربوسيون غيظاً وفكروا في نفيه ثانية . فلما توفي يوبينيانوس سنة ٣٦٤ وخلفه في الشرق واليس (فالنص) الاربوسي مالأهم على ذلك ، وأصدر امراً بنفيه . فلما حاول الوالي نفيه هاج الشعب وماج وأراد اختطافه عنوة . وأوشك ان يرحم الوالي لو لم يستره القديس ملاطيوس بثوبه ويهدى روع الشعب قائلاً : انه يجب عليه الخضوع للأوامر الملكية . وهكذا نفي ثانية .

ان القديس باسيليوس الكبير الذي نال من القديس ملاطيوس رسامة القسوسية سنة ٣٦٢ فالاسقفية سنة ٣٧٠ لقيصرية كبادوكية ، بعد ان قرّع داماسوس الروماني والاساقفة الغربيين كما اسلفنا : اعتمد على غيره القديس اثناسيوس الاسكندري بخصوص شقاق كنيسة انطاكية ، وكتب اليه قائلاً « إن معالجة داء هذه المدينة تتطلب منكم ، لذلك يجب ان تفرغوا حكمتكم كلها وشفقتكم الانجيلية في سبيل ذلك . لان شقاق هذه المدينة لم يحدثه الهراطقة بل اولادها المتحدون بالايمان » ٢ .

واخيراً اضطر داماسوس والاساقفة الغربيون على الاعتراف بشرعية القديس ملاطيوس على ان يكون له الشيخ بولينس شريكاً في حياته وخلفاً بعد مماته ، وذلك في مجمع عقد في رومية سنة ٣٧٨ بحضور بطرس الاسكندري .

ولما هلك واليس سنة ٣٧٨ استولى على الشرق بمشيئة الله غراطيانس الارثوذكسي قيصر الغرب ، فصدر مرسوماً بمحق بدعة اربوس من المملكة

(١) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٥٢

(٢) رسالة ٩٩

كلها ، ثم ردّ الأساقفة الذين نفاهم سلفه ظلماً . فعاد القديس ملاطيوس الى كرسيه في هذه السنة وعقد مجمعاً في انطاكية حضره ١٤٦ اسقفاً بحثوا قرار مجمع رومية الآنف الذكر . ولئن سكت الأساقفة الشرقيون آنئذ رغبة في السلام ، ولكنهم احتجوا عليه بعد سنتين في المجمع القسطنطيني الذي اعتبره مضاداً للنظام الكنسي . وتم الاتفاق بين القديس ملاطيوس والاسقف بوليس على وضع انجيل في الوسط ، فيجلس الواحد عن يمينه والآخر عن شماله ، ومن مات اولاً بطل كرسيه ^١ .

وفي سنة ٣٨١ رسم ملاطيوس الذهبي الفم شماساً لبيعة انطاكية . وفيها ترأس المجمع القسطنطيني المسكوني الثاني الذي عقده الامبراطور ثاودوسيوس الكبير . فرحب به ثاودوسيوس اجمل ترحيب قائلاً « لقد رأيت في حلمي يعقد تاجاً على رأسي » ^٢ . وفي المجمع عزل اوزيوس الاربوسي وتأيدت شرعية ملاطيوس العظيم ^٣ .

الفصل الثاني والثلاثون

مدرسة نصيبين السريانية

كانت نصيبين مدينة الحدود بين المملكتين الرومانية والفارسية . وسميت انطاكية مقدونيا^٤ نسبة الى نهر مقدونيس الذي كان يمر في وسطها .

(١) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٥٦

(٢) فيه صفحة ١٥٢

(٣) التاريخ الكنسي لابن العبري مج ١ .

(٤) التاريخ المدني السرياني لابن العبري ص ٦١

واشتهرت في التاريخ الكنسي بمدرستها السريانية الزاهرة .
كان للسريان في عصورهم الوثنية مدارس زاهرة في ما بين النهرين ،
قدفقت منها ثقافتهم الوافرة وآدابهم الزاخرة ، فتلقفتها مصر ^١ . وهكذا
كانت بلادهم مصدراً لمدنيات العالم ، ومنها انبعثت شمس الحضارات فأنارت
بلاد الشرق والغرب . وقد انبتت تلك المدارس علماء افذاذاً ، ما زال
اهل البحث والعلم يتهافتون على درس آثارهم القيمة تهافت الظمآن
على الماء القرير .

وفي تلك المدارس الزاهية تثقف احيقار وزير سنحاريب ملك آثور
(٦٨١ ق.م) فصنف كتابه الجليل الذي ينطوي على نصائح وحكم ،
والشاعر الفيلسوف « وفا » الذي عاش قبل المسيح بدهر طويل ،
والفيلسوف مارا بن سرافيون الذي كتب رسالة لتثقيف ابنه في اواسط
القرن الثاني للميلاد وهم من علماء السريان الوثنيين . وططيانس وبرديسان ^٢ وماني
الذين تنصروا في القرنين الثاني والثالث . وانك لا تجد اختلافاً بين لغة
احيقار السريانية مثلاً وبين لغة برديسان وافرھاط ومار افرام وغيرهم من
علماء السريان المسيحيين ^٣ الأمر الذي يدل دلالة واضحة على وجود صلة بين الادب
السرياني المسيحي والادب السرياني الوثني . وقد قال العلامة رينان ان
الآداب السريانية انتقلت من بابل الى ما بين النهرين في عهد برديسان .
وفي الربع الأول من القرن الرابع انشأ القديس مار يعقوب اسقف
نصيبين مدرسة سريانية عالية في نصيبين أمها الطلاب من بلاد الشرق ،
فتروضوا بالفضيلة والعلوم الدينية والآداب السريانية . اشتهرهم القديس
مار افرام السرياني .

ولد في نصيبين نحو سنة ٣٠٣ من ابوين مسيحيين ^٤ . ولما ترعرع

(١) التاريخ المدني السرياني لابن العبري ص ١٠

(٢) كتاب شرائع البلدان لبرديسان ص ١٨

(٣) تاريخ كلدو واثور للسيد أدى شير مج ٢ ص ٣٩ .

(٤) الدرر النفيسة ص ٥٢٣ والؤلؤ المنشور ص ١٩٦ .

تتلمذ لماار يعقوب النصيبيني في مدرسة نصيبين ، حيث ارتشف لبان العلوم والمعارف وتحلى بالفضائل السامية . فألبس اسكيم الرهبنة ورسم شماساً ، وأخذ يعلم في المدرسة مدة ثمان وثلاثين سنة ، يسقي الطلاب افويق التقى والعلم والأدب . وفيها نظم عشرين نشيداً من اناشيده المعروفة بالنصيبينية ، عما قامته المدينة في الحصار سنة ٣٥٠ وفي اثناء حرب الفرس عام ٣٥٩ - ٣٦٣ . وقرظ في بعضها اساقفتها : يعقوب وبابويه وولغش وابراهيم .

وفي سنة ٣٣٨ حاصر سابور الثاني ملك الفرس مدينة نصيبين لأول مرة ثلاثين يوماً ورحل عنها خائباً بدعاء اسقفها القديس يعقوب وتلميذه مار افرام . وذلك ان الله ارسل على جيشه بقاءً وهمجاً هزم فيلتهم وخیلهم ^١ . وفي سنة ٣٦٣ حاصرها سابور ثانية فسلمت اليه ، الامر الذي اضطر مار افرام ان يجلو عنها في اسانذة المدرسة وبعض اعيان المدينة ، ووجهتهم آمد فالرها .

وكان شهر آب من هذه السنة آخر عهد المدرسة بالحياة .

الفصل الثالث والثلاثون

القبصر يوليائس الجامع بظهر الكنيسة



في سنة ٣٦١ ملك الشاب يوليائس ابن اخي قسطنطين الكبير . ولد في طرطوس وتلقى الفلسفة في مدرسة مسيحية في اثينا بصحبة القديسين (١) التاريخ المدني السرياني لابن العبري ص ٦١ وتاريخ مختصر الدول له ص ١٣٧ .

باسيليوس الكبير واخيه غريغوريوس النوسي وغريغوريوس النزينزي . فلما رأى باسيليوس غروره وهوسه : صرّح بانه سيكفر بالدين المسيحي ، ونطق بالويل على المملكة الرومانية . ولما ملك عزا اعتلاءه العرش الى حظه بل الى الشياطين ^١ . ولما استتب له الامر ردّ الاساقفة المنفيين واعاد الى الكنائس املاكها المقتصة ، واطلق حرية الأديان ، عله يستميل اليه رؤساء البيعة . وبعد مدة كفر بالدين المسيحي مجاهراً بالوثنية فسمي « الجاحد » . ووفق يرمم وينشئ هياكل للأوثان ، وينقل اليها تحف الكنائس والديورة ، ويقدم الذبائح ، ويرفع الوثنيين الى أسمى المناصب غامراً إياهم بصنوف الهبات ، ممتناً المسيحيين ، طارداً إياهم من اعمال الدولة ، مستصفاً اموالهم ، مثقلاً عليهم الجزية ، محرماً عليهم المحاماة عن انفسهم لدى المحاكم ، مانعاً إياهم من الاشتغال في شيء من كتب الفلسفة والعلوم ، مستعملاً شتى الوسائل في إغراء ضعيفي الايمان على جحود الدين ^٢ . منها : إنه اعدّ مائدتين وضع على الواحدة ذهباً وعلى الأخرى لبناً (بنجوراً) وناراً ، فمن اراد الذهب بنجّر امام الوثن ^٣ . ورسم على جدران الكنائس تماثيل آلهة وثنية قبيحة ، فكتب مار افرام في احد مداريشه قائلاً « لا تصل في هيكل فيه تمثال » ^٤ . ومع انه صرّح في اول امره بانه يريد ملائمة المسيحية بدون سفك دم : فقد آل به الأمر الى سفك دماء . ذلك ان رعايا الوثنيين وثبوا على المؤمنين ورؤسائهم يمتحنونهم ، وذبحوا في غزّة وعسقلان وبعلبك

(١) التاريخ المدني السرياني لابن العبري ص ٦٢ و ٦٣ .

(٢) التاريخ المدني السرياني لابن العبري ص ٦٣ . وتاريخ مختصر الدول له ص ١٣٨ والخريدة النفيسة ج ١ ص ٤٢٥ - ٤٢٦ والدرر النفيسة ص ٥٠٥ - ٥٠٧ .

(٣) التاريخ المدني السرياني لابن العبري ص ٦٣ .

(٤) الكنوز لمار سويريوس يعقوب البرطي الباب الثاني الفصل التاسع والثلاثون .

وفي حران سجد للصنم القمر ^١ ، فسقط تاجه عن رأسه وصُرع فرسه . فقال له خادم الصنم : ان النصاري الذين معك هم جلبوا عليك هذه البلايا . فأُسقط منهم يومئذ زهاء عشرين الف رجل ^٢ . وسار حتى وافى قطيسيفون ، وقهر الفرس في معارك كثيرة دامية . وفي ٢٦ حزيران سنة ٣٦٣ كان على شاطئ دجلة يسير في صفوف جيوشه ، فأصيب بسهم فسقط عن فرسه . وبينما هو يتخبط بدمه أخذ من دمه ملء حفنته فرشه في الجو نحو السماء وقال : لقد غلبتني ايها الجليلي فرث مع ملك السماء ملك الارض ايضاً ^٣ .

الفصل الرابع والثلاثون

فشل يوليانيس الجاصر في استئناف بناء هيكل اورشليم

تنبأ السيد المسيح على خراب هيكل اورشليم على ان « لا يبقى حجر على حجر إلا تُنقض » . وقد مرّ بك ان القائد الروماني تيطس بن ومبسيانس حاصر اورشليم سنة ٧٠ م ودمرها وأحرق هيكلها العجيب . وفي سنة ١٣٦ دمر القيصر هدریان ما تبقى من ابنتها وبني مكانها مدينة اخرى رومانية دعاها « الياكابتولينا » ، واقام هيكلًا للمشتري على انقاض هيكلها ^٤ ، وظل قائماً حتى الربع الاول من القرن الرابع .

(١) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٤٤

(٢) تاريخ مختصر الدول لابن العبري ص ١٣٩

(٣) التاريخ المدني السرياني لابن العبري ص ٦٤ وتاريخ مختصر الدول له ص ١٣٩ .

(٤) هنا ص ٩٥ و ٩٦ و ١١٥ و ١١٦

ولما تبوأ يوليانس عرش المملكة ، قدم اليه اليهود ، وجاد عليهم بالمال ليستأنفوا بناء هيكلهم المقوَّض تكذيباً لنبوة المسيح . وفي سنة ٣٦٣ اجتمع منهم في اورشليم جمهور غفير ، اخذوا يشتغلون في حفر الارض رجالاً ونساء ، وكان القديس كيرلس الاورشليمي ينظر اليهم ساخراً . وبعد ان نقلوا الاتربة وحجارة الاسس القديمة كلها اتماماً لنبوة السيد المسيح القائلة « لا يترك حجر على حجر إلا نقض » ، وهمَّوا بوضع اساس جديد : حدث زلزال عنيف ملأ الحفر تراباً وبعث اذوات البناء وقتل بعضاً من العمال . فلم يعتبروا ويرجعوا عن رأيهم الفائل ، بل اعادوا الكرة لما هدا الزلزال ، فانبثقت من قلب الارض كرات نارية رشقت العمال بالحجارة التي اعدوها للأسس الجديدة ، واذابت آلات البناء . وقد تكرر الحدث كلما اعادوا الكرة حتى دهش الناس وآمن كثيرون من اليهود والامم بقوة المصلوب . وهكذا أُسدل الستار على بناء الهيكل اليهودي . وقد قصَّ هذا الخبر القديسان غريغوريوس التزينزي والذهبي الفم ، ومؤرخ وثني اسمه اميان مرقلاّن واحد مشاهير كتّاب اليهود في القرن التالي . وظهرت في كبد السماء بين الجبلجة وجبل الزيتون علامة الصليب يكتنفها نور بهي ١ .

(١) رسالة القديس كيرلس الاورشليمي الى الاساقفة في كتاب التراجم السنوية لمار ساويرا موسى

بن كيفا ، وتاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٤٦ .

الفصل الخامس والثلاثون

برسبة انطاكية نجابه اضطرهاد واليس الاربوسي



لما هلك يوليانس خلفه يوبينيانس الارثوذكسي فردّ الاساقفة المنفيين الى ابرشياتهم وأيد الايمان النيقاوي وأحسن الى الكنيسة ، واستدعى مار اثناسيوس الاسكندري الى انطاكية وأكرم مثواه . وفي سنة ٣٦٤ توفي فتولى الامبراطورية الرومانية في بلاد الغرب والنطينس الارثوذكسي الذي ولّى اخاه واليس الاربوسي في الشرق . فاضطهد الكنيسة ونفى الأساقفة الارثوذكسين وأقام بدلاً منهم اربوسيين . منهم القديس ملاطيوس الانطاكي . ولما جاء الى انطاكية ألقى بكثيرين من الارثوذكسين في نهر العاصي وطرّد المؤمنين من الكنيسة فأخذوا يعقدون اجتماعاتهم للصلاة في لحف الجبل متحملين صبارة القر وحمارة الحر . فلما بلغ ذلك القديس افرهاط الناسك الشهير غادر صومعته لمساعدة الرعاة القديسين ، فصادف واليس يطل من شرفة القصر فعرفه القيصر وقال : الى اين انت ذاهب ؟ فأجاب : لأصلي على مملكتك . فقال له : كان عليك ان تلزم صومعتك على سنة النساء . فأجاب قائلاً : « كنت افعل هذا حين كان السلام نخباً على الكنيسة ، أما الآن ولئن كنت كعروس في خدرها ، فاذا رأيت ناراً طرحت في بيت ابي يسوع لي الاستكانة أم عليّ ان استقي ماء واطفىء اللهب ؟ إني اعلم انكم قلتم هذا بالحق وسأعمله ، ولكن بما انك طرحت ناراً في بيت ابي يقتضي عليّ ان ابادر الى اطفائها اذا

استطعت الى ذلك سبيلاً . فغضب عليه الملك وخاطبه احدثهم بكلمات نابئة ، فأنزل الله به حالاً عقاباً . ذلك انه بينما كان يعدّ حماماً للقيصر جنّ وسقط في حوض ماء مغلي ومات ، فتأكد الملك ان ذلك جرى بدعاء افرهاط^١ .

وفي سنة ٣٧٢ توجه واليس الى قيصرية كبادوكية ، وانطلق الى الكنيسة في عيد الدنح بموكب حافل . وذهل من النظام العجيب وخشوع المؤمنين ومهابة القديس باسيليوس يحيط به الشامسة كالملائك . ولما تقدم الى المذبح ليقدّم هدية للكنيسة كالعادة لم يتناولها منه احد ، فارتعد جسمه وارتخت ركبتاه واوشك ان يسقط لو لم يسندّه احد الكهنة ، ثم تنازل مار باسيليوس وتناول منه الهدية . فلانت صلابته ، وعامل القديس بالحسنى^٢ ، غير ان الاربوسيين حملوه بعدئذ على نفيه . فمضى ابنه واشرف على الموت ، فسأل القديس باسيليوس ليصلي عليه ففعل شريطة ان لا يعمده الاربوسيون . فتعافى . ولما عمده اسقف اربوسي مات حالاً . فقسا قلبه وعمد على نفي القديس . فأخذ القلم ليضحي الحكم فانكسر . فبراه فانكسر ثانية وهكذا ثلاثة . فأخذته رجفة ومزق الصك^٣ .

(١) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٥٤-١٥٥ .

(٢) الخريدة النفيسة ج ١ ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .

(٣) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٥١ .

الفصل السادس والثلاثون

واليس بضطهر كنيسة الرها السريانية

في ايلول سنة ٣٧٣ توجه واليس الى الرها ونفى مطرانها القديس بوسا الى جزيرة ادروس في مصر وأقام مكانه اسقفاً اريوسياً . كان بوسا اسقفاً على حرّان قبل سنة ٣٦١ وكُرسي حرّان يومئذ الثالث بين الاسقفيات اللائذة بمطرانية الرها . وفي هذه السنة نُقل الى مطرانية الرها بأمر الملك قسطنطين الثاني . فاهتم بمدرستها السريانية اللاهوتية ، فقرظ مار افرام فضائله في مداريشه النصيبينية .

ولما نُفي ، امر القيصر مودستوس حاكم الرها ، ان يقنع اكليروسها بالخضوع لذلك الدخيل . فجمعهم وكانوا ثمانين كاهناً وشماساً برئاسة القس اولوغيوس الفاضل . ولما أبوا الانصياع الى امره معلنين تعلقهم الشديد براعيهم وبتعاليمه : نفاهم الى بلاد تراقية ثم فرّقهم اثنين اثنين في مختلف البلدان . وكان من نصيب القس اولوغيوس الآنف الذكر والقس بروتوجينيس مدينة انطينوه في صعيد مصر حيث اشتركا مع اسقفها الارثوذكسي . وإذ كان اكثر اهلها وثنيين تعلم بروتوجينيس لغة المدينة ، وافتتح مدرسة وتلمذ من الوثنيين خلقاً كثيراً ، بما منحه الله من موهبة شفاء المرضى ، وكان اولوغيوس الذي لزم الخلوة والصلاة يمنحهم سر العهاد المقدس ^١ .

(١) ثاودوريطس ٤ : ١٥ وتاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٤٩ - ١٥٠ .

أما المؤمنون فقد حاول واليس اغتصابهم على اعتناق الأريوسية والخضوع للأسقف الدخيل ، فأمر مودستوس بطردهم من الكنيسة . فطفقوا يجتمعون كل يوم في الحقول . فلما بلغ ذلك واليس : غضب على مودستوس وأتّبه بشدة إذ لم يبعثر اجتماعاتهم بالقوة . فأنذرهم ألا يجتمعوا كعادتهم . فرفضوا أمره ، وأسرعوا في فجر اليوم التالي الى حيث كانوا يجتمعون زرافات ووحدا . فأمر مودستوس الجنود بتفريق صفوفهم . وفيما الجنود يجتازون شوارع المدينة إذا بامرأة سريانية مسكينة تخرج من بيتها تاركة بابه مفتوحاً على مصراعيه ، تحمل طفلاً على يديها وتعدو مسرعة . ولما اخترقت صفوف الجنود بشجاعة عجيبة اوقفها مودستوس وقال لها : الى اين انت ذاهبة يا امرأة ؟ أجابت : الى الحقول حيث يجتمع المؤمنون للصلاة . قال : ألا تعلمين ان الملك أمر بقتل الذين يجتمعون هناك ؟ أجابت : بلى ، ولذا اسرع اليها قبل ان يفوتني إكليل الشهادة . قال : ولم تأخذين هذا الطفل معك ؟ أجابت : لكي يشترك في مجد اطفال بيت لحم . فذهل من شجاعتها واخبر واليس بذلك واقنعه بالعدول عن رأيه ١ .

وقد نظم نبي السريان قصيدة ضافية مشيرة العواطف مستحشاً الشعب الرهاوي على التمسك باهداب الايمان ، منها قوله : « تركت الرها ابوابها مفتوحة وخرجت مع راعيها (برسا) لتتردى في هوة الموت بدلاً من ان تغير إيمانها ، ولسان حالها يقول : لنزع المدينة وسورها وابنتيها ومنازلها للملك ، لتتخلّ عن الأملاك والذهب ولا نغير إيماننا » .

أما القديس برسا فقد خصّه الله في منقاه بموهبة شفاء المرضى ، فانتفع بدعائه ألوف الناس الذين بالغوا بإكرامه . فلما أنهى أمره الى واليس امر بنقله الى مدينة او كسوروكوس ومنها الى فيلو حيث نقله الله اليه في

(١) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٥١ - ١٥٢ والخريدة النفيسة ج ١ ص ٤٢٩ .

آذار سنة ٣٧٨ ، وكان سريره في جزيرة ادروس محفوفاً بالكرامة لمدة
طويلة حيث تعافى مرضى كثيرون بامتدادهم عليه ١ .

وفي سنة ٣٧٩ هلك واليس فعاد المنفيون الى وطنهم ورؤم
اولوغيوس مطراناً للرها بوضع يد القديس اوسابيوس السميساطي ، وأقيم
بروتوجينيس اسقفاً لحرّان عام ٣٨١ خلفاً لأسقفها بيطس .



(١) ثاودوريطس ٤ : ١٤ وتاريخ مار ميخائيل الكبير ض ١٤٩ .

الباب الخامس

من سنة ٣٧٩ — ٤٠٠

الفصل الأول

الكنيسة ترتع في مروج السلام



لقد عانت الارثوذكسية ، مدة ثلاثين سنة ، شدات عنيفة ، تارة من الاربوسية بأمر القيصرين قسطنس وواليس وطوراً من الوثنية بأمر يوليانس الجاحد ، فخرجت من تلك المعامع مرفوعة الجبين ، موفورة الكرامة ، ورايات النصر تحقق فوق هامتها .

ففي سنة ٣٧٦ توفي والنطينس الاول الارثوذكسي قيصر الغرب فخلفه ابنه غراطيانس . وفي سنة ٣٧٩ هلك واليس الاربوسي قيصر الشرق بحرب الغوطيين ، حرقاً في بيت مملوء تبناً ، فاعتلى عرشه القائد ثاودوسيوس الاسباني . وكان وثنياً فتنصر . وصرف همه رفيعة في توطيد دعائم الايمان القويم . وكما نصر الله بيعته على الوثنية في الربع الاول من القرن الرابع بتنصر قسطنطين الكبير الذي رتب امورها بعقده المجمع المسكوني الاول في مدينة نيقية : كذلك نصرها على الاربوسية في الربع الاخير من هذا القرن بهمة ثاودوسيوس الكبير الذي رفع شأنها وأيد

عقيدها بعقده المجمع المسكوني الثاني في مدينة القسطنطينية ، واذا كان قسطنطين قد فوجيء بمجدال كنسي عنيف حام حول الوهة السيد المسيح : فتاودوسيوس فوجيء بمثل هذا الجدل يحوم حول الوهة الروح القدس . واستأصل ثاودوسيوس شأفة الاربوسية من الشرق ، حيث كانت راسخة يعضدها قسطنس ثم واليس كما اسلفنا ، فنفذت الى الغرب حيث عضدها القيصر يوسطينة ارملة والنطينس الاول ، وقاومها القديس امبروسيوس مطران ميلان رافضا طلب يوسطينة باعطاء اريوسي ميلان كنيسة . وفي سنة ٣٨٣ قتل غراطيانس فخلفه اخوه والنطينس الثاني ، فأصدر سنة ٣٨٩ قانونا يقضي بعقاب الموت على من يعارض حرية الأريوسيين ، فأنكره امبروسيوس ، فأمره القيصر بمغادرة ميلان ولكنه فاز أخيراً . وفي هذه السنة ماتت يوسطينة ، فانهار امل الاربوسيين في الغرب .

الفصل الثاني

اسباب انعقاد المجمع المسكوني الثاني

أقلقّت راحة الكنيسة بدعّ سابلتيوس ومركلس وفوتينس ومقدونيوس وابوليناريوس واونوميوس فكانت السبب في انعقاد المجمع المسكوني الثاني . واليك اخبارها بالاختصار :

سابلتيوس : ظهر في القرن الثالث وزعم ان الله اقنوم واحد ، ظهر في العهد القديم بصفته الآب وتجسد في العهد الجديد بصفته الابن وحلّ على

الرسل بصفته الروح القدس .

مرقلس : ولد في سلخ القرن الثالث ورسم اسقفاً لأنقرة ، وحضر مجمعها الاقليمي سنة ٣١٤ وبعد المجمع النيقاوي صبر على اضطهادات الاربوسيين تمسكاً منه بدستور إيمان هذا المجمع ، وردّ على كتاب استيريوس المنطقي الاربوسي من كبادوكية ، فبدرت منه بعض عبارات خاطئة شبيهة بأراء سابليّوس ، فشجبها الاربوسيون سنة ٣٣٦ أولاً في اورشليم ثم في القسطنطينية . ثم نُفي بدهاء الاوسابين وعاد سنة ٣٤١ وحضر مجمع انطاكية الذي عقده الاربوسيون وانصافهم فعزلوه ورتبوا ضده الحرم الاول من دستور إيمان هذا المجمع ، الثالث ، وكرروا عزله في فيليبوبلي ، فبرأ ساحته مار يوليوس الروماني ومجمع سرديكا . واقام في الغرب ، وظلت ابرشيته تحت سيطرة الاربوسيين . وتوفي سنة ٣٧٢ وقد بلغ من العمر عتياً .

فوتينس : ولد في انقرة وتلمذ لمرقلس ثم رسم اسقفاً على سيرميون وفي سنة ٣٤٢ علّم من جهة سرّي التثليث والتجسد تعليماً غريباً شبيهاً بتعليم بولس السميساطي وسابليّوس ، فحرمه مجمع للارثوذكسيين في ميلان سنة ٣٤٥ . وفي سنة ٣٥٢ عقد ثلاثة من زعماء الاوسابين مجمعا في سيرميون فيه وضعوا قانوناً جديداً للإيمان خلا من عبارة « المساوي في الجوهر » ، ونُفي فوتينس . وكانت بدعة فوتينس سبباً في قطع مار اثناسيوس الاسكندري ومار ايلاربوس اسقف بواتيه شركتها عن مرقلس ، رغم محاولة هذا الشديدة البقاء في شركتها . غير ان الارثوذكسيين في انقرة تمسكوا به حتى النهاية .

مقدونيوس : اقامه الاربوسيون اسقفاً على القسطنطينية سنة ٣٤١ بعد هلاك اوسابيوس النيقوميدي المشاغب . واعاد الارثوذكسيون القديس بولس اسقف القسطنطينية الشرعي الذي كان قد نفاه الى تريف اوسابيوس

المذكور . فاقتدحت فتنة صمّاء بين الفريقين ، قُتل فيها زهاء ثلاثة آلاف نفس مع القائد هرموجينس . وفي سنة ٤٤٢ استلم مقدونيوس هذا الكرسي ونُقي بولس ثانية الى مدينة منجار - العراق . وفي سنة ٣٤٨ اضطر بتدخل قسطنس الى اعتزال كرسيه لبولس . وما عَم حتى عاد اليه سنة ٣٥٠ وانتقم من اعدائه اتباع الايمان النيقاوي . وفي سنة ٣٥٦ سبب فتنة في القسطنطينية سال فيها الدم . وذلك لما اراد نقل رفات قسطنطين الكبير من بيعة الرسل الى بيعة القديس افاقيوس . وفي سنة ٣٥٩ انقسم الاربوسيون الى متطرفين ومعتدلين ، فانضم مقدونيوس الى الآخرين ، فطرده الاولون سنة ٣٦٠ ونقلوا الى القسطنطينية اودوكسيوس الانطاكي الاربوسي ، في مجمع في القسطنطينية . فطفق ينكر ألوهة الروح القدس قائلاً إنه فعل الهي فقط وليس اقنوماً ينبثق من الآب ، بل هو خلقه الابن وخادم له .

ابوليناريوس : ولد في الاسكندرية حيث درس النحو ، ووافى الى بيروت حيث علّم المنطق ، ثم اقام في اللاذقية - سوريا . وتزوج ورزق ابناً اسماه باسمه . ثم رسمه اسقفها ثاودوطس قسماً ، وابنه قارئاً . وبعد مدة عزلها لترددهما على ابيفانيوس المنطقي الوثني ، فتأبأ ، فعفا عنها . وفي سنة ٣٣٥ توفي ثاودوطس وخلفه جرجس الاسكندري الاربوسي فحرمهما لتحزبهما للقديس اثناسيوس وللمعتقد النيقاوي . ثم رسم ابوليناريوس الصغير اسقفا وقاوم الاربوسيين . وسنة ٣٦٢ حاد عن جادة الحق وشرع يعلم ان الروح القدس اصغر من الابن والابن اصغر من الآب . وانكر وجود النفس الناطقة في المسيح زاعماً ان اللاهوت حلّ محلّها ، وانه امتزج بالناسوت واحتمل معه آلام الصلب والموت . ومات نحو سنة ٣٩٠ .

اونوميوس : ولد في دكورا - كبادوكية في اوائل القرن الرابع ،

ودخل مدرسة انطاكية وقرأ على الشماس أليتيوس الاريوسي ثم خدم
اودوكسيوس الانطاكي الاريوسي الذي رسمه شماساً ، ثم سُقِّفَ بأشارته
على قوزيقوس سنة ٣٦٠ فقاومه اهلها ، فاضطر اودوكسيوس بأمر
قسطنط الى عزله . وفي عهد يوليانس الجاحد ويوبينيانس اقام في
القسطنطينية وخلقيدون ومنها نفاه واليس الى موريتانيا وأعيد سنة ٣٨٣
قبل وصوله اليها . ثم نفاه ثاودوسيوس الاول الى هلميريس - ميسيا ،
ثم جاء الى خلقيدون وقيصرية كبادوكية فطرده منها المؤمنون إذ كتب
ضد مطرانهم مار باسيلئوس . وصرف ايامه الاخيرة في دكورا حيث
مات في حدود سنة ٣٩٤ . انكر « المساوي في الجوهر » و « الشبيه
بالجوهر » ، وبدل اسم الله بغير المولود وقال : « اذا كان الابن مولوداً
فليس اذن لها » . واستعمل المنطق في تأييد ارائه ضد سر التثليث .
وقال : ان المعمودية يجب ان تعطى بغطسة واحدة ، ولا يجب ان يعمد
باسم الثالوث ، لكن بموت ربنا يسوع المسيح . وقد اعادت الكنيسة
عماد اتباعه .

الفصل الثالث

القيصر ثاودوسيوس الكبير يعقد المجمع المسكوني الثاني في القسطنطينية سنة ٣٨١



رأى ثاودوسيوس ان يعقد مجعاً مسكونياً في مدينة القسطنطينية
لحق البدع المذكورة وتأييد دستور الايمان النيقاوي ولوضع
حداً حاسماً لشقائي كنيسة انطاكية والقسطنطينية

فكتب الى الاساقفة لحضور الجمع^١ العتيد ان يُعقد في ايار سنة ٣٨١ .
فوافى الى القسطنطينية مئة وخمسون اسقفاً ارثوذكسياً من سوريا وفينيقية
وفلسطين وما بين النهرين وآسيا الصغرى ومصر وغيرها اشهرهم القديس
ملاطيوس الانطاكي يصحبه سبعون اسقفاً ، وطيمثاوس الاسكندري
وغريغوريوس النزينزي وكيرلس الاورشليمي وغريغوريوس النوسي . ولم
يحضر الجمع احد من الاساقفة الغربيين ، ذلك ان داماسوس الروماني
والقديس امبروسيسيوس اسقف ميلان أصراً على عقد مجمع في الغرب^٢ في
الوقت نفسه وللغاية نفسها .

وترأس الجمع القديس ملاطيوس الانطاكي الذي بالغ القيصر في اكرامه
كما مر بك . وجاء الى القسطنطينية اولوسيوس الشيخ اسقف قوزيقوس
يصحبه ستة وثلاثون اسقفاً من آسيا الغربية من المائلين الى بدعة انصاف
الاريسية والمقدونية . فتباحث معهم آباء الجمع ولما لم يرجعوا عن غيرهم
جانبوهم^٣ .

ثم وافت الى آباء الجمع القسطنطيني رسالة جمعية من الاساقفة
الغربيين المجتمعين في رومية فيها يدعونهم الى الانضمام الى مجمعهم ليكون
شاملاً . فرفضوا دعوتهم برسالة جمعية حملوها اسقفين من سيرياك هما
اوسابيوس وبريسليان ، اللذان اوفدوهما اليهم ليبسطا امامهم بالنيابة عنهم
غايتهم الشريفة وغيرتهم نحو الايمان القويم وما قاسوه وحدهم في الزمان
الماضي من صنوف النوائب وضروب الاضطهادات والمصائب من قبل
الهرطقة والقياصرة الذين عاملوهم بقسوة لا نطاق ، فصبروا على كل شيء
اعتصاماً بالايمان النيقاوي الذي يجب ان يعتصموا به هم ايضاً . وبما ان

(١) سقراط ٥ : ٨ وسوزمينس ٧ : ٧ وثاودوريطس ٥ : ٩ ومار ميخائيل الكبير

ص ١٥٦ ومجموعة المجامع للأب لاييه اليسوعي مج ٣ ص ٥٨٥

(٢) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٥٧

(٣) الدرر النفيسة ص ٥٣٤

كنائسهم قد خرجت حديثاً من الزوبعة العظيمة التي صدمتها : فهي بحاجة ماسة الى وجودهم فيها ، وقد كان من الواجب ان يوافواهم الى القسطنطينية لان ذلك في طاقتهم . ويحتمونها بقولهم : « هذه الاقوال موجهة الى الاخوين الشريكين الفائقي الاعتبار داماسوس وامبروسيوس وجميع الاساقفة القديسين المجتمعين في مدينة رومة العظيمة من مجمع الاساقفة الارثوذكسيين المقدس المجتمعين في مدينة قسطنطين العظيمة »^١ . وقصارى القول فقد كان المجمع القسطنطيني شرقياً ولم يكن للغربيين فيه نصيب .

الفصل الرابع

اعمال مجمع القسطنطينية

لما اكتمل عقد المجمع : بحث الآباء اولاً البدع التي شغلت بال الكنيسة ردحاً من الزمن كما مر بك ، فحرموا اصحابها مثبتين قوانين مجمع نيقية ومقرراته ودستور إيمانه . وقد اعلنوا ذلك في قانونهم الاول وهذا نصه : « لا يحقر احد إيمان وقوانين الآباء الثلاثة والثمانية عشر الذين اجتمعوا في نيقية عاصمة بيشينية ، بل ليبقى ذلك الايمان ثابتاً ، ولتحرم جميع البدع ولا سيما بدع الأونوميين والآريوسيين أي الأودوكسيين ، وانصاف الآريوسيين اعني مخاصمي الروح ، والسابليين والمركليين والفوتيئين والأبوليناريين^٢ . ثم رتبوا الجزء الثاني من دستور الايمان المتضمن خمس

(١) ثاودوريطس ٥ : ٩

(٢) مجموعة قوانين المجمع لما يعقوب الرهاوي

قضايا ، تختص أولاها بألوهة الروح القدس وهي « ونؤمن بالروح القدس الرب المحي الكل المنبثق من الآب الذي هو مع الآب والابن يُسجد له ويُعبد »^١ الخ . وقد اخبرنا القديس غريغوريوس النوسي احد آباء هذا المجمع في كتابه ضد أونوميوس ، ان الآباء اعتمدوا بذلك على سلطانهم الكنسي الرسولي المشترك ، وعلى شهادات كنائسهم الخاصة التي تسلمت الايمان من الرسل مباشرة وحافظت عليه كوديعة مقدسة .

ثم بحثوا شقاق كنيسة انطاكية ، فأيدوا القديس ملاطيوس بطريركاً على كرسيها الرسولي ، ووضعوا القانون الثاني منعاً لتدخل الاساقفة في ابرشيات غيرهم إن لم يدعوا ، تحدياً للوسيفار اسقف كاجلياري الذي أحدث شقاقاً بين ارثوذكسي انطاكية سنة ٣٦٢ كما علمت ، وهذا نصه : « لا يتعدى الاساقفة حدودهم لأجل الادارة ، ولا يشوشوا الكنائس ، بل وفقاً للقوانين ، لأسقف الاسكندرية ان يسوس الذين في بلاد مصر فقط ، ولأساقفة الشرق ان يدبروا الشرق فقط مع المحافظة على التقدم الذي نصت عنه القوانين لكنيسة الانطاكيين ... فلا يتعدى الاساقفة حدود ابرشياتهم لاقامة الرسامات ومعاونة امور اخرى بيعية من دون ان يدعوا وفقاً للقانون الذي سنّ لادارة الأبرشيات ويقضي بان ينظر في امور كل ولاية مجمع تلك الولاية نفسها ، كما حدد المجمع النيقاوي »^٢ .

ثم بحثوا شقاق بيعة القسطنطينية فرتبوا اولاً اسقفها ثانياً بعد اسقف رومة ، مرجحين الكفة السياسية ، كما ورد في القانون الثالث وهذا نصه : « يجب ان يكون لأسقف القسطنطينية شرف التقدم بعد اسقف رومية لأنها رومية الجديدة »^٣ . ثم عزلوا اسقفها الدخيل مكسيموس القونيني (السينيكي) إذ كانت رسامته من مار بطرس الاسكندري لا من اساقفة

(١) مختصر المختصر في تواريخ الكنيسة لافليميس يوسف داود ص ١٣٢

(٢ و ٣) مجموعة قوانين المجمع لمار يعقوب الرهاوي .

مقاطعة القسطنطينية كما تنص القوانين البيعية ، وأذاعوا ذلك بالقانون الرابع وعنوانه « رسامة مكسيموس غير الشرعية » وهذا نصه : « اما من جهة مكسيموس القونيني ... فقد قرر الجمع انه لم ولن يكون اسقفاً ، ولا يجب قبول الذين نالوا منه الرسامة في أية رتبة إكليريكية كانت . فكل ما جرى له ومنه يُعدّ باطلاً »^١ . ثم احتفلوا بتجليس مار غريغوريوس النزينزي على سدتها لحسن جهاده في كنيستها .

وقبل ان ينهي الجمع اعماله توفي القديس ملاطيوس الانطاكي ، فتولى رئاسة الجمع بعده القديس غريغوريوس النزينزي . فرفع إكليروس انطاكية الى الجمع معروضاً فيه يعلنون رفضهم لبولينس الشيخ وانتخابهم بالاجماع القس فلابيانس . فارتأى غريغوريوس النزينزي الاتفاق مع بولينس ، فضايقه الأساقفة الشبان وسكت الشيوخ^٢ ، ثم وافق الجمع على انتخاب فلابيانس وأعلن شرعية جلوسه على الكرسي الانطاكي ، رافضاً ما كان قد قرره مجمع رومية برئاسة داماسوس بان يكون بولينس شريكاً للملاطيوس في حياته ويخلفه وحده بعد مماته . ثم أبلغ ذلك داماسوس برسالة جاء فيها « انه بالنظر الى كنيسة انطاكية ان اساقفة المقاطعة والأبرشية الشرقية كرسوا قانونيا الجزيل الوغار فلابيانس باجماع عام واتفاق كل اعضاء هذه الكنيسة . وقد صادق كل الجمع على هذه الرسامة بما انها شرعية »^٣ .

وفي هذه الاثناء وصل الى القسطنطينية طيمثاوس الاسكندري واخوليوس مطران تسالونيكي وكانا من حزب بولينس ، فاعترضا على نقل غريغوريوس النزينزي الى القسطنطينية . فاستاء غريغوريوس من ذلك واستقال فوراً ورُسِم مكانه نكتاريوس الذي ترأس الجمع وختم اعماله .

(١) مجموعة قوانين الجامع لمار يعقوب الرهاوي .

(٢) الدرر النفيسة ص ٥٣٤ .

(٣) ثاودوريطس ٥ : ٩ والخريدة النفيسة ج ١ ص ٣٩٢ نقلاً عن كيرلس مقار .

واعترف المجمع باسقفية القديس كيرلس الاورشليمي اذ رسم قانونياً بواسطة اساقفة مقاطعة اورشليم^١ .
وبعد ان انهى المجمع اعماله كتب الى ثاودوسيوس ان يتنازل الى تثبيت حكم المجمع بتوقيعه لكي كما أولى الكنيسة نعمة بهذا المجمع بمنشورات دعوته اليه : يشرفه بختم احكامه بخط التثبيت^٢ . فثبت ثاودوسيوس احكام المجمع فوراً^٣ واذاعها بناء على طلب آباءه على الكنيسة كلها التي اعتبرتها مسكونية .

الفصل الخامس

تأبين غريغوريوس النوسي القديس ملاطيوس الانطاكي

في بهرة المجمع القسطنطيني نقل الله اليه القديس ملاطيوس الانطاكي فبكاه القيصر والاساقفة بدموع سخينة وساد الوجوم وجوههم واحتفلوا بتشييعه . وكان المؤمنون يتزاحمون للتبرك به . وانبرى الى تأبينه القديسان امفيلوخيس اسقف قونية وغريغوريوس النوسي . ثم امر القيصر بحمله الى انطاكية والاحتفاء به في سائر البلاد التي يجتازها موكبه . حتى اذا وصل الى انطاكية اودع الكنيسة الى جانب ضريح القديس بابولا الانطاكي .
واليك تأبين القديس غريغوريوس النوسي الذي فاه به في بهرة المجمع ،

(١) رسالة المجمع الى داماسوس الروماني في ثاودوريطس ٥ : ٩

(٢) مجموعة لاييه مج ٣ ص ٥٨٥

(٣) سقراط ٥ : ٨

(٤) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٥٧

منقولاً عن السريانية ١ :

لقد زاد لنا عددَ الرسل هذا الرسول الجديد ، هذا الذي أُدمج مع
الحواريين . لقد جذب اليهم : القديسون ندهم ، البواسلُ هذا
الباسلُ ، المتوَجِّون هذا المتوَجِّجُ ، النقيةُ قلوبهم النقيةُ نفسه ، وخدامُ
الكلمة المبشرُ بالكلمة . اجل ان أبانا لسعيد في رحاب المظالِّ السماوية
وبالانطلاق الى المسيح . اما نحن فتعساء ، لان غباوة التيتِّم لا تفسح لنا
في تطويب ميوات ابينا ، الصالح . اما هو فخير له ان ينطلق ليكون
مع المسيح ، واما نحن فيعزُّ علينا الانفصال عن رئاسته الأبوية .

إنها لساعة المشورة ، والمشير صامت . دارت بنا رحي الحرب ،
حرب الهراطقة ، والقائد مفقود . أجهد الداء جسم الكنيسة كله ، ولا
نجد له آسياً ! هل قدَّرتُم الأحوال التي نحن فيها ؟ كنت أودَّ لو أمكن
ان اشدَّد ضعفي ، وأرتفع مع فداحة الخطب ، فأرسل صرخة توازي
الكارثة ، كما فعل هؤلاء الكهنة في رثائهم لمصيبة ابينا بصوت عظيم .
كيف أضطرُّ لساني على حبك الكلام ، وقد قيَّده الطامة كالسلسلة ؟
كيف أفتح في وقد أطبقته الدهشة ؟ كيف ألفظ زفرات الألم والنواح
وقد جنح (الفم) عن عادته ؟ كيف أحدِّق بعين النفس ، وانا مغلف
بملك الاهوال ؟ . ليت من يبدد عني هذه السحابة الدكناء وظلام
البلية ، فيعود يشرق شعاع الامن المنير وهاجاً . انى يتلأأ الشعاع ،
وقد طمس كوكبنا ؟ يا للدهية العمياء ! المشرق لا يتحمل دراريه ! .
اين كلامنا اليوم من حديثنا بالامس ؟ انها متناقضان . آنذاك رثنا
اهازيج الافراح ، اما الآن فاننا ننتهد على الكارثة مغمورين بالاتراح .
حينذاك هتفنا في العرس ، والآن ننوح على الجنازة .
إنكم لذاكرون كيف لذناكم بالعرس الروحاني ، عندما كنا نرف

اليكم الحُثن الصالح والعروس ، مقدمين هدايا خطبنا على ما في طوقنا .
وقد كنا نفرح ونفرح . اما الآن فقد استحالت افراحنا اتراحاً ،
وصارت بزة الابتهاج مسحاً . وربما كان الصمت أجدي ، فنقيّد الألم
من الداخل صامتين لئلا نعكر على بني العرس ، إذ ليس علينا رداء
العرس الجميل ، لكن لنا الحديث حداداً ، لان العريس المبجل قد ارتفع
عنا ، وللوقت ارتدنا السواد حزناً . وليس لنا تنويق الخطاب كالعادة ،
لان الحسد قد سلبنا بردتنا الزاهية . لقد جنناكم ونحن مفعمون خيرات ،
وها نحن اولاء نعود من لديكم عراة معوزين . كان سراجنا محكما فوق
هامنا ، يسكب النور دهقا ، فحملناه الآن مطفاً ، لان للأله قد آص دخانا
ورماداً . كان لنا الذخيرة العظمى في إناء خزفي ، بيد ان الذخيرة قد فقدت
اما الاناء الخزفي فانه يُدفع الى مانحيه خاوياً . فماذا سيقول المرسلون ؟ وبما
يجيب المسؤولون ؟ يا للصدمة (النوء) السوداء ! فقد عصفت برجائنا ونحن في
قلب الميناء راسون ! كيف غرقت السفينة المثقلة بالربوات ، التي كانت
تجعلنا من ذوي الثراء ، وبغرق حملتها خلستنا عراة ؟ اين شراعنا المجيد ،
الذي كان يسير دائماً بهدي الروح القدس ؟ اين بهاء نفوسنا وسكّانها ،
الذي بواسطته كنا نخوض تيارات الهراطقة غير هيّابين ؟ اين ثبات
العقيدة ، الذي كنا نفزع اليه بكل حذر واثقين ؟ اين النوتي الحكيم ،
الذي كان يقود السفينة نحو الهدف الأسمى ؟ فهل ان الحوادث التي ألمّت بنا
ليست خطيرة ؟ وهل اننا نحزن جزافاً ؟ ام بالأحرى لسنا للخطب كفؤين وإن
أسهبت في الحديث ؟

استدرّوا ايها الاخوة ، استدرّوا دموع الألم . لقد شاركناكم في
بهجتكم عندما كنتم فرحين فردّوا علينا هذه المقايضة النحساء . (قال
الرسول) « إفرحوا مع الفرحين » ، لقد فعلنا نحن ذلك . « إبكوا
مع الباكين » ١ فأتّموا انتم ايضاً هذا . لقد بكى يوماً الشعب الغريب

يعقوبَ أبا الآباء ، وخصّوا بهم الحادثة الغريبة ، عندما ارتحلوا من مصر التي كانوا منها ، وكانوا يندبون رزيتهم بين جمهور في ارض غريبة ، مواصلين العويل عليه ثلاثين يوماً وليلة بدون انقطاع ^١ . فتشبهوا انتم بهؤلاء الأعاجم . فقد كان البكاء عاماً فيهم آنذاك ، الاهل والغرباء ^٢ . فليكن الآن إذاً عاماً ، لان المحنة ايضاً عامة . أترون هؤلاء الرؤساء ؟ انهم جميعاً بنو يعقوبنا ، وكلهم حر ، لا عبد فيهم ولا دخيل ، إذ ليس من اللياقة ان يدخل جنس العبيد على جنس الايمان الرفيع ، فهو ابوكم ايضاً ، اجل انه ابوكم . وقد سمعتم عن افرايم ومنسى ماذا قصّا عن الاب وكم أفاضوا في الحديث . كما تفوق العجائب الوصف . فاسمعوا لي انا ايضاً ان أقول شيئاً عن هذه ، لا سيما واننا لسنا الآن في خطر ^٣ إذا ما طوبّناه . أجل لست بعد من الحسد خائفاً ، وهل يستطيع ان يرزئني بأفدح من هذه الضربة ؟! فافقهوا إذن ايّ رجل هذا : جليل من مشارق الشمس ^٤ ، صديق بلا لوم ، تقي الله ، متنكب عن كل أمر رديء . فلا يغارنّ ايوب العظيم ، اذا كان قريبه يجلس بالشهادات التي وردت في الكتاب عنه . فان الحسد الذي يرى كل ما هو حسن : نظر الى خيرنا بعين شرراء . وذلك المتجول في كل المعمور ^٥ ، ارسل خطوة الالم الواسعة على امورنا الحميدة ، لا ليقتني قطعان الثيران والغنم ^٦ ، اللهم اذا فسرّنا الرعية بالكنيسة . لكن الحسد لم يلحق بنا مثل هذه الاضرار ، ولا بالأتن والجمال ، ولا بالقروح التي تحرق الحواس ^٧ : بل سلبنا هامتنا ،

(١) راجع تك ٥٠ .

(٢) اي العبرانيون والمصريون .

(٣) يعني خطر الاربوسية التي اضطهدت الكنيسة .

(٤) يعني كرسي انطاكية الذي يرأس الشرق كله .

(٥) الشيطان اي ٧: ١

(٦) اي ١ : ١٤

(٧) اي ٧ : ٢

ومع الهامة رحلت الحواس الشريفة ايضاً . لقد أغمضت تلك العين التي كانت ترى السماويات ، وصُمّت تلك الاذن التي كانت تصغي الى الصوت الالهي ، وأخرس ذلك اللسان ، إناء الحق ، الطاهر المقدس . اين هدوء العينين ، الحلو ؟ اين سكون الشفتين الباسميتين الجميل ؟ اين تلك اليمين سائلة السلام ، التي تحرك الشفتين ببركة الفم ؟

يطيب لي ان أذيع الخطب في حضرة الشعب . انني مشفق عليك ايها الكنيسة ، إليك أوجه كلامي يا مدينة انطيوخس . أنتهد عليك لهذا التبدل السريع . كيف ابتزّ جمالك من حلاك ؟ كيف صوّحت زهرتك فجأة ؟ حقاً « ييبس العشب ويسقط الزهر »^١ ما هذا الحسد المقيت الذي تراكم ضد الكنيسة ؟ اي أمور (جليلة) بدّل بأمر (وضيفة) !! لقد نضب المعين ، جفّ النهر ، بل وقد ارتدت المياه دماءً ! آه من البشرى السيئة التي تبشّر الكنيسة بالبأساء ! من يخبر الابناء الذين تيتّموا ؟ من يبشّر العروس الأيم ؟ أف من الشر ماذا اعطى وماذا اخذ ! لقد اعطى نعشاً ، وأخذ تابوت العهد . اجل ايها الاخوة ، لقد كان هذا الرجل : تابوت العهد ، تابوتاً ضمّ الاسرار الالهية . كان ذلك التابوت^٢ (في العهد القديم) يحوي قسط الذهب المملوء منساً مغدياً ، وهذا : نفساً ذهبية مملوءة قوتاً سماوياً . ذلك لوحى الشهادة ، وهذا : لوحى القلب المحبّرتين بروح الله الحي ، لا بالمداد ، لانه ما من شيء مظلم او قاتم كان يدنس القلب السليم . ذلك التابوت : عصا الكهنوت الذي تلاًل على يدي هذا المغبوط . واذا سمعنا بان ذلك التابوت كان يحوي أموراً اخرى ، فجميعها كانت مختزنة في نفسه (نفس هذا الخبر العظيم) .

لكن ليصمت اللسان عن هذه الامور . اما المناديل النقية والاقمشة

(١) اش ٧:٤٠ و ١ بط ٢٤:١

(٢) عب ٩ : ٤

الحريرية ، مع الميرون والطيوب العباقة ، وهبة المرأة المزيينة بالعفاف :
فلنتكلم عنها نظير غيرها ، لكي تكون شهادة ما فعلت في الكاهن
(اي الخبر المترجم) بسخاء ، عندما صبت قارورة الميرون على
هامة الكاهن . لكن من هو الذي ينجو بهذه الامور ؟ هل العظام الميتة ؟
فقد كانت قبل الموت ايضا تلهج بالموت ، ذكر رزية الضيقات . او اي
صوت ايضا يُسمع في الرامة ؟ راحيل لا تندب بنيتها بل بعلمها ، ولن تقبل
تعزية . كفوا ايها المعزون كفوا ! لا تضطروها على الغزاء . فلتندب
الأيام كثيراً لتشعر بالحسرة التي فجعت بها . مع انها تنو بتبصر ، لانها
استيقظت على معارك المجاهد الباسل ، لكي تبصر على الترميل . إنكم
لتذكرون الخطبة الاولى كيف سردت لكم جهادات الرجل ، فانه في
كل شيء كان يكرم الثالث الأقدس . وقد حصل على كرامة بعدد
مبارزاته . ذلك انه نزل الى حومة الوغى ثلاثاً^١ . سمعتم سلسلة جهوده ،
وعن مكانته في المتقدمين ، ومنزلته في المتوسطين وقدره في المتأخرين ،
الامر الذي اعتبره ابتداءً إذا كررته ، وقد ذكر بلياقة . لكنني اتناول
امثال هذه فقط ، ولعله وقتها .

منذ بادىء الامر عندما وقع نظر الكنيسة العفيفة على هذا الرجل ،
رأت محيياً مطبوعاً حقاً على صورة الله . رأت فيه حباً متدفقاً ، شاهدت
النعمة تفيض على شفتيه ، عاينت الغاية ، قمة تواضع الضمير ، ليس بعده
تواضع . رأت داود في تواضعه ، سليمان في ذكائه ، موسى في حلمه ،
صموئيل في ثباته ، يوسف في عفته ، دانيال في حكمته ، ايليا العظيم في
غيرة إيمانه ، يوحنا الكبير في عدم بلاء جسده . عندما عاينت (الكنيسة)
انسكاب امثال هذه الخيرات في نفس واحدة (اي في نفسه) : هامت
بمحبة السعيدة ، وقد احبت غريسها بالنقاوة والعفاف النبيل . بيد انها

(١) يعني نفيه ثلاث مرات كما مر بك

قبل ان تنال مشتهاها ، وقبل ان تتمم محبتها ، بينما كانت تضطرم هياماً : هجرته وحيدة ، إذ كانوا يهيبون بالباسل الى مقارعة الخطوب . فكان العريس يناضل عن الحق بعرق جبينه . اما العروس فكانت محتسبة تحافظ على عفاف القران . وكان ردحاً مديداً ، فسوّلت لعاهر^١ نفسه ان يمد يديه الى الحدر غير المدنس . لكن العروس لم تتغضن . ثم عاد (من المنفى) ثم (نفى) ثانية فثالثة ، حتى قهر الرب ظلام الضلال . ولما ألقى شعاع السلام : سمح بان ينال قسطاً من الراحة لقاء اتعابه الطويلة . فعندما تقابلا (العروسان) : عادا الى ريعان الشباب ، وتمتعا بالبهجة والنعيم الروحي ، وعادت المحبة فاضطربت . وإذا بهذا الانفصال الاخير يقطع على حين غرة ذلك النعيم .

لقد جاء لكي يزينكم بجلل العرس ، ولم ينثن عن الاجتهاد . فعقد للقران النبيل تاجاً وبركات ، محاكياً سيده . فكما صنع سيدنا في قانا الجليل ، هكذا فعل شبيه سيدنا ههنا . فان الأجاجين اليهودية التي كانت متروعة مياهاً هرطوقية : قد ردّها طافحة خمرة فاخرة . أجل وأحال الطبيعة بقوة الايمان . كم نصب فيكم اجانة اليقظة ، اذ كان يسقيكم النعمة مدراراً ، بواسطة الفاظه العذبة ؟ كم وكم مدّ امامكم سماط العلم العديدة اطايبه . وبكونه رئيساً كان يبارك ، اما اولئك التلاميذ الفضلاء فقد كانوا يخدمون الجموع ، وهم يبسطون الكلمة ، ونحن كنا نلتذّ ناسبين الينا مجد ابن جنسنا .

ما أجمل الحديث الى هنا . اغبط بنا لو كان ههنا مسك الختام . لكن ماذا بعد هذا ؟ لقد قال ارميا « ادعوا النائحات » . فانه لا مندوحة للتنفيس عن الفؤاد الغارق في الاشجان ، سوى ان يخفف غليان الاضطراب بالعبوات والحسرات . انذاك كان يعزي بالانفصال رجاء

(١) هو اوزيوس الاربوسي الذي اقامه الارويسيون على الكرسي الانطاكي بعد نفى ملاطيوس

العودة . أما الآن وقد انفصل عنا الانفصال الاخير ، فإن بينه وبين الكنيسة هوة عظيمة . هو يرتفع في احضان ابراهيم ، وليس من يحمل نقطة الماء ليبرد ألسنة النائحين . رحل ذلك الجمال ، أخرج ذلك الصوت ، أطبقت الشفتان ، والنعمة فارقت . كان الميراث الصالح رواية .
لقد أحزن ايليا يوماً شعب اسرائيل حين ارتفع من الارض الى الله . لكن الشجع عزى الانفصال اذ كان يرقل برداء المعلم . اما الآن فالجرح دونه الشفاء ، لان ايليا ايضاً قد سعد ، واليشع كذلك لم يُترك .
سمعت إرميا يرثي مدينة اورشليم الخربة بعبارات محزنة شجيّة منها قوله : « طرقت صهيون نائحة »^١ . لقد قبلت هذه الالفاظ آنذاك ، بيد انها تمت الآن . عندما نذيع خبر البلية ، فحينئذ تملأ الطرق من النائحين ، ويسكب ذوو النهى منهم نفوسهم ، يحاكين صرخات اهل نينوى في هذه المصيبة . ولعلمهم ينوحون ايضاً اكثر من اولئك ، متألمين . اولئك فرط عويلهم رعبهم ، أما هؤلاء فلا يُرجي لهم تبديل شيء من هذا العويل .

انني اعرف ايضاً عبارة اخرى لارميا ، مدونة في سفر المزامير ، وقد عقدها على سبي اسرائيل عندما كانوا يجلسون على أنهار البابليين ، يكون ذكريات أجدادهم . يقول النص : « على الصفصاف علّقنا أعوادنا »^٢ أي انهم أخرجوا أصواتهم وأعوادهم . أما الآن فاني أعتبر هذه القطعة مقطوعي . فاذا ما لاحظت البلبال الهرطوقي ، فبابل هي البلبال . واذا تدبرت الكوارث الناتجة عن البلبال فهي ما عبّرت عنها بالانهار البابلية ، التي نحن جالسون عليها نبكي ، إذ ليس لنا من يعبرنا بها . ولئن قلت بشأن الصفصاف والاعواد المعلقة عليها ، فهذا المثل ايضاً هو لي . بالحقيقة

(١) مرا ١ : ٤

(٢) مز ١٣٧ : ٢ .

ان العالم صفصافة . والصفصاف شجر بلا ثمر . وبما ان ثمرتنا ^١ الحلوة قد
جنحت عن الحياة : صرنا صفصافاً بلا ثمر ، فعلّقنا على الحشبة اعواد
المحبة صامته هادئة . « إن نسيّتك يا اورشليم تنسني يميني » ^٢ . اذنوا لي
ايضاً ان أُحور هذا النص قليلاً . لسنا نحن الذين نسينا يميننا ، لكن يميننا
أُغفلت . وعندما التصق اللسان بالحنك ^٣ ، سد مخارج الصوت ، لكي
لا نسمع بعد تلك النعمة الرخيمة .

انني اشعر بأني لا اتكلم كراثٍ ، بل انوح على هذه النازلة النزلاء
فوق ما تنوح النساء . لم يرحل العريس من بيننا . انه منتصب في
وسطنا ، وإن كنا لا نشاهده . ان الكاهن في قدس الاقداس ، داخل
الحجاب حيث سبق المسيح فدخل لاجلنا . وإطرح حجاب الجسد . ولن
يخدم بعد الامور السماوية بالرمز والظل ، إنما يحدّق بصورة الحقيقة . لن
ينظر بعد الى الله بالمرآة واللغز ، بل يكشفه وجها لوجه . انه يسأل الله
لاجلنا ولاجل امور العالم المجهولة . لقد خلع عنه قمصان الجلد (تك ٣: ٢١)
التي لا يحتاج اليها الذين في الفردوس يجوسون . لان له ثيابا نسيجها لنفسه
من السيرة النقية . « عزيز في عيني الرب موت اتقيائه » ^٤ ، عفواً ، ليس
موتا ، إنما انحلال القيود كقوله : « حلت قيودي » . لقد أطلق شمعون ^٥ ،
أعتق من قيود الجسد ، حطّم الفخ اي العالم الهيولي (المادي) .
اجتاز ، ليس البحر الاحمر ، إنما يمّ هذا العالم المظلم القاتم . دخل ارض
الميعاد ، وها هو يخاطب الله ، فلسفيا من فوق الجبل . خلع حذاء
النفس ^٦ ، لكي يعترف في الارض المقدسة بتيقن الضمير النقي ، حيث

(١) يعني البطريرك الراحل

(٢) مز ١٣٧: ٥

(٣) مز ١٣٧: ٦

(٤) مز ١١٦: ١٥

(٥) لو ٢٩: ٢

(٦) يعني الجسد

يُعَايِنُ الله . فما دام لنا هذا العزاء ايها الاخوة ، انتم الذين ستنقلون
عظام يوسف الى موطن البركة ، فاسمعوا بولس واعظا « لا تحزنوا كسائر
الناس الذين لا رجاء لهم »^١ . قولوا للشعب هناك ، اذيعوا القصة الثمينة .
انشروا المعجزة الفائقة العقول . اعني كيف ازدحمت ربوات البشر فوق البحر
وتحملوا الضغط حوالى الجثمان حتى ظهورا وقت التشييع كأمواء الغمر . وكيف
ان داود الجميل (سفر المزامير) قسم ذاته بانواع وطرق مختلفة ، بين ربوات الفرق
محتفياً بالجثمان بواسطة موحّدي اللسان ومتباينيه . وكيف تدفقت أنهار نار من
كل فجّ بازدهام المصابيح ، التي ظهرت كأنها سفينة في مياه جارية ابدآ ،
بمّدة الى ما لا تستطيع العين رؤيته . حدثوا جميعكم عن احتفاء الشعب
برصيف الرسل ، حتى ان المناديل التي على جسمه كانت تحطف لحفظ
المؤمنين . ولنضيف الى هذه القصة كيف ان الملك مشدوه بالرزية
ومنتصب عن عرشه ، وكيف ان المدينة بومتها تخرج لتشييع هذا
القديس . عزّوا بعضكم بعضاً بهذا الكلام .

ان سليمان يشفي هذه الكآبة شفاءً حسناً . ذلك انه أوصى بان تعطى
الحجرة المفجوعين . لكم اقول هذا ايها الكرمّامون . أعطوا خمركم للمحزونين .
لا للسكارى ، انما لمن يبهج قلبه بمزيجها المنعش . واقبلوا الحجرة في كوؤوس
الكلام بمعزل عن الحسد ، لكي يرتد ايضاً غمُّنا سروراً ، بيسوع المسيح
ربنا ، الذي له الحمد الى ابد الآبدين آمين .

الفصل السادس

بعض شهداء بلاد الآراميين



اليك بعض الشهداء الكثيرين الذين تكللوا في بلاد الآراميين بأمر سابور ملك الفرس وبعض الولاة والحكام الفارسيين :

١ - مار آباي : كان ناسكاً نصر مهبوشابور بن اذورفروزجرد نسيب الملك الفارسي واسماه باسمه آباي . فلما بلغ ذلك اباه قتل مار آباي وعدداً وافراً من الرهبان ، كما قتل ابنه ايضاً ، وذلك نحو سنة ٣٦٥ . وبعد مدة لمست النعمة الالهية قلبه وزوجته ، فبنى ديراً كبيراً باسم مار آباي شمالي قلث (من اعمال ماردين) ، وبنت زوجته الدير الابيض في مدينة دارا .

٢ - مار بهنام : هو ابن سنحريب حاكم اثور ومركزه مدينة نمرود الواقعة على خفة دجلة اليسرى . ولد وثنياً وفي الربع الاخير من القرن الرابع اهتدى واخته سارة واربعين فارساً على يد مار متى الناسك على اثر اعجوبة اجتوحها القديس متى في سارة حيث طهرها من برصها بعد ان عمدها . ولم تزل العين التي تفجرت بصلاته لعمادها وعمادهم معروفة « بعين سارة » ثم استشهدوا جميعاً بأمر سنحريب لاعتصامهم بالدين المبين . وبعد مدة اهتدى سنحريب ايضاً على يد مار متى فبنى ديرين الواحد باسم مار متى في جبل القاف المعروف بالجبل المقلوب والآخر باسم مار بهنام وهما عامران ، بيد ان الاخير اغتصبته الفرقة المنفصلة عن الكنيسة السريانية

سنة ١٨٣٨ ، ويعرف بدير الحب بجوار قرية قره قوش وصار كرسيًا اسقفيا في القرن السادس عشر .

٣ - مار باسوس : هو ابن ابورزد حاكم بازبدي . ولد وثنيًا ثم تنصر واخته سوسان بواسطة مار اسطيافانس ومار لونجيا الفارسيين . وفي ١١ ايار سنة ٣٨٨ استشهدوا جميعاً فأنشئ دير باسمهم في طورعبدني . وفي حدود سنة ٤٧٨ حجّ الى بيت المقدس الاب داود الطورعبديني احد رهبان هذا الدير حاملاً ذخيرة من جسد الشهيد باسوس . فمرّ في مدينة حمص وحلّ في كنيسة السيدة والدة الآله وكانت في حوزة الوجيه السرياني الكبير بطرس بن يوسف الحصي . فأخذ الراهب الى بيته وصلى على زوجته العاقر والكليلة البصر ولمس عينيهما بذخيرة الشهيد فشفيت . ثم أودع الراهب هذه الذخيرة كنيسة السيدة إجابة الى رغبة الوجيه بطرس وسافر . وبعد سنة وثلاثة اشهر عاد الى حمص فرأى للرجل صبيًا وبناتًا ولدا توأمين فعمدهما وسماهما باسوس وسوسان . ثم بنى الوجيه ديرًا عظيمًا أثته وجلس عليه قرى وعهد رئاسته الى الراهب داود . واشتهر هذا الدير حتى بلغ عدد رهبانه ستة آلاف وثلاثمائة ١ .

٤ - مار يوحنا ابن النجارين : ولد وثنيًا في الربع الأخير من القرن الرابع في قرية سينوا بجوار جبل بعشقة شرقي الموصل (وهي مندثرة الآن) . وكان ابوه نجارًا يصنع اصنامًا لهما كل الاوثان . ولما ترعرع الفتى أشرق على قلبه نور المسيحية فاعتنقها واخته سوسان ، وحطم اصنام ابيه . فلما رأى ابوه تمسكهما بالدين القويم فتك بهما ، على الارجح في أواخر القرن الرابع . وتمّ استشهادهما على تل مرتفع يتوسط بين قريتي بيت أكوري حمة ادنا (اي المزرعة وهي سريانية) وبيت تكليشا . وعلى أثر استشهادهما تنصّر اهل بيت أكوري وبنوا كنيسة جليلة على

وفات مار يوحنا ، وأخذ اهل بيت تكليثا جثمان الشهيدة سوسان وأنشأوا عليه كنيسة فخمة ١ ، نزل فيها المقريان اغناطيوس لعازر الأول سنة ١١٥٣ بطريقه الى دير مار متى ٢ .

وظلت كنيسة مار يوحنا عامرة حتى خراب بيت اكوري في اواسط القرن الثالث عشر ، وكان المؤمنون يزورونها بعد خرابها ايضاً للتبرك بوفات الشهيد . وفي سنة ١٢٨٤ شيد المقريان ابن العبري ديراً باسم هذا الشهيد ، شمال غربي برطلي (في كورة نينوى) تولى بناءه تلميذه الربان جبرائيل البرطلي المهندس من دير مار متى الذي رسمه في تلك السنة مطراناً باسم ديوسقوروس على جزيرة ابن عمر . وزين هيكله بصور بيزنطية رائعة تمثل مركبة حزقيال النبي ، وحوها الكارويم في قبة المذبح ، فالأنبياء وفي ايديهم مدارجهم النبوية ، فالأنجيليين الاربعة في زوايا القبة الاربعة ، فوالدة الاله فوق المذبح ، وحوله الملافة ، فأعمال الرب الخلاصية ١ .

ولما اكتمل بناء الدير ، ارسل المقريان اسقفا وجماعة من الرهبان والقسوس الى بيت اكوري ليأتوه بذخائر الشهيد ، فلم يجدوها بعد محاولات كثيرة . فتراءى الشهيد لبعض المؤمنين واعلمهم : بان الذخائر لن تظهر ما لم يحضر المقريان بنفسه . ولما اخبروه بالأمر ، اختلى في صومعته وصام وصلى ثلاثة ايام اي من ليلة الجمعة حتى ليلة الاحد الواقع في ٢٣ تشرين الثاني من هذه السنة . وبعد صلاة الليل إذ كان بين اليقظة والنوم ، ظهر له فتى بهي الطلعة واخبره بوجود الذخائر تحت المذبح القديم . فتوجه الى بيت اكوري يصحبه اسقفان ، فحفروا ووجدوا جرنأ داخله صندوق من الرخام يحوي ذخائر الشهيد مضمخة بالبخور . فخرجت برطلي بسكانها للقاء هذه الذخائر الثمينة ، التي وضعت في الكنيسة الجديدة باحتفال مهيب ٣ .

(١) سيرة ابن العبري نظم مار ديوسقوروس جبرائيل البرطلي .

(٢) ترجمته في التاريخ الكنسي لابن العبري مج ٢ .

(٣) ترجمة ابن العبري في تاريخه الكنسي مج ٢ وسيرته نظم ديوسقوروس البرطلي . (١٨)

وكان هذا الدير أهلاً بالرهبان سنة ١٥٩٣ . ولما خرب نقلت ذخائر
الشهيد الى كنيسة السيدة شموني المقابية في برطلي .
٥ - شهداء برطلي الاربعون : ورد ذكر هؤلاء الابطال في كلندار
القديسين في ١٥ نيسان ١ . والارجح انهم استشهدوا في اواخر هذا
القرن في برطلي حيث سُيِّد باسمهم جنوب غربيها دير ، وقد عصف
الدهر باهله .

الفصل السابع

تومر صا وقيوما مطرانا المشرق

تومر صا : اختلف المؤرخون في المدة الطويلة التي فرغ فيها كرسي
سليق وقطيسيفون بعد احراز مار شمعون اكليل الشهادة ، اقلها عشرون
واكثرها سبع وثلاثون سنة ، ثم جلس عليه تومر صا ٢ .
ولد في بلاد كسكر ، ونشأ على الفضيلة ، ولما تسنم كرسي سليق
سعى في رمّ الكنائس وإصلاح ما افسده الاضطهاد الاربعيني ، يعاونه في
ذلك شماسه بختيشوع ، واهتم بنشر الدين المبين بين المجوس . ولم يأذن
بالانخراط في سلك الرهبنة إلا للشيوخ فقط ، إذ كان قد قل عدد المؤمنين
من جراء الاضطهاد ٣ . وتوفي عام ٣٩٥ .
قيوما : فرغ كرسي سليق بعد تومر صا مدة ، خوفاً من بهرام

(١) انظر كلندار ابن خيرون .

(٢) ذكره ابن العبري باسم « تموزا » .

(٣) التاريخ الكنسي لابن العبري مج ٢

الرابع ابن سابور الثاني ملك الفرس الذي كان يقسو على الكنيسة .
واخيراً قدّم له نفسه قيوماً غيرته منه على بيت الله . وكان شيخاً نحيلًا
فاضلاً غيوراً على خلاص الرعية . فلم يكلّ عن ادارة دفة الكنيسة بين
زوابع الاضطهاد ، مشجعاً المؤمنين على احتمال ذلك حبّاً ليسوع شهيد
الجليلة . وبعد مدة خفقت اعلام السلام في سماء الكنيسة ، فعقد قيوماً
جمعاً في سلبق سنة ٣٩٩ حضره ماروثا اسقف ميفارقين السرياني الذي
اوفده القيصر ارقاديوس سفيراً الى يزدجرد الاول ملك الفرس ، فيه
تنازل عن رئاسة المشرق ، وانتخب خلفاً له مار اسحق من اسرة تومر صا .
وانفرد هو للنسك والعبادة ١ .

الفصل الثامن

القديس فلابيانس الأول بطريرك انطاكية

مرّ بك ان اكليروس انطاكية والاساقفة الشرقيين انتخبوا بالاجماع
فلابيانس قس كنيسة انطاكية بطريركاً للكرسي الانطاكي ٢ ، رافضين
الاسقف بولينس الشيخ ، اذ كان قد ابى على القديس ملاطيوس ان
يرئس الكنيسة وحده ٣ . وصدّق المجمع القسطنطيني المسكوني انتخاب
فلابيانس ، معلناً برسالته الجمعية شرعية جلوسه على السدة الانطاكية ،

(١) التاريخ الكنسي لابن العبري مج ٢ .

(٢) هنا ص ٢٦٠ .

(٣) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٦٢ .

الأمر الذي اغاظ كنيسة رومة ومصر وأثار سخطهما على الشرقيين . أما بولينس فقبيل وفاته التي حلت سنة ٣٨٨ رسم اوغريس تلميذه ليخلفه ، خلافاً للقانون الكنسي . وطلق الرومانيون والمصريون يساعدون اوغريس ويجرّضون القيصر ثأودوسيوس على عزل فلابيانس . فاستدعاه اليه ، ولما لم يجد علّة عليه اذن له بالرجوع الى كرسيه . ثم استدعاه ثانية ، فقال له بجرأة وإقدام : « انني أقيم لحاكمي اعدائي انفسهم ، الذين ينتقدون اعمالي ، وأنا راضٍ بحكمهم . اما إذا كان خصامهم بسبب الكرسي فسأعتزله ، فأعطه انت من تشاء » . فدهش القيصر من جرأته وأذن له بالعودة الى كرسيه . وفي تلك الاثناء توجه القيصر الى رومية ، فثار عليه ثائر الرومانيين إذ لم يماثلهم على عزل فلابيانس . فلما بلغ ذلك فلابيانس ، أوفد افاق الحلبي الى رومية ، فعقد مع الرومانيين صلحاً بواسطة القيصر ، فتصالح المصريون ايضاً ^١ .

وفي سنة ٣٨٦ رسم مار فلابيانس يوحنا الذهبي الفم قساً لبيعة انطاكية ، ووكل اليه خدمة الوعظ ^٢ .

وفي سنة ٣٩١ - ٣٩٢ عقد مجمع في قابوي حلّ الحلف بين القديس فلابيانس وحزب بولينس ولم يفلح . وفي سنة ٣٩٣ مات اوغريس ، فالتأم مجمع في قيصرية فلسطين سنة ٣٩٤ حضره آباء شرقيون ، اعترفوا فيه بسلطة فلابيانس وحده . وفي هذه السنة حضر مار فلابيانس مجمعاً في القسطنطينية حلّ الحلف بين اسقفي بصرى ^٣ .

وفي اوائل سنة ٣٩٨ توفي القديس نبطاريوس القسطنطيني ، فكتب القيصر ارقاديوس واكليروس القسطنطينية الى فلابيانس ليلزم الذهبي الفم

(١) فيه ، والتاريخ الكنسي لابن العبري ، مج ١ ترجمة فلابيانس .

(٢) كتاب خطيب المدينتين تأليف الشماس منسى القمص وعبدالفادي القاهري ص ٣٤ .

(٣) الدرر النفيسة ص ٥٨٠ .

بقبول بطريركية الكرسي القسطنطيني^١ ، فتمت رسامته في ٢٦ شباط من هذه السنة .

كان فلابيانس أحد متخرجي المدرسة الانطاكية اللاهوتية ومصابيحها النيرة . فلا غرو اذا ما ازهرت هذه المدرسة بهمة وخطت خطوات واسعة . وبعد ان ساس الكرسي الرسولي ثلاثاً وعشرين سنة انطفأت شعلة حياته النيرة سنة ٤٠٤

الفصل التاسع

غيرة مار فلابيانس الرسولية

في ٢٦ شباط سنة ٣٨٧ دهم انطاكية حادث مؤلم . ففي صباح هذا اليوم نادى مناد قائلاً : ان القيصر قد عزم على فرض ضرائب جديدة لاجل الجيش ، يقع القسط الاوفر منها على مدينة انطاكية نظراً لموقعها وموارد رزقها . فغاض ذلك اهل انطاكية الذين هاجوا وماجوا وقاموا بمظاهرة صاخبة . وفي سورة الغضب رموا تماثيل القيصر والقيصرة المتوفاة وولديهما ، وجروها الى ساحة المدينة ممتنين اياها . فلما بلغ ذلك مسمع القيصر ثار ثأره وفكر في تدمير انطاكية حالاً . ولكنه رجع اخيراً عن رأيه واوفد معتمدين للبحث عن الجناة فقط ومعاقتهم . اما اهل المدينة فلما استفاقوا من سكرتهم وشعروا بعظم ذنبهم

(١) كتاب خطيب المدينتين ص ٥٤-٥٥ .

استوعب الخوف قلوبهم والتجأوا بالقدّيس فلابيانس ليشفع فيهم لدى القيصر . وكان هذا القدّيس طيلة تلك المدة حزيناّ مواظباً على الصلاة يسكب فيها دموعاً سخينة امام الله علّيه يُعطف قلب القيصر الى الشعب . ثم قصد القسطنطينية غير مبالي بالمسافة التي كانت ٨٠٠ ميل . وبينما كان الجميع ينتظرون بفروغ صبر نتيجة شفاعة فلابيانس : كان الذهبي الفم يشجعهم ويسكن خواطرهم داعياً اياهم الى التوبة بخطبه الرنانة قائلاً : ان كثيرين يزعمون ان غضب الامبراطور اشبه بزجرة الاسد ، غير ان الرب قادر ان يحوّل هذا الاسد الى حمل وديع .

ولما بلغ فلابيانس القسطنطينية لم يستطع مشافهة القيصر في اول الأمر بل وقف بعيداً يبكي ويضرع اليه طويلاً كأن اثم انطاكية موضوع على منكبيه . وكان يبيّن له كيف ان الله لبس صورة العبد ليخلص العبيد الذين اخطأوا اليه ، وامرنا في انجيله الأقدس ان يغفر احدنا لصاحبه ، وكيف اكمل قوله بالعمل حيث غفر لصالبيه . فرق قلبه على المدينة وعفا عنها من اجل رب المجد الذي لبس صورة عبد وغفر لصالبيه . فسُرّ مار فلابيانس وشكر أفضال القيصر واوفد رسولاً خاصاً ليزف الى رعيته هذه البشري المفرحة . فتهلّلت وجوه الشعب وانشرحت صدورهم . هكذا اظهر القدّيس فلابيانس غيرة رسولية متحملاً مشاق السفر ، مضحياً بنفسه من اجل رعيته . وفي عيد القيامة الذي حلّ بعد سبعة ايام من تاريخ اصدار العفو : خطب الذهبي الفم في المؤمنين مذكراً اياهم بفضل الله وكرمه قائلاً : لقد سمح الرب بهذا الهياج على الامبراطور لكي يعاقب اهمالهم ١ .

(١) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٥٧-١٦٠ و ١٦٣ و كتاب خطيب المدينتين ص ٣٨-٤٣ والخريدة النفيسة ج ١ ص ٤٣٠-٤٣٢ .

الفصل العاشر

الكنيسة في لبنان



ما أن أطل القرن الرابع حتى رأينا الكنيسة منتشرة في كثير من قرى لبنان ومدنه الساحلية ، منها : عكا وصور وصيدا وبيروت وجبيل والبترون وطرابلس ، ولا سيما بعد تنصّر قسطنطين وجعله المسيحية الدين الرسمي للدولة . فقد وجّه اهتمامه نحو الترفيه عن المسيحية في لبنان . ودمّر هيكل الزهرة في أفقا عند منبع نهر ابراهيم إذ كان موثلاً للفجور . وقرب نهر الكلب اكتشف أثري ألماني كتابة سُطرت ذكرًا لقسطنطين وسلامة أولاده الثلاثة ، فنشرها رينان في كتاب « بعثة فينيقية »^١ . وفي الربع الاول من هذا القرن أنشأ بولينس أسقف صور ، كنيسة فخمة في مدينة صور ، احتفل بتدشينها سنة ٣٢٣ جمهور من الاساقفة ، منهم اوسابيوس القيصري الشهير الذي ألقى خطبة رائعة بهذه المناسبة^٢ . ورأينا في هذه الحقبة اوسابيوس أسقف بيروت يلعب دوراً هاماً في تاريخ الكنيسة ، حيث هجر أبرشيته وانتقل إلى كرسي نيقوميديّة فالقسطنطينية وتحزب لآريوس المبتدع ، وكتب رسالة في صالحه إلى بولينس الآقف الذكر ، حفظها ثاودوريطس في تاريخه^٣ . ثم انتقل بولينس إلى كرسي انطاكية ومالاً آريوس كما سبق .

(١) تاريخ لبنان العام مج ١ ص ١٤٥ و ١٥١ .

(٢) هنا ص ١٩٠ - ١٩١ .

(٣) دائرة المعارف البريطانية طبعة ٩ مج ٨ ص ٧٢٣ .

وفي سنة ٣٢٥ حضر مجمع نيقية المسكوني الاول كل من إنياس ،
أسقف عكا ، وزينون أسقف صور ، وثأودورس أسقف صيدا ، وغريغوريوس
أسقف بيروت ، وألينيقيوس أسقف طرابلس . وفي الربع الأخير من هذا
القرن اشتهر بلاديوس أسقف بعلبك الذي عني بجمع أخبار النساك
الشرقيين والمصريين .

أما في أعالي الجبال فقد اصطدمت المسيحية بعقبات كأداء لرسوخ قدم
الوثنية وكثرة هياكلها فيها . وفي عهد يوليانس الجاحد القصير الأمد ،
نشطت الوثنية في لبنان ، إذ أمر بترميم هيكل أفقا واستئناف المراسم
الوثنية . غير أن ثأودوسيوس الكبير دمره مرة ثانية وقضى على الوثنية
التي استقرت بقاياها في أعالي لبنان أو في وهاده القاصية ، فتحولت بعض
هياكلها إلى كنائس^١ .

وانتشر في لبنان مبشرون سريانيون هدوا كثيرين من الوثنيين الى
الحظيرة المسيحية . وكان القديس ابراهيم اسقف حرّان السرياني احد
اولئك المصابيح النيرة . فقد ولد في ديار قورس وزهد في الدنيا مواظباً
على السهر والصوم والصلاة ثم توجه الى قرية كبيرة وثنية في جبل لبنان
متنكراً بزي تاجر . ولما علم بان اهلها مدينون لبعض الغرماء كفلهم
مؤدياً عنهم خمسين ديناراً ، استدأها من بعض معارفه في مدينة حمص .
ثم سأله ان يتولى امر قريتهم ففعل شريطة ان يشيدوا كنيسة . واخيراً
اعتنقوا المسيحية والحقوا عليه ان يصير لهم كاهناً . وبعد ان رعاهم ثلاث
سنين ، اختار لهم كاهناً وعاد الى ديره^٢ ورسم اسقفاً لحرّان السريانية
جنساً ولغة^٣ . وتوفي نحو سنة ٤٣٠ .

(١) تاريخ لبنان العام مج ١ ص ١٥٤-١٥٥ .

(٢) راجع تاريخ الرهبنة لثأودوريطس القورسي بالسريانية في خزانة لندن عدد ١٤٦٠٩
واساقفة حرّان بقلم قداسة البطريرك افرام الاول في المجلة البطريركية العدد الاول من السنة الثانية .

(٣) مختصر الدول لابن العبري ص ١٨ .

واهتم الذهبي الفم الانطاكي بطريك القسطنطينية ايضاً بنشر انوار
المسيحية في بعض انحاء جبل لبنان بايقاده اليه بعض الرهبان^١ ، الذين
انتشروا بين بقايا الوثنية يهدونها السراط المستقيم .

الفصل الحادي عشر

الرهبنة في ولاية الكرسي الانطاكي



الرهبنة هي فلسفة الدين المسيحي ، تفرض على صاحبها حفظ البتولية
والعفاف والطاعة . انتشرت في القرن الرابع في اصقاع كثيرة من ولاية الكرسي
الرسولي الانطاكي ، اى في سواحل فلسطين الجنوبية وبادية الشام وبرية
قورس والجزيرة وجبال الرها والازل (ماسيوس) المشرف على نصيبين
وطور عبدن وقردو والفاف وماردين ، وضواحي قيصرية كبادوكية
والبنطس ، فأسدت الى المجتمع البشري فضلاً عمياً ، ذلك انها هذبت
اخلاقاً وهدت ابماً الى الدين المبين ورفعت رايات الثقافة في كل الاصقاع ،
وطوقت العلم بقلائد نفيسة ، وخلدت اصناف العلوم والفنون
بمجلدات ضخمة .

وقد انخرط في سلكها ألوف من الرجال والنساء ، عزفوا عن
زهرات الدنيا ونفضوا غبارها عن اقدامهم وروضوا نفوسهم على التقوى
والبتولية والعفاف والتواضع والطاعة والصوم والصلاة .

(١) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٦٥-١٦٦ .

وكان مار هيلاريون اول من اسس الرهبنة في فلسطين وسوريا . ولد وثنيّاً في طابانا على بعد خمسة اميال من غزة نحو سنة ٢٨٨ ثم رحل الى الاسكندرية في طلب العلم فتنصّر وتلمذ للقديس انطونيوس ابي الرهبان ، ثم عاد الى فلسطين . وبعد موت ابويه باع امواله وتنسك جنوبي غزة . وبعد ان مارس اعمال النسك الحشنة مدة عشرين سنة شرفه الله بفعل المعجزات ، فتلمذ له كثيرون بلغوا الألفين او الثلاثة آلاف . وانتشرت بواسطته الاديار في فلسطين ، واهتدى على يديه بعض القبائل العربية . وفي سنة ٣٥٦ رحل مع تلميذه يدعى هيسيكيوس الى مصر فجزيرة صيقيلية فاقليم دلماتية فجزيرة قبرس حيث توفاه الله عام ٣٧١ بعد ان سلخ سبعين سنة في خدمة المسيح . ودُفن في مدينة بافوس ثم نُقل رفاته الى دير في مايوما ، فعيّدت له كنيسة فلسطين كما ذكر سقراط . وكتب اخباره مار ايفانيوس ومار ايرونيوس . وكان بعض تلاميذه من سوريا ، فانتشروا فيها حوالي سنة ٣٦٤ يشيّدون ادياراً نسجاً على منواله .

ومن جملة الذين كتبوا في الرهبنة مار افرهاط السرياني المعروف بالحكيم الفارسي (بعد سنة ٣٤٦) في كتابه « البيّنات » ، ومار افرام السرياني (٣٧٣ +) في ميامره ، والقديس باسيليوس الكبير (٣٧٩ +) في اجوبته الى الرهبان عن زهاء ثلاثمئة وستين مسألة ، وغريغوريوس الناسك السرياني الفارسي (في النصف الثاني من المئة الرابعة) في كتابه السرياني في السيرة النسكية ، والذهبي الفم (٤٠٧ +) ، وبلاّديوس اسقف بعلبك (٤٢٥ +) في كتاب تاريخ نساك مصر المعروف باللوزياني او « بفردوس الآباء » وهو ثلاثة اجزاء يتضمن بين اخبار النساك حكماً لبعضهم . وقد تُرجم هذا الكتاب واجوبة مار باسيليوس من اليونانية الى السريانية . اما ما نُقل من القبطية الى السريانية من مقالات ومساائل

وأجوبة ورسائل : فهو كثير ، للنسّاك المصريين باخوميوس (٣٤٦ +)
وانطونيوس (٣٥٦ +) وامّونيوس (٣٨٤ +) ومقاريوس الكبير
المصري (٣٩٠ +) ويوحنا الرائي ناسك طيبا (٣٩٠ +) ومقاريوس
الاسكندري (٣٩٤ +) واشعيا ناسك الاسقيط (في اواخر القرن
الرابع) واوغريس البنطي (٣٩٩ +) . ونقل علماء السريان ايضاً تاريخ
الرهبان لروفينس الآكلي (٤١٢ +) وقصص نساك بركة مصر لمار
هيرونيمس (٤٢٠ +) .

الفصل الثاني عشر

اشهر النساك في ولاية الكرسي الانطاكي



إليك اشهر النساك في ولاية الكرسي الانطاكي :

١ - مار ابراهيم القيدوني السرياني : ولد في ما يُظن في الرها في
سلخ القرن الثالث وتزوج ثم زهد في الدنيا لسبعة ايام من عرسه . وبعد
موت ابويه وزع امواله على الفقراء ورسم كاهناً ونصر قرية قيدونا .
وتعلمت له مريم ابنة اخيه ولما هوت في وهدة الخطيئة نسلها منها بنصائحه
وارشاداته حتى عادت الى رتبته الاولى . وما اجل الانشودة السريانية
التي حبكتها ، فيها تندب حظها وتندم على ما فرط منها ، مظهره توبة
صادقة . وسنة ٣٦٦ فاضت روحه النقية وقد وقف على عتبة السبعين ،
وقرظه مار افرام . وقد كتبت قصته بالسريانية ونحلت مار افرام خطأ
تقع في ٣٥ صفحة .

مار يوليان الشيخ السرياني : سكن أولاً صحراء في اقليم الفرات ، ثم انشأ ديراً في جبل حسمي^١ بقرب نهر الفرات حيث تتلمذ له نحو مئة راهب ، اشهرهم افاق مطران حلب . واجترح المعجزات . ولما اشاع عنه الآريوسيون بانه من رأيهم : استقدمه الى انطاكية القس فلابيانس وافرھاط الناسك وديودورس استاذ المدرسة الانطاكية ، فأخزى الآريوسيين . وفي سنة ٣٦٧ توفي في جبل الرھا ، وقرّظہ مار افرام ، وكتبت قصته بالسريانية رواية عن تلميذه افاق المذكور . وفي القرن التالي انشأ السريان باسمه ديراً بظاهر القريتين من ديار حمص حوى شيئاً من وفاته ، ولا يزال عامراً .

مار اوجين القبطي : كان من جزيرة قلوزم في مصر . غاص على الآلئ خمساً وعشرين سنة ووزع ائمانها على الكنائس والأديرة والايتام والأرامل والمعوزين . وفيما كان ذات يوم نازلاً للغوص كعادته : عابن كوكباً نيراً يتقدمه الى الماء . فأدرك انها رؤيا سماوية . وقد حاز بها موهبة انتھار الزوابع والرياح ، والمشي على البحر كاليابسة . فازداد ايماناً واكثر من اعمال البر ، وابتنى له ديراً ، ثم انتقل الى دير مار باخوم حيث تروّض بالسيورة الرهبانية . وبعد مدة قصد الى ما بين النهرين ومعه سبعون ناسكاً . فبلغوا جبل الازل شرقي مدينة نصيبين حيث سكنوا مغارة مدة ثلاثين سنة . وفاح عبير فضائله ، فانضوى اليه تلاميذ من كل صوب وحذب بلغوا ٣٥٠ ، ارسلهم بعدئذ الى مختلف بلاد الشرق دعاء الى المسيحية ، يجتريحون المعجزات الخارقات ويشيّدون الديارات . اشهرهم ابن اخته مار ملكي القلوزمي واشعيا الحلبي . وتوفي شيخاً هرمّاً في اواخر القرن الرابع ودفن في ديرہ الذي لا يزال عامراً أهلاً في سفح جبل الازل .

مار متى الشيخ السرياني : ولد في قرية ابجرشاط من اعمال آمد

(١) ويقال له اھموي وآشوما ، ويسمى اليوم قرج داغ .

(ديار بكر) في الربع الاول من القرن الرابع . ورغب في العيشة النسكية ، فترهب في دير بجوار قريته ، ثم تروّض على النسك والعلوم الدينية والفضيلة ورسم كاهناً في دير زوقين بظاهر ديار بكر وكان يحوي خزانة كتب نفيسة . ولما اضطهد يوليانس الجاحد رهبان هذا الدير ، رحل في النسك القديسين : زكي و ابراهيم ودانيال وسرجيس وزعورا الى كورة نينوى ، وانقطع للعبادة في جبل الفاف . وذاع صيته ، فتملأ له جم غفير ، ولا سيما بعد ان نصر الشهيدان مار بهنام واخته ساره ووالدهما سنحريب حاكم اثور الذي تطوع بانشاء دير جليل له ، بلغ عدد رهبانه بضعة آلاف . وفعل المعجزات الباهرات ، وتوفي في سلخ القرن الرابع شيخاً كبيراً ، وكتبت قصته وجهاد مار بهنام واخته سارة بالسريانية في حدود القرن السابع . وما زالت معجزاته الخارقة تتعاقب حتى يومنا هذا .

اما دير فبدأ التعليم فيه في النصف الاول من القرن السابع وتعاقب حتى اواخر القرن الثالث عشر . واشتهرت خزانة كتبه النفيسة اواخر القرن السابع . وصار كرسياً مطرانياً ، وأنجب بطريركين لانطاكية هما جرجس الثاني (١٦٨٧ - ١٧٠٨) وابن اخته اسحق (١٧٠٩ - ١٧٢٤) . وستة مفارنة هم : رنخا الاول (٦٤٩ - ٦٥٩) ومتى الاول البرطلي (١٣١٧ - ١٣٤٥) وجرجس الثاني الموصل (١٦٨٤ - ١٦٨٧) وابنا اخته اسحق (١٦٨٧ - ١٧٠٩) ومتى الثاني (١٧١٣ - ١٧٢٧) وابن اخيهما لعازر الرابع (١٧٣٠ - ١٧٥٩) . وثلاثة وثلاثين اسقفاً . ولا يزال عامراً أهلاً .

مار عبدا السرياني : ترهب ورسم كاهناً وأسس في سليق وقطيسيفون ديراً ومدرسة وهدى جمهوراً من المجوس . وفي اواسط القرن الرابع اقام في دير الصليب . واكرمه الله بفعل المعجزات . ومن تلاميذه عبد

يشوع الناسك السرياني الذي انشأ ديراً باسم مار توما الرسول جنوبي قطر ، كان أهلاً بمبتي راهب في حدود سنة ٣٩٠ م .^١

مار هوون السرياني : ولد في سروج في احضان اسرة ثرية . ولما ترعرع تنسك في ديار قلو ديا وشيّد ديراً في جبل برنجو (المبارك) في ملطية ، وكان رهبانه سبعة وسبعين . وتوفي سنة ٣٨٩ م شيخاً كبيراً بعد ان اجتراح العجائب . وكتب قصته بالسريانية تلميذه بولس . وقد أسعف دير الكنييسة بستة أساقفة من سنة ١٠٨٨ - ١٢٨٩ .

اوغويس : من بلاد البنطس . درس العلوم ، فرسمه القديس غريغوريوس التزينزي شماساً^٢ . وفي العقد التاسع من القرن الرابع زهد في الدنيا وتلمذ لمار مقاريوس المصري . واشتهر بين مصنفاته النسكية العديدة : كتاب المئات وستائة حكمة نسكية ، ومقالة في افكار الجييث . وانتقل إلى ربه سنة ٣٩٩ م .

مار صموئيل : ولد في بلد الصّور شمالي ماردين من أسرة عريقة . ولما ترعرع عشق السيرة النسكية فترهب وعُرف بالمشتيني . وفي سنة ٣٩٧ م عمّر وتلميذه مار شمعون القرتميني دير المشهور بقرب قرية قرتمين شرقي مذيات في طورعبدن بحسب الرسم الذي اظهره له الملاك^٣ . وقد جاد القيصران هنوريوس وارقادبوس لبنائه بمال جزيل . ومنذ منتصف القرن التالي أمّه طلاب العلم والنسك ، فتخرّج فيه علماء حتى القرن الثاني عشر . وسنة ٦١٥ صار كرسياً مطرانياً لطورعبدن ، فأطلق عليه اسم رئيسه ومطرانه مار كبرئيل (٦٦٧ +) . وحوى خزانة كتب ثمينة اشتهرت منذ القرن الثامن . وقد اسعف الكنييسة بأربعة بطارقة هم : ثاودوسيوس (٨٩٦ +) وديونيسيوس الثاني (٩٦١ +) وبهنام (١٤٥٤ +)

(١) قصة الربان يونان في اخبار الشهداء والقديسين طبعة بيجان مج ١ ص ٦٦٤... الخ.

(٢) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٥٤ .

(٣) التاريخ الكنسي لابن العبري مج ١ في ترجمة البطريرك فلايانس الاول .

وعزيز ابن العجوز الطورعبديني (١٤٨١ +) ، وبمفريان واحد هو بهنام من آل
حبو كني (١٤٠٤ - ١٤١٢) البرطلي الاصل والحدلي المولد ، وبتسعة وسبعين
اسقفاً . ولا يزال عامراً أهلاً .

اما مار صموئيل ففعل آيات وتوفي عام ٤٠٩ . ومن أشهر تلاميذه
مار شمعون القرتميني الآنف الذكر (٤٣٣ +) .

الفصل الثالث عشر

فضل السريان في نصرانية العرب والارمن



اثبت دي فوكوي في كتابه « سوريا الوسطى والخطوط السامية »
بان اللغة الآرامية السريانية كانت منذ القرن الرابع قبل الميلاد إلى ظهور
الاسلام اللغة المحكية لدى جميع الشعوب الساكنين بين بلاد فارس ومصر
واليهود والساميين المتوطنين في مصر وآسيا الصغرى إلا ما ندر ، وإن
جميع الخطوط التي عثروا عليها في تدمر وحوران وبلاد النبطيين كتبت
بها^١ . فلا غرو إذن إذا كان للسريان الآراميين أثر بيّن في نصرانية هذه
الشعوب ولا سيما العرب منهم . فقد اجتذب مبشروهم وأساقفتهم ونسّاكهم
في ما بين النهرين بقداسة سيرتهم ومعجزاتهم : كثيرين منهم إلى حظيرة
يسوع . منهم قبيلة تغلب من ربيعة ومنازلها أرض الجزيرة التي سميت ديار
ربيعة أي نهر الخابور ونصيبين إلى سنجار ، وبنو عقيل والنمر وبنو شيبان

(١) تاريخ سوريا للطران يوسف الدبس مج ٣ ص ٥٩٠ و ٦٠٢ .

(ثعلبة) وبنو بكر بن وائل في ديار بكر وغيرهم . ونحو سنة ٣٥٠ أنشأ مار هيلاريون رأس نساك فلسطين كنيسة في بلدة الخلصة في البرية جنوبي بحيرة لوط لأهلها العرب الذين آمنوا وحادثوه بالسريانية ^١ . وقد مرّ بك دخول النصرانية بلاد اليمن وهي بلاد سبأ أو الحميريين ، وهوران وعاصمتها بصرى التي شيدها التنوخيون نحو سنة ١٠٦ وهم فصيلة من عرب سبأ ، وان الملك عمرو بنى في بادية الشام كنائس عديدة . وفي النصف الثاني من القرن الرابع بشر عبد يشوع القناني الناسك السرياني أسقف دير محراق ، جزيرة في اليمامة ، وأفسأ ديراً باسم مار توما الرسول جنوبي قطر ضمّ بين جدرانها سنة ٣٩٠ مثنى راهب .

وفي القرن الرابع أنشئت في سائر أنحاء البلاد العربية عدة كنائس وأسقفيات . ففي سنة ٣٠٧ أصبحت جدر أم قيس كرسيّاً أسقفياً ، حضر اسقفها سابينوس مجمع نيقية سنة ٣٢٥ كما حضره كل من مارينس اسقف تدمر ، ونيقوميديس اسقف بصرى ، وقوريون اسقف عمان (فيلادلفيا) ، وجنّاديوس اسقف حشبون (اسبونتون) ، وسويرس اسقف سدوم ، وبطرس اسقف ايلت (قلعة العقبة) في جزيرة سيناء ، وسويرس اسقف رامة جلعاد اي القنوت الذي أمضى في المجمع بالسريانية هكذا ^١ . وبعد هذا المجمع آمن أهل بطرا (سلع) عاصمة النبطيين وبنيت كنائس فيها وفي ضواحيها وبواحيها الشرقية . وحضر اسقفها استيريوس مجمعي سرديكا والاسكندرية عام ٣٤٣ و ٣٦٢ وبطرس اسقف هيب (خربة السمرة) مجمعي سلوقية وانطاكية سنة ٣٥٩ و ٣٦٣ . وبين سنتي ٣٧٣ - ٣٧٨ رسم أساقفة ارثوذكسيون كانوا في المنفى موسى الناسك اسقفاً لعشيرة ماوية اميرة العرب في الحيرة بناء على طلبها ^٢ .

(١) الدرر النفيسة ص ٤٩١ .

(٢) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٥١ - ١٥٢ .

وفي الاضطهاد العاشر كان شهداء العرب يقطّعون بأطبار ذات حدّين^١ ومنهم كان الطبيبان الشهيدان قوزما ودميان سنة ٣٠٦ . واستعملت الكنائس العربية الطقوس السريانية في عبادتها . وفي سنة ٩١٢ قلّد مطران تكريت السرياني الاسقفية : رجلاً عربياً ديناً فكان يقدّس لقومه بالعربية^٢ . وأتقن كثير من علماء العرب المسيحيين اللغة السريانية ، ومنهم كان العلماء المتبحرون في اللغتين السريانية والعربية من بني طي وتنوخ وعقيل الذين نقلوا الانجيل المقدس من السريانية الى العربية في حدود سنة ٦٤٣ بأمر البطريك يوحنا ابي السدرات إجابة إلى رغبة عمير بن سعد أمير الجزيرة^٣ .

أما الأرمن فهم مدينون ايضاً للسريان الذين وطّدوا دعائم الايمان في بلادهم كما مرّ بك . وكان أسقفهم دانيال نحو سنة ٣٤٧ سرياناً . واستعملوا اللغة السريانية وكتبوا لغتهم المحكية بأبجديتها . وكان أسقفهم إسحق ابن الاسقف نرساي الكبير الذي رسم سنة ٣٨٧ مضطلعاً بالسريانية . ومرّ بك ان الاب ميسروب استنبط الابجدية الارمنية سنة ٤٠٤ بمساعدة الملفان دانيال السرياني ، وكان يحسن السريانية ، كما اتقنها أحد تلامذته الاسقف ازنيك الناقل منها ومن اليونانية .

وقد نُقل من السريانية إلى الأرمنية كثير من مصنفات الملائكة السريان . منها تفسير مار افرام لديباطسرون ططيانس الذي حفظ في الارمنية فقط . ورسالتا ايجر ملك الرها والسيد المسيح اللتان أوردهما موسى الخوراني كاتب تاريخ ارمنية في القرن الخامس كما رواهما اوسابيوس . وقد ترجمتا قبل القرن الخامس ، وكذلك تعليم ادى وتبشيره في الرها^٤ .

(١) اوسابيوس ١٢: ٨ .

(٢) المرشد لأني نصر يحيى بن جرير السرياني التكريتي باب ٥٤ .

(٣) الرهاوي المجهول مج ١ ص ٢٦٣ والتاريخ الكنسي لابن العبري مج ١ في ترجمة البطريك

يوحنا ابي السدرات .

(١٩)

(٤) تاريخ سوريا للديبس مج ٣ ص ٥٤٥-٥٤٦ .

الفصل الرابع عشر

اشهر آباء الشرق في القرن الرابع



١ - باسيليوس الكبير : ابوه باسيل وامه اميليا ، اشتهرت اخته الكبرى مقرينة بالنسك والتقى ، وعُرف اخوه الأكبر نوقراطيموس محامياً لبقاً ، وسقف شقيقه الثاني غريغوريوس على ابرشية نوسة واخوه الأصغر بطرس على ابرشية سيبسطية .

ولد نحو سنة ٣٢٩ في قيصرية كبادوكية . ودرس العلم والفلسفة في قيصرية فالقسطنطينية فاثينا . وفي حدود سنة ٣٥٦ زار اشهر نساك مصر وفلسطين وسوريا والجزيرة آخذاً عنهم السيرة النسكية ثم رأس ديراً على ضفة نهر ارنيسي في البنطس حيث كانت تتروض امه اميليا المترملة واخوته مقرينة وغيرهما من النساء الفاضلات على التقى واعمال البر . وعام ٣٦٢ رسمه اوسابيوس اسقف كبادوكية قساً لقيصرية . وسنة ٣٧٠ رسمه القديس ملاطيوس الانطاكي مطراناً عليها . فقاوم الآريوسية متحمساً للمعتقد النيقاوي كما مرّ بك . وفي غرة كانون الثاني سنة ٣٧٩ نقله الله إليه بعد جهاد مشعر .

كان خطيباً مصقلاً وكاتباً لاهوتياً ، نقض بدعة اونوميوس في ثلاثة كتب ووضع نحو سبع عشرة مقالة في تفسير سفرى المزامير واسعيا ، ومقالات في اسبوع الآلام والمعمودية والقربان وبعض الشهداء ، وكتاباً في الروح القدس ، وآخر في الأيام الستة ، وليتورجية ، وقوانين نسكية

لرهبان الشرق ورسائل الخ^١ . وقد نقلت مصنفاته إلى السريانية في القرنين الخامس والسادس . ومنها ما نقله القس (البطريك) اثناسيوس سنة ٦٦٦^٢ . وذكر له خلفه الديدوس سبع عجائب موجودة بالسريانية^٣ . اما الليتورجية التي تستعملها الكنيسة اليونانية فلا تصح نسبتها اليه إلا في الجوهريات .

٢ - اوسابيوس السيمساطي : اشتهر بتحمسه للمعتقد النيقاوي . رسم اسقفاً على سيمساط نحو سنة ٣٥٨ فكلله الله بفعل المعجزات ، وشيد كنيسة عظيمة وهدى كثيرين من سكان المدينة الذين كانوا متمسكين بالآريوسية . وفي سنة ٣٦٠ حضر المجمع الانطاكي الذي انتخب القديس ملاطيوس للسدة الانطاكية ، فاستودعه الآباء صك الانتخاب كما مرّ بك . وفي سنة ٣٧٤ نفاه القيصر واليس الاريوسي الى تراقية واقام مكانه اسقفان دخيلان هما اونوميوس ولوقيوس . فارتدى حلة جندي واخذ يطوف في البلاد ويتفقد الابريشيات الشاسعة في سوريا وفينيقية وفلسطين ، يرسم قسوساً وشمامسة . ورسم واساقفة ارثوذكسين ستة اساقفة لأبرشيات شاغرة وهم افاق الحلبي الشهير وثاودوطس المنبجي واوسابيوس اسقف قنسرين وايسيدورس اسقف قورس واولوغيوس اسقف الرها وماري اسقف دليك . وعندما صحب الأخير لاجلأسه على كرسيه جرياً على التقليد الكنسي ، رجته النساء الآريوسيات بالحجارة من على الاسطحة فدمغت احداهن رأسه بقرميدة صلبة . فتوفي في اليوم التالي في قرية تدعى « دمع » ، ونقل جثائه الطاهر الى سيمساط باحتفال مهيب حيث صلى عليه الاكليروس السرياني واليوناني وطافوا به في المدينة ثلاثة ايام ثم دفن في مذبح البيعة الكبرى التي بناها ، وذلك في سنة ٣٧٩ . والف سيوته بالسريانية بعض معاصريه بانشاء انيق ، نشرها بيجان في المجلد السادس من اخبار الشهداء والقديسين وهي خمس

(١) دائرة المعارف البريطانية طبعة ٩ مج ٣ ص ١٢٤ .

(٢) الأولو المشور ص ١٧٢ .

(٣) فيه ص ١٤٥ .

واربعون صفحة ، يتلوها رسالتان أنفذهما اليه القديس غريغوريوس النزينزي ،
فيهما يسميه « المعترف وعمود الحق واساسه ومصباح البهية ومنحة الله
والأساس الأبوي وقيوم الايمان وسفير الحق » .

وقد هدى كثيرين من الوثنيين إلى المسيحية ، منهم القديس رابولا
الرهاوي .

٣ - قورلس الاورشليمي : قام في الكرسي الاورشليمي في القرن
الرابع خمسة اساقفة اشهرهم مقاريوس الذي في عهده انتشرت المسيحية في
فلسطين واكتشفت خشبة الصليب المقدس ، ومار مكسيمس الثالث المعترف
الذي في ايامه تنصر اهل مايوما سنة ٣٣٤ وُدشنت كنيسة القيامة
الكبرى سنة ٣٣٥ كما مرّ بك . وكان هذا قد فُقت عينه اليمنى وقُطعت
بطة ساقه في اضطهاد مكسيمينس . وتوفي أخيراً منفياً في سبيل الايمان
النيقاوي ، فخلفه مار قورلس .

ولد في اورشليم نحو سنة ٣١٥ وتثقف بالعلوم البيعية واللاهوتية ورسم
قساً بين سنتي ٣٤٣ - ٣٤٥ . وفي اواخر سنة ٣٥٠ سُقف على اورشليم ،
جنفاه الآريوسيون ثلاثاً في سبيل الايمان . فغضب كرسيه ثلاثة دخلاء .
وبعد أن ظل في منفاه الأخير اثنتي عشرة سنة عاد إلى كرسيه عام ٣٧٩ ،
وحضر سنة ٣٨١ المجمع المسكوني الثاني الذي ايد رئاسته على اورشليم كما
أسلفنا . ففاز على مطرانية قيصرية فلسطين التي كانت تدعي الرئاسة على
السقفية اورشليم . وفي ١٨ اذار سنة ٣٨٦ لبى دعوة ربه .

صنف ليتورجية وكتاباً في التعليم المسيحي فيه شرح قانون الايمان
والعماد والميرون والاوخارستيا في اربع وعشرين خطبة لها منزلة لاهوتية
كبيرة وصلت اليها الرابعة عشرة منها بالسريانية . وينسب نقل ليتورجيته
إلى السريانية إلى توما الحرقلي . ومن تصنيفه أناشيد بيعية تسمى « السطبخونات »
نقلت إلى السريانية وتستعمل خاصة في طقس الميرون ورسامة الاحبار .

٤ - غريغوريوس النزينزي : ولد نحو سنة ٣٢٩ في اربانز بهبادوكية . ابوه غريغوريوس اسقف نزينزه ، امه نونا الفاضلة ، اخوه قيساريوس الشهير واخته جورجونية الصالحة . نذرته امه منذ ولادته لخدمة الله . درس النحو والرياضيات والمنطق والفلسفة في نزينزه فالقيصريتين فالاسكندرية فاثينا . وفي ٣٦١ رسمه ابوه قساً ونحو سنة ٣٧٢ رسمه باسيليوس الكبير اسقفا على سارما وكانت بلدة صغيرة ، ثم استدعاه والده الشيخ إلى نزينزه ليساعده بمهام وظيفته . وبعد وفاته التي حلت سنة ٣٧٤ انقطع إلى دير في سلوقية ايسوريا . وفي اوائل سنة ٣٧٩ لبي طلب ارثوذكسي القسطنطينية ، فتوجه اليهم وجمعهم في بيت صغير حوله بعدئذ إلى كنيسة كبيرة سميت انسطاسيا اي كنيسة القيامة . وكان بين المستمعين الكثيرين إلى خطبه الرنانة ليس العلماء الكنسيون كايرونيوس واوغريس فحسب بل الهراطقة والوثنيون ايضاً . وفي سنة ٣٨٠ انتصر الارثوذكسيون بقيام ثاودوسيوس الكبير الذي اقر رئاسة غريغوريوس على الكرسي القسطنطيني . وفي سنة ٣٨١ ايد ذلك المجمع المسكوني الثاني . ثم استقال في بهرة المجمع متألماً من تصرف طيمثاوس الاسكندري واساقفته وعاد إلى نزينزه ، ثم انفرد للعبادة حيث اشتغل بالادب والشعر حتى وفاته في سنة ٣٨٩ او ٣٩٠ ، تاركاً اشعاراً لاهوتية وانشيد ورسائل وخطباً وتآبين .

وقد نظم اشعاره نقضاً للآريوسيين ودحضاً لما قام به يوليانس الجاحد الذي منع المسيحيين مطالعة اشعار اليونانيين الوثنيين . واشتغل بنقلها والخطب إلى السريانية بولس رئيس الدير عام ٦٢٤ وينواريوس الآمدي والبطريك اثناسيوس الثاني البلدي (٦٨٤ - ٦٨٧) ونسخة من الاشعار وعددها ١٣٠ نقلت في المئة الخامسة او السادسة . والخطب التي وصلت الينا بالسريانية سبع وهي في ميلاد ربنا ، والدنح ، والفصح ، والاحد

الجديد والربيع ، والشهيد ماما ، والعنصرة . ورسائله المترجمة إلى السريانية هي رسالة إلى قليدونيوس ^١ ، ورسالتان إلى القديس اوسابيوس السميساطي ^٢ . وله في السريانية ليتورجية ينسب نقلها إلى توما الحرقلي .

٥ - غريغوريوس النوسي : اخو باسيليوس الكبير ، ولد في قيصرية كبادوكية نحو سنة ٣٣٥ وتثقف فيها وعلم الخطابة زماناً وتزوج من فتاة فاضلة ثم اعتسف سبيلاً رديئاً بمطالعة اشعار اليونانيين ، فانتشله غريغوريوس اللاهوتي من وهدة الجهل ، فانضم الى دير ارنيسي حيث حسنت سيرته . وفي سنة ٣٧١ رسمه اخوه باسيليوس اسقفاً لمدينة نوسة . فتفانى في رعايتها . وفي سنة ٣٧٦ نفاه واليس الاربوسي . ولما هلك هذا سنة ٣٧٨ عاد الى كرسيه وحضر المجمع الانطاكي برئاسة ملاطيوس . وسنة ٣٨١ حضر المجمع المسكوني الثاني وابتن القديس ملاطيوس الانطاكي الذي توفي في بهرة المجمع تأبيناً بليغا كما رأيت ، وتوفي بعد سنة ٣٩٤ .

كان غريغوريوس من اساطين الارثوذكسية ، كاتباً لاهوتياً وفيلسوفاً ، اجتهد في التوفيق بين الدين والعقل ، ونقض بدع اونوميوس وابوليناريوس وآريوس والمنجمين ، وصنف جملة كتب باليونانية وصل اليها بالسريانية منها كتاب نقض اونوميوس ثلاثة عشر باباً وتفسير نشيد الانشاد ست عشرة مقالة ، والصلاة الربية خمس مقالات والتطويبات الانجيلية ثمانى مقالات ، ومقالتان في الثالث الاقدس ومقالة في حظ الانسان ، ومقالة في اتقان خلقة الانسان واحد وثلاثون فصلاً انجز بها كتاب الأيام الستة لأخيه ، واخرى في الأيام السبعة ، وكتاب في التعليم المسيحي ، ومحاورة مع شقيقته مقرينة في النفس والقيامة ، ورسالة الى ثاوفيلس الاسكندري نقضاً لابوليناريوس ، وكتاب في البتولية ، وبعض خطب في تفسير الليتورجية

(١) اللؤلؤ المنشور ص ١٧٢ - ١٧٣

(٢) راجع سير الشهداء والقديسين طبعة بيجان مج ٦

وميلاد ربنا بالجسد واسطيفانس وآلام المسيح وعيد القيامة ١ ، وتابين ملاطيوس الانطاكي ٢ ، وله مديح لمار افرام السرياني وصلت نسخته الينا بالعربية وهو ثلاث وثلاثون صفحة ٣ .

٦ - امفيلوخس اسقف قونية : هو ابن عم غريغوريوس النزينزي وخال باسيليوس الكبير . ولد في كبادوكية نحو سنة ٣٤٣ وقرأ البيان في انطاكية على لبانيوس الشهير وصار محامياً في القسطنطينية ثم تنسك . سنة ٣٧٣ سقّفه مار باسيليوس على قونية ، فأبدى غيرة على الايمان . واخذ عن راسمه العلم اللاهوتي والفقه البيعي . وفي سنة ٣٨١ حضر الجمع القسطنطيني المسكوني الثاني . واقنع القيصر ثاودوسيوس فمنع مجتمعات الهرطقة ٤ وتوفي قبيل سنة ٤٠٣ . وله رسالة جمعية في لاهوت الروح القدس وخطب . وقد وصل الينا بالسريانية من مؤلفاته سيرة مار اثناسيوس الاسكندري وخطاب في الهرطقة وتفسير الانجيل ٥ .

٧ - ابيفانيوس اسقف قبرس : ولد يهودياً ٦ في قرية بزندوق بجوار بيت جبرين بفلسطين سنة ٣١٥ وتنصر ودرس السريانية والعبرانية واليونانية والقبطية واللاتينية ، وزار نساك مصر ، ثم أنشأ ديراً بجوار قريته وهو في العشرين من عمره . وبعد ان تروّض في العبادة والدرس ثلاثين سنة سقّف على سلمينة في جزيرة قبرس عام ٣٦٦ . وبالرغم من طهارة سيرته واطاً ثاوفيلس الاسكندري في تصرفه المشين ضد الذهبي القم . وفي سنة ٤٠٣ توفي في قبرس وقد نُقل الى اللغة السريانية كتيّبه في المقاييس

(١) اللؤلؤ المنشور ص ١٧٣ - ١٧٤ وكتاب التراجم السنوية السرياني .

(٢) راجع كتاب التراجم السنوية الآنف الذكر .

(٣) المجلة البطريركية السريانية في القدس السنة السابعة الاعداد ١، ٢، ٣ .

(٤) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٦٣ .

(٥) اللؤلؤ المنشور ص ١٤٥ و ١٧٤ .

(٦) التاريخ الكنسي لابن العبري مج ١ في ترجمة فلابيانس الاول .

والكيول التي ذكرت في التوراة ، وكتابه علبة الأدوية في الهرطقات ١ ،
وخطبة في دخول الرب الى الهيكل ٢ .

الفصل الخامس عشر

القديس يوحنا الذهبي الفم نابعة انطاكية الفد



ولد سنة ٣٤٤ في مدينة انطاكية في بيت موسر . كان ابوه سقونديس
قائداً في الجيش الروماني في سوريا ، وكانت امه اثنوسة من ربات الفضيلة ،
ترملت في العشرين من عمرها فتولت تربيته غارسة في نفسه اصول الفضائل
بارشادتها المنبعثة من قلبها العامر بالفضيلة حتى شب وترعرع على مبادئ
التقوى . درس علمي المنطق والبلاغة على ليبيانوس ، والفلسفة على
اندروغوتيس ٣ . وفي سنة ٣٦٩ اقامه البطريرك ملاطيوس قارئاً في بيعة
انطاكية ، ثم تنسك في دير مجاور وقرأ علم الكتاب المقدس على
ديودورس الشهير استاذ المدرسة الانطاكية اللاهوتية . عقد مودة مع
باسيليوس الكبير في حديثه وصنف كتاباً في الكهنوت . وبعد اربع
سنوات عاد الى انطاكية لمرض اعياء بممارسته اعمال النسك الحثيثة . وفي
سنة ٣٨١ رسمه البطريرك ملاطيوس شماساً . وفي عام ٣٨٦ رسمه
البطريرك فلابيانوس الاول قسيساً ووكل اليه خدمة الوعظ في الكنيسة

(١) اللؤلؤ المنشور ص ١٧٤

(٢) راجع كتاب التراجم السنوية الآف الذكر .

(٣) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٦٤

الكبرى . ولما رنّ صيته في الاقطار انتخبه القيصر ارقاديوس والاكليروس القسطنطيني بطريركاً للكرسي القسطنطينية . فرسم في ٣٦ شباط عام ٣٩٨ . فأخذ من ثم يرشد وبوبّخ معتمداً على سيرته الفاضلة حتى نغم عليه بعض الاكليروس الحامل والقيصرة اودكسية التي كانت تبغي الخلاص منه لتوبيخه اياها علانية على فسادها النسائي .

كان ثاوفيلس الاسكندري يحسد مناقب الذهبي الفم بل لم يكن مرتاحاً الى رسامته وقد اصرّ قبل ذلك على رسامة قسيسه وصاحبه ايسيدورس للكرسي القسطنطيني ولم يفلح ^١ . وبما زاد في الطين بلة ان الذهبي الفم استمع الى شكوى الرهبان الاربعة الملقبين بالاخوة الطوال الذين كان قد عزلهم ثاوفيلس . فقصده ثاوفيلس الانتقام منه . فاتفق مع القيصرة وابيفانيوس اسقف قبرس وسوريانس اسقف جبلة وانطيوخس اسقف عكا وفاق اسقف بيرية على عقد مجمع لعزل الذهبي الفم . وفي سنة ٤٠٣ عقد ثاوفيلس مجمعاً مزوراً في البلوطة واتهم الذهبي الفم بست وثلاثين تهمة لققها فمكره الساقط ^٢ ، فدعي الذهبي الفم اربع مرات للحضور فرفض محتجاً بان للمجمع المسكوني وحده الاختصاص بمحاكمته ^٣ . فحكموا عليه بالعزل غياباً . واصدر ارقاديوس امراً بنفيه تنفيذاً لحكم المجمع . واعتلى سوريانس منبر الكنيسة واعلن هذا القرار للشعب الذي ثار ثأره وتجمهر في دار البطريركية محتجاً على ذلك . أما الذهبي الفم فارلقى المنبر مدة ثلاثة ايام يحضهم على الصبر والخضوع لمشية الله .

ولما ركب السفينة ليمضي الى منفاه حدثت زلزلة هائلة كادت تدمر المدينة واهتز لها على الاخص القصر الامبراطوري . فانزعجت اودكسية وبكيتها ضميرها وطلبت الى ارقاديوس ليعيده ففعل . ففرّ ثاوفيلس الى

(١) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٦٤

(٢) كتاب خطيب المدينتين ص ١٠٢ - ١٠٣

(٣) الحريدة النفيسة ج ١ ص ٤٥٠ نقلاً عن البطريرك كيرلس مقار

الاسكندرية خوفاً من نقمة الشعب .

ثم عادت القيصرية إلى كرهه بعد شهرين فكشفت ثاوفيلس الذي اسرع إلى اعلان خلعه . وفي ١٥ حزيران سنة ٤٠٤ ؛ نفى ثانية بأمر القيصر إلى مدينة نيقية . فكتب من منفاه إلى فلابيانس الاول الانطاكي واينو كنت الاول الروماني وفنيوريوس أسقف ميلان وجمعه وخروماس أسقف اكيولا وجمعه وإلى مشاهير الاساقفة الآخرين كما أثبت بلاديوس شاهد العيان ، راجياً جميعهم ان يهتموا بأمره ويعيدوا الحق إلى نصابه بعقد مجمع مسكوني يحاكم أمامه . فاستهجن فلابيانس واينو كنت عمل محدثي هذه الفتنة برسائلهما إلى الاكليروس^١ ، وأرسل اينو كنت إلى ارقاديوس وفداً مؤلفاً من خمسة اساقفة وقسيسين ليقنعوه بوجوب عقد مجمع مسكوني . فطردوا كأناس تداخلوا في ما لا يعنهم^٢ . ولم يكن عقده ممكناً بدون أمر القيصر . فكتب من ثم إلى الذهبي الفم بأن ذلك أمر صعب المنال^٣ . ثم أبعده الذهبي الفم إلى كوكوزة في جبال طوروس على حدود أرمينية وسيريا . وفي ٤ ايلول سنة ٤٠٧ توفي في مدينة كوماننا^٤ . وفي سنة ٤٣٧ نقل القديس فروقلس القسطنطيني رفاته الطاهر إلى القسطنطينية ووحّد الشعب المنتقم بسبب ظلامه القديس ، ودوّن اسمه في سجل الآباء القديسين ولقب بعد زمن بالذهبي الفم .

كان الذهبي الفم آية من آيات الزمان ، خطيباً مفوّهاً بل امير المنابر

(١) تاريخ مار ميخائيل الكبير ص ١٦٨ .

(٢) تاريخ الكنيسة تأليف سوزمين ٢٦٠٥ ورسالة ١٢٣ للذهبي الفم .

(٣) سوزمين ٢٦٠٨ .

(٤) لقد أخطأ حضرة الدكتور يوسف مزهر صاحب كتاب «تاريخ لبنان العام» بقوله : « ان الذهبي الفم كتب رسالة في منفاه سنة ١٤٤ إلى مارون الكاهن الراهب ، وان كايها كانا يخضعان لأوامر المجمع الرابع المدعو بالجمع الخلقيدوني فدافعا عنها وحاربا البدع... الخ » هـج ١ ص ١٥٨ . ذلك ان الذهبي الفم توفي سنة ٤٠٧ كما اثبتنا اعلاه أي قبل تاريخ الرسالة المزعومة بسبع سنوات ، وقبل انعقاد المجمع الخلقيدوني الملتئم سنة ٤٥١ بأربع واربعين سنة !

الذي لا يجارى ومفسراً لآيات الله ولاهوتياً قديراً . اعتنى بنشر أنوار الانجيل في لبنان وغيره من بلاد فينيقية بإفاده اليها رهباناً يدعون إلى النصرانية . وقد نُقل إلى اللغة السريانية معظم مؤلفاته وتفسيره وخطبه ورسائله ومقالاته منها ليتورجيته وكتاب الكهنوت ونحو خمس وستين خطبة في التجسد الإلهي واسرار الفداء وغير ذلك ، لم تزل نسخها محفوظة عندنا . أما ليتورجيته التي يستعملها اليونان فلا تصح نسبتها إليه إلا في الجوهريات . وتستعمل الكنيسة السريانية أناشيده التي تسمى « الاستيخارات » .

الفصل السادس عشر

مدرسة الرها السريانية ، بعض أساتذتها وتلامذتها

كانت الرها السريانية عاصمة الأباجرة السريان : ام كنائس ما بين النهرين وثلاثة المتروبوليتيات الاثنتي عشرة اللائذة بالكروسي البطرسي الانطاكي كما اسلفنا ١ . وكان مطرانها يرأس اثني عشر كرسيّاً اسقفياً ، منها البيرة وحرّان وتل موزل وسروج والركة وتلمحرين . انشئت فيها منذ اعتناقها النصرانية مدرسة تصدر فيها للتعليم اساتذة كبار ، فكانت بحجة طلاب اللغة السريانية الفصحى . وفي حدود سنة ١٧٢ القى ططيانس الفيلسوف السرياني عصا الترحال في الرها حيث وضع كتابه الشهير « دباطسرون » الذي احتل مكانة مرموقة في كنائس الرها واقليم الفرات خاصة كما مرّ بك ٢ . وفي الرها ولد برديسان الفيلسوف السرياني سنة

(١) ص ٨٤ - ٨٧

(٢) ص ١٠٩ و ١١٨

١٥٤ وتوكل سلّم العلوم باللغتين السريانية واليونانية ، وتعمق في العلوم الفلسفية ، وترأس مدرستها الزاهرة . وفي تلك الأثناء زار هذه المدرسة بعض اليونانيين فأعجبوا به وكتبوا عنه انه كان يمثل الثقافة المسيحية خير تمثيل ^١ . وفي اواسط القرن الرابع عُرف فيها الاستاذ موسى .

خطت المدرسة الرهاوية خطوات واسعة في العلوم الدينية والسريانية ، حتى إذا جاءت سنة ٣٦٣ اضطر مار افرام السرياني الى مغادرة نصيبين وطنه الاول واتخذ الرها وطناً ثانياً ^٢ ، فساعد على اعلاء شأنها بتصدده للتدريس فيها عشر سنوات ، حتى رن صيتها في الأقطار وفاق جميع مدارس ما بين النهرين ، فأما طلاب العلم من بلاد الشرق ومن بلاد فارس خاصة فسميت مدرسة الفرس . وكانت تشغل بالعلوم اللاهوتية والتفسيرية والفلسفية والادبية باللغتين السريانية واليونانية . وعُينت بنقل مصنفات الآباء الذين كتبوا باللغة اليونانية الى اللغة السريانية ، منها تأليف اوسابيوس القيصري (٣٤٠ +) ^٣ . ولا شك ان اقدم المخطوطات السريانية هي رهاوية ، منها مخطوطة في المتحف البريطاني أنجزت سنة ٤١١ م ، تحوي تاريخ شهداء فلسطين وكتاب الظهور الالهى لأوسابيوس القيصري ، وخطب طيطس اسقف بصرى (٣٧٥) ضد اتباع ماني المبتدع ، واخرى في خزانة بطرسبرج - لينينغراد فُرج من تعليقها في نيسان سنة ٤٦٢ ، تحوي التاريخ الكنسي لأوسابيوس القيصري .
واتصل مار افرام ببعض نساك الرها منهم مار يوليان الشيخ الذي

(١) هنا ص ١٢٨ - ١٢٩

(٢) ذكرت بعض المصادر ان مار افرام ولد في نصيبين سنة ٢٨٥ وكان ابوه رهاوياً وامه آمدية ، فتتلمذ أولاً لأسقف باعرباي . وسنة ٣٠٣ هرب من جراء الاضطهاد الى آمد فالرها حيث درس بعض العلوم الدينية بالمريانية . ولما هدأت عاصفة الاضطهاد بتنصر قسطنطين عاد الى نصيبين حيث تتلمذ لأسقفها القديس يعقوب الذي رُسم اول اسقف لها سنة ٣٠٩ . واثبت مار افرام في ميعره الثامن من كتاب « الاعتراف » انه ولد من ابوين مسيحيين .

(٣) تاريخ الرها لدوفال طبعة باريس سنة ١٨٩٠ ص ١٦١

نظم في فضائله وأعماله أربعاً وعشرين قصيدة^١ ، ومار إبراهيم القيدوني^٢ الذي أطرى مناقبه بخمس عشرة قصيدة^٣ . وقاوم كثيرين من أهل البدع في الرها مفنداً آراءهم بقصائده الرائعة ولا سيما بدعة برديسان . وكان هذا أو ابنه هرمونيوس قد استهوى قلوب المؤمنين بأناشيد ضمنها آراءه ، فنظم مار افرام أناشيد عذبة ضمنها المعتقد القويم ولقننها الفتيات الرهاويات اللواتي كنّ يرتلنها في الكنائس . فاستطاع بذلك ان يجتذب الكثيرين الى حظيرة الكنيسة . هكذا علّم سيرة الكهان بأعماله وميامره وأناشيده الشجيرة التي رتلنها الكنيسة في حياته ، منها نحو خمسمائة مدراس (نشيد) وكثير من مجاميع القالات التي تسمى السهرية ، والغنيانات ، وبعض التخشقات اي الابتهالات والقاسمات اعني المجالس ، وميامر اي قصائد من عيون الشعر السرياني بلغت اثنتي عشرة ألف ، وهي في اسرار ربنا والبتولية^٣ والتوبة والايان والحياة المسيحية والكهنوت والرهبانية وجنازات الاكليروس والمؤمنين فضلاً عن الميامر النصيبينية الشهيرة . وقد فسّر العهدين وديباطسرون ططيانس . فسُمي « الملفان » و « المفسّر » و « كنسرة الروح القدس » و « نبي السريان » و « شمس السريان » . وقد نُقل جانب من ميامره وتفسيره الى اليونانية في حياته او بعدها بمدة قصيرة اطلع عليها مار غريغوريوس النوسي (٣٩٤ +) فوصفها في مديحه النفيس له . وترجم البعض الى الأرمنية فالقبطية فالحبشية فاللاتينية وغيرها . وزار القديس باسيليوس القيصري . وعطف على المنكوبين والمرضى والبائسين يوم عمّت الرها وضواحيها مجاعة فاحشة . ذلك انه طاف دور

(١) نشرها المستشرق توما يوسف لامي سنة ١٨٨٩ .

(٢) نحت سيرته السريانية القديس مار افرام خطأ ، والأظهر ان كاتبها افرام آخر بدليل قوله

فيها « وأبّنه افرام الكبير » .

(٣) نشرها السيد رحمان بطرك السريان المنفصلين سنة ١٩٠٦ وتجنّى عليه باتهامه إياه بما هو براء منه

كزعمه انه قال ببراءة مريم العذراء من الدنس الأصلي وغير ذلك (انظر مقدمته بالعربية) .

الأغنياء واستحثهم لاغاثتهم ، فاختاروه بالاجماع للاعتناء بهم . وكان ذلك في اوائل سنة ٣٧٣ . وفي ٩ حزيران من هذه السنة انتقل الى جوار ربه ، فشيع بمجالي التكريم الى مقبرة الغرباء ظاهر المدينة وفقاً لوصيته . وكان شيخاً جليلاً عفيفاً متواضعاً طويل القامة نحيفاً اللحية ١ . فعمدت له الكنيسة السريانية وبُني على ضريحه دير . وفي القرن التالي أنشئت باسمه كنيسة في قرية باقي في طورعبدن كما بُنيت باسمه اديار وكنائس عديدة عند السريان منها :

دير مار افرام في جينكونم - ملبار في اواسط القرن الماضي وهو كرسي أبرشية الكناغنة . ودير مار افرام في عينورد - طورعبدن في النصف الثاني من القرن الماضي . وكنيسة مار افرام في حلب وكنيسة مار افرام في سنترالفولس في الولايات المتحدة الاميركية والمدرسة الاكليريكية الافرامية في زحلة ثم الموصل . وكنيسة مار افرام في كركوك هذا علاوة على كنائس اخرى في ملبار الهند . وخلف مار افرام في كرسي الرئاسة والتعليم الاستاذ قيورا اربعاً وستين سنة اي حتى سنة ٤٣٧ .

وقد تخرج في المدرسة نخبة صالحة من الادباء والشعراء والعلماء ، أشهرهم بولس بن عرقا الرهاوي مستنبط القلم السرياني المعروف بالاسطرنجيلي نحو سنة ٢٠٠ . وثاوفيلس الرهاوي كاتب أخبار الشهداء كوريا وشمونا والشماس حبيب سنة ٣٠٧ و ٣٠٩ . ولوقيانس الشهيد مؤسس مدرسة انطاكية اللاهوتية (٣١٢ +) . واوسابيوس السرياني الرهاوي اسقف حمص من أمراء البيان (٣٥٩) . وغريغوريوس الناسك السرياني الفارسي الاصل القبرسي المنزل الذي تخرج فيها على عهد الاستاذ موسى الآنف الذكر وانهى علومه في جبل الازل والف بالسريانية كتاباً في السيرة النسكية

(في النصف الثاني من القرن الرابع) ١ .
ومن تلامذة مار افرام : آبا الذي فسر الاناجيل ونظم بعض قصائد
ومواعظ . وزينوب شماس كنيسة الرها الذي عُرف بالجزري وكتب
سيرة استاذة ورد على مرقيون وله رسائل وقد ذكره مار افرام في
وصيته . وشمعون السميساطي الذي كتب ترجمة معلمه ، وبوليان الذي نظم
اناشيد ورد على مرقيون . وآسونا الذي نظم قصائد بليغة بالبحرين الرباعي
والسداسي . والقس عبسميا ابن اخت مار افرام الذي نظم بعض اناشيد
وقصائد في غزو الهونيين لبلاد ما بين النهرين والشام سنة ٣٩٥ او ٤٠٤ .
واسحق الآمدي الذي قرأ على مار افرام مدة يسيرة في آمد وعلى تلميذه
زينوب في الرها كقول البطريك يوحنا ابن شوشان . وتوفي بعد سنة ٤١٠ .
وقورلونا الرهاوي الشاعر الموهوب نحو سنة ٣٩٤ ٢ .

الفصل السابع عشر

مدرسة انطاكية اللاهوتية ، أشهر اساتذتها وتلامذتها

مر بك خبر تأسيس هذه المدرسة والطريقة التي سلكتها في التفسير
الحرفي اللغوي للكتاب العزيز معتمدة على فلسفة اريسطو لمناوءة طريقة
المدرسة الاسكندرية اللاهوتية التي سارت على فلسفة افلاطون في تفسيرها

(١) كتاب العفة ليشوعدناح ١٢

(٢) التاريخ الكنسي لابن العبري مج ١ في ترجمة فلاقيوس وفلايانس والؤلؤ المنشور ص ٢٠٣ -
٢٠٦ ، وتاريخ الرها ٤٠ ، والآداب السريانية لوليم رايت ، وتاريخ الآداب السريانية لبولس
السمعاني ج ٢ ص ٤٥ و ٤٦

الرمزي ، مع العلم ان هدف كليهما كان التوفيق ما بين الدين والعقل ^١ .
واشتهرت خاصة منذ سنة ٣٧٠ حتى سنة ٤٣٠ ، وناfst مدرسة
الاسكندرية محاولة التوصل الى فهم العقيدة بالوسائل العقلية فقط .

واشهر اساتذتهم بعد القديسين الشهيدين لوقيانس ودوروثاوس :
ديودورس اسقف طرسوس . ولد في انطاكية او طرسوس في النصف
الاول من هذا القرن ، وتوقل سلم العلوم في طرسوس واثينا وانطاكية ،
واخذ عن العلامة اوسابيوس السرياني الرهاوي اسقف حمص الذي يعد من
اشهر تلامذة لوقيانس بل احد ائمة هذه المدرسة الثلاثة في حقبة تأسيسها .
ثم تصدر للتعليم . وفي اثناء نفي القديس ملاطيوس الانطاكي اظهر
وفلابيانس غيرة شديدة على المعتقد النيقاوي ، وحما ارثوذكسي انطاكية
من ذئاب الآريوسيين واستقدا مار يوليان الشيخ إلى أنطاكية حيث أخرج
الآريوسيين كما اسلفنا ، فرسمه مار ملاطيوس سنة ٣٧٨ اسقفاً لطررسوس .
وفي سنة ٣٨١ شهد المجمع المسكوني الثاني ، وتوفي بين سنتي ٣٩١ و ٣٩٤ .
وخلف تآليف كثيرة علمية وتفسيرية وعقائدية وجدلية .

ومع ما لهذه المدرسة من فضل عظيم على المسيحية ، فقد سببت نشوء
البدعتين الآريوسية والنسطورية . فأريوس وثانية من انصاره تخرجوا
فيها ^٢ ، وديودورس توسع في التمييز بين الطبيعة البشرية والطبيعة الالهية
في السيد المسيح ، فتلقف تعليمه منه تلميذه ثاودورس اسقف المصيصة ،
فقال بالطبيعتين والاقتنومين في المسيح . فغاص في بحره تلميذه نسطور
بطريك القسطنطينية ، فكانت البدعة النسطورية ^٣ .

ومن اشهر المتخرجين في هذه المدرسة القديسون اوسطاثاوس
(٣٣٧ +) وملاطيوس (٣٨١ +) وفلابيانس الاول (٤٠٤ +)

(١) ص ١٥٨ - ١٥٩

(٢) هنا ص ١٦٠

(٣) تاريخ جيزلر مج ١ ص ٣٩١ .

بطارقة انطاكية ، ومرقلس اسقف انقرة (٣٤٧ +) واوسابيوس
اسقف حمص الآنف الذكر ، وقورلس الاورشليمي (٣٨٦ +)
والذهبي الفم (٤٠٧ +) وثاودورس اسقف المصيصة .

الفصل الثامن عشر

معتقدات الكنيسة في التثليث والتوحيد والتجسد الالهري

في القرون الاربعة الاولى



١ - الله واحد بثلاثة اقانيم ، وللأقانيم الثلاثة جوهر واحد ١ .
وواحد هو خالق جميع الكائنات السماوية والأرضية ، المنظورة وغير
المنظورة ، لا شريك له في ذلك . ولما حاول بعض المبتدعين : التمييز
بين الاله والخالق ، او إشراك الملائكة معه في عمل الخلق ، كما علّم
نيقولاولس وقيرينس وساطرينس وبسيليدس وغيرهم ، او القول بمبدأين
او اكثر : الواحد للخير والآخر للشر كما ارتأى قيودون ومرقيون
وماني ، او بأقنوم واحد في الله كما تشدق نويطس وسبيليوس ، او ان
الابن مخلوق وليس مساوياً للآب في الجوهر كما هذى آريوس واونوميوس ،
او ان الروح القدس اصغر من الابن والابن اصغر من الآب كما علّم
ابوليناريوس : انكرت الكنيسة عليهم تعليمهم وقطعتهم عن شركتها .

٢ - ان الاقنوم الثاني من الثالوث الأقدس اتخذ له ناسوتاً حقيقياً

(١) ان اول من جاهر بان الثالوث الأقدس جوهرأ واحداً هو القديس ثاوفيلس الانطاكي

(٢٠)

(هنا ص ١١٣) .

كاملاً من القديسة مريم لخلاص العالم . ولما انكر مرقيون وغيره حقيقة جسده ، وإمكان اتحاد الله الصالح بالمادة التي هي شر كزعمهم ، وارتأى والنطينس وبعض الأبيونيين ان جسده من السماء ، وقال ابوليناريوس ان الناسوت كان خالياً من النفس البشرية العاقلة وان اللاهوت حل محلها في المسيح فامتزج بالناسوت واحتمل معه آلام الصلب والموت : نبذتهم الكنيسة عن شركتها نبذ النواة .

٣ - إن ابن الله ولد بالجسد من مريم العذراء بواسطة الروح القدس . ولما جدّف قيريننس وبعض الأبيونيين قائلين ان ذلك جرى بواسطة الاشتراك الزوجي : حرمتهم الكنيسة . وكذلك علّمت البيعة ان والدته مريم كانت بتولاً قبل الولادة وحين الولادة ، وظلت كذلك بعدها ايضاً حتى النهاية ، وان إخوة الرب : يعقوب ويوسي وشمعون الخ المذكورين في الانجيل المقدس هم اولاد يوسف من زوجة سابقة ١ .

٤ - بما ان المولود من مريم هو إله حق ، لذلك سمّت الكنيسة العذراء مريم : والدة الاله ٢ . وقد فعلت ذلك بوحي إلهي فضلاً عن التقليد الرسولي المتواتر ٣ . فليس إذن من الصحة بمكان قول بعضهم ان اللاهوتين الاسكندرانيين هم اول من اطلق على العذراء هذه التسمية في اواخر القرن الثالث ٤ .

٥ - في تجسد ابن الله اتحد اللاهوت والناسوت معاً بدون تبليبل او امتزاج او اختلاط . لذلك علّمت الكنيسة ان لكلمة الله المتجسد طبيعة

(١) هنا ص ٤٣ و ٤٤ .

(٢) خطبة مار غريغوريوس العجائبي في « بشارة والدة الاله » في كتاب التراجم السنوية السرياني للآباء الارثوذكسيين ، ومقالة مار يوليوس الروماني في التجسد الالهي ، ومقالة مار غريغوريوس النوسي ضد ابوليناريوس ، ورسالة مار غريغوريوس النريزي الى قليدونيوس ، وخطبة الذهبي الفم في « القديسة والدة الاله مريم » في كتاب التراجم السنوية الآنف الذكر .

(٣) التاريخ الكنسي لابن العبري مج ١ في ترجمة يوحنا الاول

(٤) دائرة المعارف البريطانية طبعة ٩ مج ١٥ ص ٥٩١ .

واحدة ١ مركبة من طبيعتين ، ومشئة واحدة ٢ .

٦ - ان الاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس حل في احشاء العذراء وولد منها بالجسد . ولما قاوم هذا التعليم الالهى قيرينتس وكربوكراتس وارطيمون وبولس السميساطي وثاودوطس زاعمين ان الذي ولد من مريم كان انسانا محضاً تبرر بعدئذ بأعماله فحل فيه اللاهوت : ابسلتهم الكنيسة عن شركتها .

٧ - لما تجسد ابن الله ، ذاق حقيقة ، الآلام الطبيعية والارادية البريئة ، كالجوع والعطش والتعب والبكاء والنوم والآلام والموت الخ . ولما قال بعض المبتدعين ان ذلك كان خيالاً ، اي انه تظاهر انه احتملها مع انه لم يحتملها حقاً كما علم مرقيون ، او ان آخر يشبهه احتملها كما زعم بسيليديس : قطعهم الكنيسة .

٨ - ان الكلمة الاله صلب حقاً بالجسد وتألم ومات ودفن وقام ، بينما لاهوته لم ينفصل عن النفس او الجسد حين كان معلقاً على الصليب او مدفوناً في القبر . ومع هذا فلم يمسه الالم . ولما زعم قيرينتس ان المسيح لما جاء الى الآلام انفصل لاهوته عن ناسوته : نبذته الكنيسة . وحين اعترض قلاص الفيلسوف الوثني على هذا التعليم الجوهرى قائلاً : « لو كان الهاً كيف رضي ان يسلمه تلميذه ويصلبه اليهود » ؟ « بل لو كان المعلق على الصليب الهاً : كيف جرى من جنبه دم لما طعن بالحربة » ؟ : سفته رأيه العلامة اوريجنس .

(١) ميمر مار غريغوريوس العجائبي في الايمان ، ورسالة اثناسيوس الاسكندري الى القيصر يوبينيانس ، ومقالته في التجسد ، ورسالة يوليوس الروماني الى ديونيسيوس اسقف قبرس ، ومقالته في التجسد الالهى ، وميمر مار اسحق الانطاكي في الايمان ، وتاريخ جيزلر مج ١ ص ٣٩١ ، راجع ايضاً اقوال الآباء في كتاب منارة الاقداس لابن العبري الركن الرابع ، والخريدة النفيسة ج ١ ص ٤٦٢ - ٤٨٢ ، ونهج وسيم المطران جرجس شاهين ص ٢٠ ، وتاريخ الانشقاق لجراسيموس مسرة ج ١ ص ١٩١ و ١٩٢ .

(٢) خطبة الذهبي الفم في قول المسيح « لكن ليس كمشيئت بل كمشيئتك » (مت ٢٦ : ٣٩) .

٩ - الروح القدس هو الاقنوم الثالث من الثالوث الاقدس ، ومنبثق من الآب ١ . ولما جدّف عليه مقدونيوس القسطنطيني قائلاً : انه مخلوق وخادم للابن : حرمه المجمع المسكوني الثاني القسطنطيني سنة ٣٨١ ، مؤيداً معتقد الكنيسة القويم بألوهة الروح القدس وبانبثاقه من الآب ٢ .

الفصل التاسع عشر

بعض تعاليم الكنيسة في القرون الاربعة الاولى

١ - لا خلاص للخارجين عن الكنيسة الواحدة الجامعة الرسولية الارثوذكسية . وكان مار اغناطيوس النوراني اول من استعمل لفظة « الجامعة » ٣ ، ثم جراه فيها العلامة اوريجنس ٤ ومار قبريانس ٥ وغيرهما . والخارجون عن الكنيسة هم غير المؤمنين والمهرطقة والمنشقون والمحرومون ٦ . وقد برهن الآباء على رسولية الكنيسة بثلاثة امور ، اولاً : بالتمسك بالعقائد التي سلمها الرب ورساله . ثانياً : بالمحافظة على

(١) يو ١٥: ٢٦ ، ومقالة اثناسيوس الاسكندري في الثالوث ، وميمر مار افرام السرياني في الثالوث ، ورسالة ايرونيمس الى داماسوس الروماني . ورسالة داماسوس الى باولينس اسقف تسالونيكي ورد باسيليوس على اونوميوس ، ومقالة غريغوريوس النوسي في الاسماء الالهية .

(٢) مختصر المختصر في تواريخ الكنيسة للطران يوسف داود ص ١٣٢ .

(٣) رسالته الى كنيسة ازميز : ٨

(٤) تاريخ جيزل مج ١ ص ٢٥٧

(٥) كتابه في وحدة الكنيسة

(٦) الزهرة القدسية لقداسة البطريرك افرام الاول ص ٣٩

التقاليد الرسولية الشريفة التي سلمها الرسل للكنيسة شفويًا لا كتابة ،
والتي لها المنزلة المعتبرة في ايضاح تعاليم الكتاب المقدس . ثالثاً : بواسطة
الخلافة الرسولية المتسلسلة في الكنيسة بواسطة الاسقفية . لذلك كان الآباء
يستشهدون امام الهراطقة بسلسلة اساقفة الكنائس المؤسسة من الرسل
تأييداً لأرثوذكسيتها . اذ لم يكونوا يعتبرون الاكثريّة برهاناً على
الأرثوذكسية . وقد اشتهر بين الآباء المدافعين عن هذا الامر : مار
ايريناوس اسقف ليون (٢٠٢ +) وهيجسبيوس الكاتب (١٨٠ +) .
٢ - ان لشفاعة الشهداء والقديسين الذين هم أحياء عند الرب : قوة
فعالة ١ ، لانهم مشيرو المسيح في اليوم الاخير (١ كو ٦ : ٢ - ٣) ٢ ،
وان لموت الشهيد قوة لنيل غفران الخطية كالعمودية (لو ١٢ : ٥٠) ،
بل وله رتبة المعمودية نفسها (مت ١٠ : ٣٩) ، ويقيم الشهيد حالاً
امام الرب في الفردوس (مت ٥ : ١٠ - ١٢ ورؤ ٦ : ٩) . لذلك
كان امراً معتبراً في عين المؤمنين ان يحفظوا الشركة الدائمة معهم ،
مستشفعين بهم . فكانت الكنائس تحتفل بذكرى شهدائها كل سنة في يوم
استشهادهم . وكان المؤمنون يحتفلون بذكرى الافراد المنتقلين من أسرهم ،
وذلك بالقداس وبالصلوات عند قبورهم وبالولائم ٣ . وكانوا يأتون
بالندور فتكتب اسمائهم في سفر الحياة مع اسماء المنتقلين والاحياء الذين
قدمت الذبيحة الالهية لاجلهم . فاعتقدوا بعملهم هذا ان الراقدين صلوا
لأجل الأحياء والأحياء لأجل الراقدين ٤ .

(١) تاريخ جيزلر مج ١ ص ٢٧٤ - ٢٧٥ وقبريانس في رسائله الى المعترفين ١٥ و ٧٧

ومداريش مار افرام في البتولية ٢٥ : ١

(٢) قبريانس في الساقطين : ٣

(٣) رسالة كنيسة ازميز الى كنائس البنطس في اوسابيوس ٤ : ١٥ ، وتعليم ادى في هدايات

ابن العبري ٦ : ١ ، وتاريخ جيزلر مج ١ ص ١٨١ و ٢٧٣ وشهادة ديونيسيوس الاسكندري في

اوسابيوس ٧ : ١١ و ٤

(٤) قبريانس في رسالته الى ٥٧ الى قرنيانوس الروماني .

- ٣ - اعتقدت الكنيسة منذ صدرها : ان والدة الاله القديسة مريم ، وإن توفيت ودُفنت : فقد نقلها ابنها بجسدها الى الفردوس^١ .
- ٤ - ستكون قيامة عامة في انقضاء العالم . وقد حرمت الكنيسة مرقيون الذي انكرها ، وقيرينتس وبعض الابيونيين ونيبوس لاعتقادهم ان المسيح سيملك بعد القيامة على الارض بالنعيم مع مختاريه الف سنة .
- ٥ - ان النفوس 'تخلق' والأجساد سوية ، ولا تنتقل من جسد الى آخر . ولما اظهر كربوكراتس واوريچانس وغيرهما آراء فاسدة ضد هذا التعليم : أبسلتهم الكنيسة عن شركتها .
- ٦ - الانسان يفعل الخير او الشر بإرادته وحرية المطلقة^٢ ، سوف يُثاب او يُعاقب تبعاً لأعماله . وهذا الثواب او العقاب ابديان . ولما تشدق كربوكراتس وابنه ابيفانس زاعمين بان كل شيء من الله ، وحين زعم مرقيون ان في المادة شراً طبيعياً خلقه الله ، وادعى بسيليديس وكربوكراتس ان لا حساب للانسان مهما عمل ، وصرح اوريچانس بنهاية العذاب وشمول العفو في الآخرة للخطاة حتى الشياطين : حرمتهم بيعة الله .
- ٧ - اعتقدت الكنيسة انها في جهاد متواصل مع العالم والشيطان تحت راية المسيح ، لذلك امرت المؤمنين ان يرسموا علامة الصليب على وجوههم لتكون حرزاً حريزاً لهم بل سلاحاً ماضياً ضد اسلحة الارواح الشريرة^٣ ولكي يكون تذكار موت المسيح على الصليب ابدأ نصب اعينهم .
- ٨ - الاسفار المقدسة التي من كتاب العهد القديم ، والتي يعتبرها بعضهم اليوم « ابوكريفا » كانت معتبرة ومقبولة في الكنيسة ، يستشهد

(١) هنا ص ٤٠

(٢) مداريش مار افرام في البتولية ٣ : ٨ و ١١ : ٢ و ٢٠ : ٥ و ٢٦ : ١٠ و ٣٠ : ٥

و ٣٤ : ١٠ .

(٣) ترتليانس في الشهداء ٣٠

بها الآباء كالأسفار القانونية الاخرى ١ .

الفصل العشرون

الأسرار السبعة في القرون الأربعة الاولى .

١ - العماد : نور ، وميلاد ثانٍ ٢ وحيم الخلاص ، وماء الحياة الأبدية ٣ . يُمنح به غفران الخطايا ، والتبني ٥ . كان الايمان وحده يخلص قبل آلام المسيح وموته وقيامته ، وبعد ذلك حاز قوة ، واصبح العماد أقوى بما كان يمارسه الرسل انفسهم قبل ذلك ، بل صار ختم المسيح وثوب الايمان ٦ . ولم يكن يُمنح إلا مرة واحدة ٧ ، لانه سر موت المسيح ودفنه وقيامته ، حيث ان المسيح لا يُصلب ثانية . غير ان الكنيسة عمّدت المرتدين من الهرطقة لفساد عمادهم ٨ .

(١) رسالة اقليميس الروماني الى كورنثس ٥٥ و ٦٧ ، ورسالة بوليكر بوس الى فيليبي ، وستروماتيس اقليميس الاسكندري ، واوريجناس في كتابه الصلاة وفي رسالته الى يوليوس افريقيانس ، وديونيسيوس الاسكندري رسالة ١٠ وقبريانس رسالة ٤ ، وفي تفسيره الصلاة الربانية .

(٢) احتجاج يوسطينس ١ : ٦١ والمرني لاقليميس الاسكندري ١ : ٦ وثاوفيلس الانطاكي ضد اوطوليكس ٢ : ١٦

(٣) رد يوسطينس على تريفون ١٣ و ١٤

(٤) فيه ٤٤ وكيرلس الاورشليمي عظة ٨

(٥) المرني لاقليميس الاسكندري ١ : ٦

(٦) ترتليانوس في المعمودية فصل ٧

(٧) شهادة ديونيسيوس الاسكندري في اوسابيوس ٧ : ٩

(٨) رسالة قبريانس الى كوينتس ، والقانون التاسع عشر لمجمع نيقية .

٢ - الميرون : سر الكمال والتثبيت ، به ينال المؤمن الروح القدس ،
فيصبح مسيحاً لله ٢ . لذلك دُعي المؤمنون مسيحيين لانهم يمسحون بهذه
المسحة الالهية ٣ .

٣ - ان الحُبز والخمر في القداس يتحولان ويصيرون بنوع لا يُدرك
جسد ودم المسيح حقاً ، بقوة الروح القدس بعد الابتهاال اليه ، فلا
يعتبران من ثم مأكلًا ومشربًا بسيطين ٤ . كما انهما لا يفقدان قط هذه
الصفة سواء كان قبل تناول او بعده ، تناول منهما احد ام لم يتناول .
لذلك كان يُحفظ منهما حاجة المؤمنين ، ويحمل منهما من له سلطة الى
المرضى والمسجونين والمعترفين ٥ . وهذا السر العجيب بقيت النفس ٦
ويقويها ٧ ، ويقدس النفس والجسد ٨ ، بل يجعل المؤمن ان يكون غير
متزعزع وغير مقهور في جهاده التقوي ضد اعداء خلاصه ٩ . كيف لا
وهو ترياق الخلود وعربون الحياة الأبدية بيسوع المسيح ٩ . فتصبح
اجساد المؤمنين بعد تناول هذا السر : نقية حاصلة على رجاء القيامة للحياة
الأبدية ١٠ . وهذا السر هو ذبيحة ، اي انه يُقدم لله ذبيحة حقيقية ١١ .

-
- (١) كتاب الاريباغى ٤ : ١١ و ٢ : ٨ و ترتوليانس في المعمودية ٧ ضد مرقيون ٣ : ٢٢ .
(٢) قبريانس رسالة ٧٠ .
(٣) ثاوفيلس الانطاكي ضد اوطوليكس ١ : ١٢ .
(٤) رسالة اغناطيوس النوراني الى ازميز ٧ واحتجاج يوسطينس ١ : ٦١ والمرى لاقليمس
١ : ٦ و ١١ : ٥ و ترتوليانس ضد مرقيون ٥ : ٨ وقبريانس رسالة ٥٤ و ٦٣ ومداريس مار
افرام في البتولية ٣٥ : ١٢ و ٣٧ : ٢ .
(٥) احتجاج يوسطينس ١ : ٦٧ و ٨٥ وقبريانس رسالة ٥٤ واوسابيوس ٥ : ٢٥ .
(٦) احتجاج يوسطينس ١ : ٦٥ .
(٧) قبريانس رسالة ٥٤ .
(٨) قبريانس رسالة ٦٣ .
(٩) رسالة اغناطيوس النوراني الى اهل ازميز .
(١٠) احتجاج يوسطينس ١ : ٦٦ والمرى لاقليمس ١١ : ٢ .
(١١) رسائل اغناطيوس النوراني الى فيلادلفيا ٤ ومغنيسيا ٨ وافسس ٥ ويوسطينس ضد
تريفون ١٦ وقبريانس رسالة ٤٣ والمرى لاقليمس ٤ : ٢٥ .

كما انه ذبيحة الشكر والتسبيح^١ والغفران ، تقدم عن الأحياء والاموات^٢ .
٤ - الاعتراف : سر ضروري به ينال الخاطئ غفراناً بواسطة الكاهن الشرعي^٣ .

٥ - مسحة المرضى : صرح بضرورتها مار يعقوب في رسالته ، لغفران خطايا المريض وشفائه من مرضه .

٦ - الزواج : يتم بمشيئة الله ، ورضى الاسقف^٤ ، وبركة الكاهن . وقد اعتبرته الكنيسة سراً ، وقاومت ساطرنيوس ومرقيون ومونطانوس المبتدعين الذين سموه نجاسة .

٧ - الكهنوت : يمنحه الله بالصلاة ووضع اليد ، بثلاث رتب مختلفة المواهب وهي الاسقفية والقسوسية والشماسية . وقد اوضح مار اقليميس الروماني^٥ ومار اغناطيوس النوراني^٦ ومار ايريناوس^٧ وغيرهم من الآباء الاقدمين في رسائلهم وتصانيفهم سمو هذه الرتب الثلاث وامتيازها على العلمانيين . فمار اقليميس بيّن الفرق ما بين الاكليروس والعلمانيين ، وبين مواهب الرتب الثلاث المختلفة . ومار اغناطيوس تكلم عن هذه الرتب الثلاث . وايريناوس ميز بين الكهنة الارثوذكسيين والكهنة الهرطقة مبيناً بأن الاولين قبلوا المواهب الحقيقية بحسب مشيئة الآب اما الآخرون فقد اقيموا بمشيئة انفسهم . واعتقدت الكنيسة أن رتبة الكهنوت تفقد بواسطة الحرم^٨ .

(١) احتجاج يوسطينس ١ : ٦٥ ضد تربفون ٤ .

(٢) قبريانس رسالة ٦٦ .

(٣) صرح به سفر الأعمال ، وذكره كتاب « تعليم الرسل » الذي وضع في اوائل القرن الثاني ، وقبريانس في الساقطين ٢٨ و ٢٩ وايريناوس ضد الهرطقة وترتليانس في التوبة .

(٤) رسالة اغناطيوس النوراني الى بوليكر بوس ٦

(٥) رسالته الى بيعة كورنثوس

(٦) رسائله الى كنائس افسس وأزمير ومغنيسيا وترولس

(٧) ضد الهرطقة ٤ : ٦

(٨) القانون الثامن من القوانين الرسولية في هدايات ابن العبري ٣٤ : ٣ ، والرسالة التي

انفذها قبريانس باسم المجمع القرطاجني الى اسطيفانس الروماني

والمحرومون كان يعتبرهم عامة المؤمنين انهم تحت نفوذ الشيطان ، وفقاً لما
قاله الرسول (١ كو ٥ : ٥ و ١ تي ١ : ٢٠) . فكأنوا يصبحون من ثم كغير
المعتدين . وعند عودتهم الى شركة الكنيسة كان عليهم أن يمارسوا قانوناً
صارماً جداً للتوبة ^١ .

الفصل الحادي والعشرون

عبادة الكنيسة في القرون الاربعة الاولى



وضع الرسل القديسون للكنيسة طقوساً ورسوماً مؤسسة على تعليم
المسيح ، مارسوها بانفسهم مع المؤمنين . وقد ورد اول هذه الطقوس
في الاصحاح الخامس من اعمال الرسل . ثم ضمت اليها الكنيسة طقوساً
ورسوماً اخرى وردت في كتاب دسقالية الرسل ^٢ وقوانينهم ومصنفات
الآباء الاقدمين في كيفية اقامة الرعاة ، ونوع العبادة ، وادارة الكنيسة ،
وحفظ الاحد يوم الرب ، وبطلان السبت اليهودي ، وعمار الاطفال ،
وتحديد اوقات الصلاة ، وازمنة الصوم ، وماهية قوانين الزواج ، وشروط
التوبة ، وغير ذلك . وقد اخذت بعض هذه الرسوم مصدرها من العهد

(١) تاريخ جيزلر مج ١ ص ٢٦٣ و ٢٧٨

(٢) وضع في اوائل القرن الثالث اخذاً عن الرسل والمبشرين ، وصار أساساً لتأليف الكتب
الستة الموسومة بالمراسيم الرسولية ، ويشتمل على شتى القوانين لسائر درجات البيعة وما فرض على
المؤمنين من صلاة وصيام وما اليها . منه نسخة سريانية في باريس ترقى الى القرن الثالث نفسه (الاول
المنثور ص ٥١)

القديم فأيدوها الرسل بعد ان هذبوها . ونحبرنا الكتاب الموسوم بـ « تعليم ادى » ان الروح القدس ارشد الرسل في وضع هذه الرسوم ، فلقنوها خلفاءهم وتلامذتهم . واليك بعضها :

١ - فرض الرسل على المؤمنين ان يصلّوا ست مرات في اليوم ، اي في الصباح وفي الساعات الثالثة والسادسة والتاسعة ، وفي المساء وصباح الديك والفجر ١ .

٢ - علموهم ان يتجهوا في الصلاة نحو الشرق ، لاعتقادهم ان المسيح سيظهر من الشرق في مجيئه الثاني ٢ . وقد اخبرنا التقليد الرسولي ان مار بطرس الرسول اول من علّم ذلك في انطاكية ٣ .

٣ - كانت عبادة المؤمنين فردية وجمهورية . فالفردية كان يقوم بها رب البيت مع افراد عائلته او وحده اذا كان عزباً ، ثلاثاً في النهار باحترام جزيل ، مرتلاً المزامير الداودية وبعض الاناشيد الروحية ، مع تلاوة بعض فصول من الاسفار القدسية واخبار الشهداء . اما الجمهورية فكان يقوم بها المؤمنون معاً في الكنيسة بانتظام واحتشام برئاسة الاسقف او القسيس ، وبمساعدة زمرة الشمامسة . وبعد تلاوة الصلاة المفروضة والقراءات الكتابية ، والوعظ ، وكسر الاوخابستيا التي كانت توزع على الجميع بعد تقديسها : كان يودع المؤمنون بالسلام ٤ . ولم يركع المؤمنون في اثناء الصلاة في الاحاد وايام العنصرة تذكاراً لنهوضهم من كبوتهم بقيامة المسيح . غير ان هذا التقليد لم يكن عاماً بل في معظم الكنائس ٥ .

(١) هدايات ابن العبري ٥ : ٥

(٢) تعليم ادى ١

(٣) هنا ص ٥٦

(٤) تاريخ موسيم ١ : ٥

(٥) انظر القانون العشرين للمجمع النيقاوي .

- ٤ - كان المرضى الذين يحضرون الصلاة الجمهورية : يحملون من الكنائس ماءً مباركاً وزيتاً للاستشفاء .
- ٥ - كان البخور يستعمل في اثناء العبادة والقداس الالهى . فكان الكاهن يبخر المذبح ويطوف بالبخور بين المؤمنين .
- ٦ - منعت الكنيسة المؤمنين من حضور الصلاة التي يرئسها قسيس محروم او هرطوقي ولئن اقيمت في البيوت ، كما انها حظرت عليهم زيارة كنائس الهرطقة والمنشقين حتى الكنائس الارثوذكسية التي احتلها اولئك ، ولئن وجد فيها اضرحة للقديسين . فضلاً عن انها حرمت عليهم تناول القربان منهم .
- ٧ - كانت العبادة الجمهورية تُمارس اولاً في بيوت بسيطة دُعيت بعدئذ كنائس . وأول كنيسة من هذا القبيل هي بيت مريم ام مرقس الملقب يوحنا في اورشليم ، حيث كان يجتمع الرسل بعد قيامة الرب للصلاة وكسر الاوخابستيا ١ . اما في انطاكية ففضلاً عن البيعة التي شيدها الرسل بايديهم : فقد جعل مار بطرس الرسول بيت المؤمن قسيان كنيسة ، دُعيت بعدئذ باسم قسيان ٢ .
- ٨ - لم يتمكن المؤمنون ابّان الاضطهادات من ممارسة عبادتهم جهراً بل سرّاً في المغاير والدياميس . ولما اصبخوا في سعة من امرهم انشأوا لهم كنائس فخمة للعبادة الجمهورية واتخذوا لهم مقابر خاصة ، وذلك في النصف الثاني من القرن الثاني واولئل القرن الثالث ٣ .
- ٩ - شيّد المؤمنون كنائسهم باسماء العذراء والدة الاله والرسل والشهداء ٤ ، متجهة نحو الشرق ، وزينوها بالأنوار مثل السماء ، موقدين
- (١) هنا ص ٩٢ - ٩٤ .
 (٢) الدرر النفيسة ص ٤٦ .
 (٣) شهادة ديونيسيوس الاسكندري في اوسابيوس ١١: ٧ و ٤ وتاريخ جيزل مج ١ ص ٢٧٣ .
 (٤) هنا ص ٨٨ و ٩٤ . وقد ورد في قصة الشهيدين مار قرياقس وأمه يوليبي ، المدونة سنة ٣٠٤ بطلب مار ثاودورس اسقف قونية : ذكر كنيسة في طرسوس (قيليقية) باسم مار بطرس ومار بولس .

على مذايحها زيتاً وشموعاً من قرص النحل .

١٠ - انشئت هذه الكنائس غالباً على مثال هيكل سليمان ، مقسّمة الى ثلاثة اقسام : قدس الاقداس ، والهيكل ، والرواق . ففي قدس الاقداس كان يُنصب المذبح ويوضع كرسي الاسقف ، وفيه كان يقف الاسقف كمدير والقسوس كعلمين والارخدياقون عن يمين الاسقف كنائب له والشمامسة وراء القسوس كخدّام^١ . وفي الهيكل كان يُقام منبر لتلاوة الاسفار المقدسة ، وفيه يقف المنتخبون لتلاوتها ولانشاد التراتيل الروحية . وكان مار اغناطيوس النوراني قد رأى الملائكة النورانيين يسبحون الله بين زمرتين فعلمت الكنيسة ذلك اسوة بهم . وفي الهيكل ايضاً كان يجتمع المؤمنون للصلاة باحترام وخشوع على النظام التالي : اولاً الشبان ، ثم آباؤهم ، ثم الاطفال فالعذارى والارامل المتعبدات فالمتزوجات فالشابات^٢ . وقد اخبرنا ترتليانوس ان النساء كنّ يتبرقعن داخل الكنيسة كما كنّ يفعلن ذلك خارجاً ايضاً . اما في الرواق فكان يُنصب جرن لعماد الموعوظين . وكانت المذابح تكرّس بالزيت المقدس^٣ .

١١ - كانت تُرسم على جدران الكنائس صور تمثل حياة السيد المسيح^٣ ، واخرى تشير الى امور وردت في الكتاب المقدس ، ليتسنى للمؤمنين معرفة تلك الامور الكتابية ، إذ كان أكثرهم اميين . ومن جملتها : صورة آدم وحواء يقطفان الثمرة من الشجرة المنهى عنها ، وفلّك نوح ترفّ حوله الحمامة ونوح يمد يده ليدخلها الى الفلّك ، وبيع يوسف عبداً لمصر ، ومقاتلة داود لجليات ، وتكريس سليمان الهيكل ، وميلاد المسيح وعماده وصلبه ، والعشاء السري ، والعذراء تحمل الطفل

(١) دسقالية ١٠ .

(٢) مداريش مار افرام في البتولية ٤ : ١٠ .

(٣) فيه ٢٨ : ٦ .

يسوع ، والراعي الصالح يبحث عن خروفيه الضال ، والراعي ترعى امامه الخراف ويحمل احدها على منكبيه ، وغير ذلك . وقد مرّ بك ان القيصر اسكندر سيروس زين بلاطه بصور كثيرة من هذا القبيل . وشهد ترتليانوس ان الكنيسة كانت تنقش صورة الراعي الصالح والخراف على كأس القديس ١ . اما اقليميس الاسكندري فقال ان المؤمنين كانوا ينقشون على خواتمهم صورتي الحمامة والسمكة ٢ . وكانت لهذه النقوش معانٍ سامية .

١٢ - كان المؤمنون يتلون الكتاب المقدس في الكنائس ولا سيما المزامير (كو ٤ : ١٦) ايام الاحاد كما كان يفعل اليهود في مجامعهم ٣ . وقد شهد بهذا القديس يوسطينس والعلامة ترتليانوس في القرن الثاني . وكانوا يوقدون الشموع في اثناء ذلك . على ان اسفار العهد الجديد كانت تُقرأ في اول الامر في الجهات التي وُجّهت اليها وفي البلدان المجاورة لها فقط ، إذ لم يكن آنئذ في حوزة الكنيسة مجموعة كاملة من هذه الأسفار . حتى إذا ما جاء النصف الأول من القرن الثاني ، واصبحت الكنائس في شركة قريبة من بعضها البعض : سلّمت بعضها بعضاً هذه الأسفار القانونية لاستعمالها ضد الهرطقة ٤ .

(١) في المعمودية ٧ .

(٢) ستروماتيس ٣ .

(٣) تعليم ادى ٢ .

(٤) تاريخ جيزلر مج ١ ص ١٦١ .

الفصل الثاني والعشرون

تتممة عبادة الكنيسة

١٣ - كانت الكنيسة تمارس الصيام منذ صدرها . غير انه لم يكن واحداً في جميع الكنائس . فقد صام المؤمنون اولاً يوم آلام المسيح فقط ، إلا انهم اختلفوا في نوع ذلك . فكنائس آسيا الصغرى كانت تحتفل بذكرى آلام المسيح في الرابع عشر من شهر نيسان القمري في ايّ يوم اتفق ، فتارس معه هذا الصيام ايضاً ، وبعد انتهاء من مراسيم الآلام : كانت تحل الصيام ايضاً . واما الكنائس الأخرى فكانت تقرر يوم الجمعة لذكرى آلام المسيح ، وتمتنع في هذا اليوم عن الطعام والشراب حتى الساعة التاسعة ، ولم تكن تحل الصيام حتى نصف ليلة الأحد الذي افرزته لذكرى قيامة المسيح . وفي سنة ٣٢٥ استأصل المجمع النيقاوي شأفة هذا الخلف . ثم اخذ المؤمنون يصومون يومي الأربعاء والجمعة للتوبة ، ذلك لان اليهود تشاوروا على صلب المسيح في يوم الاربعاء وصلبوه في يوم الجمعة ١ . وكانوا يصومون هذين اليومين انقطاعاً عن الطعام والشراب حتى الساعة التاسعة ٢ . مع ان ترتليانوس وغيره احتجوا على وجوب صوم النهار كله . ثم شرعوا يصومون اسبوع الآلام كله لذكرى آلام المسيح ٣ . وفي هذا الاسبوع كانوا يصومون انقطاعاً عن الطعام

(١) ذكر هذا الصيام كتاب « تعليم الرسل » قائلاً « لا يكن صومكم كالمرائين الذين يصومون

الاثنين والخميس ، بل صوموا الأربعاء والجمعة » ص ٨ .

(٢) ابيفانيوس في هرطقة ٧٥ .

(٣) دسقالية الرسل ٢١ .

والشراب حتى الساعة التاسعة ، ثم يتناولون خبزاً مع ماء مملح . وقد وضعت هذه الأصوام في اواخر القرن الاول وأوائل الثاني . وفي القرن الثالث اخذ المؤمنون يصومون الصوم الاربعيني ايضاً ^١ ، إلا أنهم اختلفوا في زمنه . فالبعض كانوا يبدأون به عقيب الدنح حالاً ^٢ . ولم يكونوا يصومون يومي السبت والاحد ^٣ . اما الايام الاخرى فكانوا يصومونها انقطاعاً عن الطعام والشراب حتى الساعة التاسعة . وقد منعت الكنيسة تقديم الذبيحة الالهية في هذه الأيام ما عدا السبت والاحد . ذلك لأن الذبيحة الالهية فرح وسرور ، امام الصوم فهو توبة وحزن . وكان للمؤمنين فضلاً عن هذه الاصوام ، ايام اخرى يصومون فيها اختيارياً ، واخرى تفرضها الكنيسة عقاباً على التائبين او ترويضاً .

١٤ - كان المؤمنون يرسمون علامة الصليب على وجوههم باسم الثالوث الأقدس ، قبل كل عمل ، للدلالة على ان كل ما يفعلونه هو لوجه الله ومجده . وذلك عند خروجهم من البيت ودخولهم فيه ثانية ، عند نومهم واستيقاظهم ، عند لبس ثيابهم وحين تناولهم الطعام ، وعند جلوسهم واستحمامهم ، وبالتالي في جميع اعمالهم كقول العلامة ترتليانوس ^٤ . وقد اخبرنا اوريجانوس بان قلصص الفيلسوف الوثني كان يعير المؤمنين لعبادتهم الصليبان قائلاً « أنهم يعبدون إنساناً عوقب بعذاب أليم لآثمه ، ويعبدون ما يستحقون أي الصليبان » . وقال ايضاً « هوذا قد اعدت لكم العقوبات والعذابات والصليبان لا لتعبدوها بل لتتحملوا ألمها » . فضلاً عن هذا فقد كان المؤمنون يعلقون صليباناً على صدورهم ، وينقشونها على أيديهم ، ويرسمونها على اثاث بيوتهم ، وفي الكنائس وعلى آنيتها ، كما كانوا يحفرونها على قبور موتاهم .

(١) القوانين الرسولية في هدايات ابن العبري ٥ : ١ والدرر النفيسة ص ٤٠٤ - ٤٠٥

(٢) التاريخ الكنسي لابن العبري مج ١ في ترجمة اوسطاثاوس

(٣) القوانين الرسولية ٦٠ (٤) في الشهداء ٣

١٥ - كان المؤمنون يعتبرون الاحد عيداً عظيماً^١ كالسبت في العهد القديم لليهود . غير انهم في بعض البلاد حيث كان اليهود يعتقدون المسيحية بكثرة : احتراموا السبت ايضاً مع الاحد ولكن ليس كعادة اليهود^٢ .

١٦ - في اوائل القرن الثالث لم يكن للكنيسة اعياد تحتفل بها كالاحد سوى اعياد الميلاد والدنح والفصح أو القيامة والعنصرة^٣ . وبعد زمن يسير أضيف اليها عيد الصعود ايضاً^٤ . وكانت الكنيسة تحتفل بعيد الميلاد والدنح معاً في ٦ كانون الثاني ، ثم فصلت الميلاد عن الدنح واحتفلت به في ٢٥ كانون الاول^٥ . وعم ذلك في القرن الرابع . وفيه حدد المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥ ان يعيد عيد الفصح في الاحد الذي يلي بدر نيسان ، وان يعلنه اسقف الاسكندرية لعامة المسيحيين كل سنة . اما ذكرى القيامة الخلاصية فقد احتفلت بها الكنيسة في كل يوم احد ، الذي اعتبره جميع المؤمنين يوم فرح وسرور . وكان ليوم الجمعة العظيمة منزلة رفيعة في الكنيسة منذ عهد الرسل كما مرّ بك . ذكر اوريجانس ان هذا اليوم يحتفل به باكرام جليل مثل عيدي القيامة والعنصرة . وكذلك نظام تغسيل ارجل التلاميذ تسامته الكنيسة من المسيح ورسله كرمز للمحبة والتواضع . وفي القرن الرابع عيّدت الكنيسة عيد دخول الرب الى الهيكل^٦ .

(١) رسالة مار اغناطيوس النوراني الى كنيسة مغنيسيا ٩ واحتجاج يوسطينس الشهيد ، وكتاب

شرائع البلدان لبرديسان ص ٢٩

(٢) تاريخ جيزلر مج ١ ص ١٧٧

(٣) رد اوريجانس على قلصص ٨

(٤) تعليم ادى ٩ والقوانين الرسولية ٥ : ١٩

(٥) هنا ص ٣٤ و ٣٥

(٦) خطبة مار ايفانيوس اسقف قبرس « في دخول الرب الى الهيكل » في كتاب التراجم

١٧ - كان امراً معتبراً جداً في اعين المؤمنين ان يحفظوا الشركة الروحية الدائمة مع الذين ينتقلون من بينهم ، خاصة مع الشهداء القديسين . ولأجل هذه الغاية الشريفة كانت العيال تحتفل بذكرى افرادها المنتقلين . وفي النصف الاول من القرن الثاني طفت كل كنيسة تحتفل بذكرى شهدائها كل سنة في يوم استشهادهم ، وذلك بالصلوات عند قبورهم وبالولائم . وبعدئذ شمل هذا النظام جميع الكنائس . فكانت الكنيسة تعتني كثيراً بجمع اخبار الشهداء ، فعينت كتاباً خصوصيين ليتعقبوا جهاداتهم . وقد ذكر التاريخ اسماء ثلاثة شمامسة في آسيا هم : مرقس وفيلكس وهاروس من جملة الكتاب الكثيرين في الشرق . وكان بعض المؤمنين يبتاعون من وثائق الحكومة مثل هذه الاخبار ، منهم مؤمنو قيليقية الذين ابتاعوا من المحكمة سير الشهداء تراكيوس وبروبوس واندرونيقوس بمئتي دينار . وفي القرن الرابع اخذت الكنيسة تزين الهياكل بصور الشهداء .

١٨ - عند انتقال المؤمن من هذه الحياة : كان يُغسل جسمه ويُدهن بأطياب بحسب عادة اليهود ، ثم تقوم الكنيسة بالصلوات لتجنيزه وتمسح وجهه بالزيت ^١ . ثم يمشي المؤمنون امام نعشه بالتراتيل الروحية . فاذا كان المنتقل كاهناً : وُضع امام المذبح حيث تتلى الصلوات ويعطي السلام الأخير ، ويقبله الأسقف ، ثم يقبل يده جميع الحاضرين ، ثم يمسه الأسقف بالزيت ويصلي ، ثم يُدفن . وإذا كان اسقفاً : مشى امام نعشه الحورفسقفوس والارخدياقون وغيرهما كمن امام نعش ابهم . واذا كان المتوفى علمانياً : مشى الأسقف امام نعشه كأب . وفي اليوم الثالث ، والتاسع ، والثلاثين لوفاته ، وعند تمام السنة : كانت الكنيسة تُقيم صلوات

(١) مداريش مار افرام في البتولية ٤ : ١٢ .

خاصة عن روحه ، فيوزع اهله من املاكه على الفقراء ^١ ، ويولون في بيوتهم يدعون اليها القسوس والشمامسة ^٢ .

الفصل الثالث والعشرون

كيفية ممارسة الاسرار السبعة



اعتبرت الكنيسة سبعة اسرار ذات قوة فعالة ^٣ ، هي المعمودية والميرون والقربان والاعتراف ومسحة المرضى والكهنوت والزواج ، مارستها باحترام وانتظام .

١ - المعمودية : ١ - كانت تمنح بالغطس الثلاثي ^٤ . باسم الآب والابن والروح القدس ، مع رسم جبهة المعتمد بعلامة الصليب . اما المرضى والمقعدون الكبار فكانوا يعمدون احياناً بالرش ^٥ . ومع ذلك فقد نشأ خلف بين الآباء من جهة هذا العمد إذا جاز ان يعتبر صحيحاً ام لا ^٦ . ونبتت الكنيسة اونوميوس الذي علّم بوجوب العمد بغطسة واحدة فقط ، وأنكر وجوب العمد باسم الثالوث . وكان يعمد الذكر

(١) هدايات ابن العبري ٦ : ١ .

(٢) فيه ٦ : ٢ .

(٣) تاريخ موسيم ١ : ٤ .

(٤) القوانين الرسولية ٢٥٠ و رئاسة الكهنوت للاريدوباغي ٢ : ٧ ، ومار باسيليوس في الروح القدس لامفيلوخس ١٥ ، وكيرلس الاورشليمي في الاسرار ٢ : ٤ وغريغوريوس النوسي في الموعوطين ٣٥ .

(٥) ترتليانس في التوبة ٦ واوسابيوس ٦ : ٤٣ .

(٦) رسالة قبريانس ٧٦ الى مكنوم .

اولاً ثم الأنثى إن حضرا معاً ، وبعد العهاد حالاً يُناول القربان المقدس كبيراً كان ام صغيراً ١ . ب - كان عماد الأطفال تقليداً رسولياً ٢ ، غير ان المؤمنين في بعض البلاد اجلوا العهاد الى سن الرشد ، وفي غيرها الى سن الثلاثين ٣ . وقد حاولت الكنيسة تعميم هذا التقليد الرسولي ، لذلك ظهرت القوانين الرسولية الآمرة به ٤ ، كما برهن على صحته القديس اريناوس ٥ والعلامة اوريجنس ٦ والمجمع القرطاجني برئاسة القديس قبريانس ٧ . ج - كان يُقام اشبين للطفل المعتمد لينوب عنه بالاعتراف بالايمان القويم ، وجحد الشيطان ٨ . فكان يعتبر له اباً روحياً ، يُعهد اليه امرُ تربيته في الايمان القويم والفضائل المسيحية . وقد شهد القديس الاريبواغي تلميذ بولس الرسول والشهيد سنة ٩٥ : بان الرسل هكذا سلموا الكنيسة . وكان الذكر اشبيناً للذكر والأنثى اشبيناً للأنثى . د - كان العهاد من حق الأسقف والقسيس فقط ٩ ، غير انه كان مأذوناً للشماس ايضاً عند الضرورة القصوى . ه - كان العهاد يمارس في كل الايام ، إلا ان السبت العظيم الذي يسبق عيد القيامة كان مخصصاً لذلك ١٠ . فكان المعتمدون إذ ذاك يرتدون ثياباً بيضاً ، ومنها سُمِّي الاسبوع الذي يلي القيامة « اسبوع البيض » (١٥٥١ سنة) . و - بما ان الداخلين في المسيحية كانوا كباراً وصغاراً ، وقد ظهرت في حقل الكنيسة بدع كثيرة : فلكي

(١) رئاسة الكهنوت للاريبواغي ٢١:٧ والاوامر الرسولية ١٢:٧ وتاريخ جيزلر ١ ص ٢٧٨ .

(٢) جيزلر ١ ص ٢٧٧ .

(٣) التاريخ الكنسي لابن العبري مج ١ في ترجمة اوسطاثوس .

(٤) هدايات ابن العبري ٣ : ٤ .

(٥) ضد الهرطقة ١١ : ٢٢ .

(٦) الكتاب الخامس رسالة ٦ الى رومية ، مقالة ١٤ في تفسير لوقا .

(٧) قبريانس رسالة ٥٩ ورسالة ٦٤ الى فيدوم .

(٨) اعمال المجمع القرطاجني سنة ٢٥٦ .

(٩) الاوامر الرسولية ٣ : ١١ وترتليانس في المعمودية .

(١٠) مداريش مار افرام في البتولية ٧ : ٢ وهدايات ابن العبري ٣ : ٤

يتنقوا من الجيرة العتيقة ، فلا يدخل زؤان الى الكنيسة : حددت لهم الكنيسة زمناً مدته ثلاث سنوات ، يستعدون فيه للعماد . فيلقي على مسامعهم دروساً في التعليم المسيحي معلمون صالحون في ثلاثة صفوف هي صفوف المستمعين والموعوظين^١ والراكعين او المنتهين . وكان هذا التعليم يواصل لعدة سنوات ، غير ان العمد كان يمنح للموعوظين قبل انتهاء السنوات الثلاث ايضاً ، وذلك في حالة خطر الموت^٢ . كما ان اضطرام الموعوظ في الايمان ايضاً كان يقلل هذه المدة^٣ . ز - كان الموعوظون يستعدون للعماد بالصوم والصلاة وبمجد الشيطان والاعتراف بالايمان القويم^٤ .

ح - في العماد كان يوضع صليب من خشب في جرن المعمودية^٥ .

٢ - الميرون : كان يقدسه رئيس الكهنة الاعظم ، ويُمسح به المعتمد حال خروجه من جرن المعمودية بواسطة الاسقف او القسيس^٦ . وعند عمد النساء البالغات كان الاسقف او القسيس يمسح رأس المعتمدة فقط ، ثم تأخذ الشماسات بمسح اعضاء الجسم الباقية^٧ . وبه كانت تكرر المذابح^٨ .

٣ - القربان : ا - كان يحتفل به في الكنيسة ، غالباً في ايام الاحاد^٩ ، وذلك بعد طعام المحبة المدعو باليونانية « اغابيا » . وفي القرن الثاني كانت « اغابيا » تصنع مساء والقربان صباحاً . ولما كثر المؤمنون جعلت « اغابيا » طعاماً للفقراء فقط يشترك بها الاكليروس

(١) ذكروا اولاً في القوانين الرسولية في هدايات ابن العبري ٣ : ٤ .

(٢) تاريخ جيزل ١ ص ٢٧٧ .

(٣) هدايات ابن العبري ٣ : ٤ .

(٤) احتجاج يوستينس ٦١ .

(٥) مداريش مار افرام في البتولية ١٥ : ٦ .

(٦) انظر الاوامر الرسولية ٧ : ٢٢ و ٤٣ و ٤٤ وامبروسيوس في الاسرار ٧

(٧) دسقالية في هدايات ابن العبري ٣ : ٣ و ٧ : ٧

(٨) مداريش مار افرام في البتولية ٤ : ١٠

(٩) قوانين الرسل في هدايات ابن العبري ٥ : ٣

ايضاً ١ . ب - كانت مادتا القربان خبزاً وخمراً . اما الخبز فكان الذي
يخبز في ذلك اليوم ٢ ، ومختمراً ٣ ، غير ان الابيونيين كانوا يقدمون
فطيراً خلافاً للتقليد الرسولي ، فنبذت الكنيسة عاداتهم هذه نبذ النواة ٤ .
واما الخمر فكانت ممزوجة بالماء ٥ . ج - كان المؤمنون يأتون الى الكنيسة
بمادتي القربان . وبعد ان يُختار منها ما يكفي للعشاء السري : وُزع
الباقى على الاكليروس والفقراء ٦ . د - كان الشماسة يكتبون اسماء
الذين يأتون بالتقدمات ، فتُقرأ اسماء الاحياء والاموات في اثناء الصلاة
وقراءة الكتاب . غير ان تقدمات غير المؤمنين والنمامين والسكران والائمة :
كانت ترفض ، وكذلك قل عن تقدمات المطرودين من الكنيسة . هـ -
كان يحتفل بالقداس بطقس خاص (انافورا) . واول طقس من هذا
القبيل هو طقس مار يعقوب اخي الرب . فكان الكهنة يحفظونه عن
ظهر قلوبهم في اول الأمر ، يستلمه الواحد عن الآخر بالتقليد . وفي
بدء القرن الثالث كتب لأول مرة بالسريانية خوفاً من ان يطرأ عليه
تغيير ما ٧ . و - كان للإساقفة والقسوس الحق في ممارسة سر
القربان ٨ ، فكان الاسقف او القسيس (إذا لا يوجد
اسقف) يأخذ الانجيل بعد تلاوته حالاً ويفسر للمؤمنين الفصل الذي تُلي
منه على مسامعهم ، مكلماً إياهم عن واجباتهم . ز - كان للمؤمنين وحدهم

(١) الدرر النفيسة ص ٤٠٢

(٢) تعليم ادى ٢٦ وهدايات ابن العبري ٤ : ١

(٣) ميمر مار افرام في « الحميرة التي اخذتها امرأة » وامبروسوس في الاسرار ٤ : ٤
وكيرلس الاورشليمي في الاسرار ٤ : ١ - ٦

(٤) ابيفانيوس هرطقة ٣٠ : ١٦

(٥) احتجاج يوسطينس ١ : ٦٦ وقبريانس رسالة ٦٣

(٦) احتجاج ترليانس ٣٩ ورسائل قبريانس ٢٨ و ٣٤ وتاريخ جيزلر ١ ص ١٧٢ - ١٧٣

(٧) الدرر النفيسة ص ٤٠٣

(٨) احتجاج يوسطينس ١ : ٦٥

الحق في حضور القربان الالهى والاشتراك به . اما الموعوظون والممسوسون والتائبون فكانوا يُصرفون خارج البيعة بعد سماعهم تلاوة الاسفار القدسية والوعظ والصلاة ، فتوصد الابواب ويُقدم القربان . ح - في بدء القداس كان يصرخ الشماس قائلاً : « لا تحقدوا على بعضكم البعض » ، ثم يُقبّل كل واحد صاحبه الواقف بجانبه ، الرجال للرجال والنساء للنساء . ط - في اثناء القداس كان يمسك الشماسة مراوح بأيديهم ويقفون عن جانبي المذبح شبه أجنحة السرافيم . ي - في نهاية القداس كانت تُكسر الاوخرستيا فيتناول من الشككين أي الجسد والدم : الاكليروس والمؤمنون جميعاً وهم صيام ، على النظام التالي : الاسقف أولاً ثم القسوس فالشماسة فالمؤمنون الذكور فالاناث كباراً وصغاراً ١ ، وهم يرتلون حتى الانتهاء من تناول . ك - كان مأذوناً للشماس أن يعاون القسيس بمناولة المؤمنين لانه يمينه ٢ . فكان الكاهن يقول في اثناء المناولة : « هذا هو جسد المسيح الذي أُعطي لاجل خطايانا » و « هذا هو دم المسيح الذي سُفك لاجلنا » . فيجيبونه « آمين » . ل - وبعد صلاة الشكر يقول الشماس « احنوا رؤوسكم أمام الرب ليبارككم » فيباركهم الاسقف . ومن ثم يقول لهم الشماس « اذهبوا بالسلام » . م - بما أن هذه الذبيحة كانت تعتبر رسماً للاتحاد والمحبة ما بين الاعضاء المؤمنين من جهة ، وما بينهم وبين المسيح من جهة أخرى : فعربوناً لهذا الاتحاد ، كان يُرسل القربان الى المعترفين المسجونين والى الذين لم يتمكنوا من حضور القداس ٣ ، بل كان يأخذه المؤمنون الى بيوتهم ، ويستعملونه في أسفارهم ٤ . ن -

- (١) احتجاج يوستينس ٦١:١ و٦٦ و٨٥ وقبريانس في الساقطين وفي رسالة ٥٣ واوغسطينس في الساقطين ٢٠:١ واينوكت الاول الروماني رسالة ٤٣ وكيرلس الاورشليمي في الاسرار ٣:٤ و ٦ وامبروسوس في الاسرار ٥٨:٨ والذهبي الفم في تفسير متى مقالة ٨٢:٨
- (٢) احتجاج يوستينس ٦٥:١ وقبريانس في الساقطين
- (٣) احتجاج يوستينس ٦٧:١ و٨٥ وشهادة ايريناوس في اوسابيوس ٥:٥ وقبريانس رسالة ٥
- (٤) قبريانس في الساقطين

كان الكاهن يقبل القربان في القداس ١ .

٤ - الاعتراف باخطايا : ١ - سارت الكنيسة على هذا النظام منذ العصر الرسولي كما مرّ بك وكان يُمارس قبل تناول القربان ، على نوعين : إما باعتراف الخاطيء بخطاياه جهراً في الكنيسة أمام الكاهن وبحضور المؤمنين ، أو سراً أمام الكاهن وحده ٢ . وفي القرن الرابع أُبطل الاعتراف الجهرى . ب - وكان على المعترف ان يقوم بثلاثة امور هي : الاعتراف بخطاياه ، وإظهار توبة صادقة ، ووفاء القانون . فيشهد الكاهن عليه من ثم اناساً اتقياء مشهوداً لهم بالصدق والعدل ، ليراقبوا خطواته . وحين يتثبت منهم انه اصلح سيرته : يمنحه الغفران . ج - اما القانون فكان يفرض على المعترف بمثابة علاج للمرضى ، وذلك بالنسبة الى خطيئته ، بل كان يلزمه احياناً حتى الموت ٣ . وفي هذه المدة لم يكن مأذوناً له حضور القربان او تناول منه . بل كان يشترك مع المؤمنين بسماع تلاوة الاسفار المقدسة والوعظ والصلاة ، ثم يُصرف ، فتوصد الابواب ، فيقف في الرواق مع الموعوظين . وفي خطر الموت كان يُناول القربان المقدس كزادة اخيرة ، وإن لم يكن قد انهى زمن توبته . فإن تعافى : عاد الى وفاء ما تبقى عليه من القانون .

٥ - مسحة المرضى : كان يمارس هذا السر كلما اتى المؤمن بمرض ما . فيعترف بخطاياه ، ثم يصلي عليه الكاهن ويمسحه بالزيت ويناوله القربان ايضاً كزادة اخيرة ، وذلك خوفاً من خطر الموت .

٦ - الكهنوت : مرّ بك ان رتب الكهنوت الثلاث ، أي الاسقفية والقسوسية والشماسية : كانت موجودة في الكنيسة منذ العصر الرسولي ،

(١) مداريش مار افرام في البتولية ٢٦ : ٤

(٢) الدرر النفيسة ص ٢٠٤

(٣) القوانين الرسولية ٢ : ١٦ و ٢١ - ٢٦ والقانون الثاني عشر لمجمع نيقية ، والخامس لمجمع انقرة وقوانين القديسين باسيلوس الكبير وغريغوريوس النوسي .

تمارس كل منها خدمة أنيطت بها . وما عداها فقد وُجد في الكنيسة الحوراسقف اي نائب الاسقف في الارياف ، والارخدياقون اي رئيس الشماسة ، والافودياقون دون الشماس ، ودونه القارئ ، والمرتل ، والساهرون ^١ (ephra) الذين يعتنون بترتيب مواقيت الصلاة ، والبواب ، والمحلف عند العماد . والشماسة للمساعدة في تعليم الموعوظات وعمادهن . وانشأ ملافنة البيعة بدءاً من مار افرام السرياني صلوات منظومة موقعة على ألحان خاصة تتلى في العبادة اليومية وخدمة الاسرار . وحصر مجمع اللاذقية (فريجية) سنة ٣٦٤ الترتيل في المرتلين دون الشعب ^٢ .

٧ - الزواج : ١ - كان يمارس في الكنيسة بوضي الاسقف وبركة الكاهن . ب - لقد ابطلت المسيحية التسري ، وأعادت الزواج الى طبعه الاول . فسنت قانوناً يقضي بان تكون للرجل زوجة واحدة في وقت واحد . ج - منعت المؤمنين من مصاهرة المنشقين والهرطقة وغير المؤمنين . ولما تجاوز بعض الغربيين على هذا القانون : التأم مجمع في غرناطة (اسبانيا) سنة ٣٠٠ سنّ قوانين ضد ذلك . د - امرت المؤمنين ان يمتنعوا عن شركة الزواج عند التفرغ للصوم والصلاة وتناول الاسرار الالهية ، كما كان ذلك جارياً في العهد القديم ايضاً .



(١) رسالة ماروثا السرياني اسقف ميفارقين الى اسحق جاثليق سليق بين سنتي ٤٠٨ - ٤١٠

(٢) قانون ١٥

فهرس الكتاب

صفحة

٤

اهداء الكتاب

٦

المقدمة

١١

الكنيسة السريانية بالسريانية

٢٣

بالانكليزية

الباب الاول

من سنة ٤ - ١٠٠ م

٣٣

الكنيسة المسيحية وتاريخ تأسيسها

الفصل الاول

٣٧

نسب السيد المسيح بالجسد

الثاني

٤٠

زناار سيدتنا العذراء

الثالث

٤٣

اخوة السيد المسيح بالجسد

الرابع

٤٥

سياسة المسيح

الخامس

٤٨

عمل الروح القدس في تأسيس الكنيسة

السادس

٥٠

المجامع الرسولية في اورشليم

السابع

٥٢

القديس بطرس الرسول

الثامن

٥٤

اعمال القديس بطرس الرسول

التاسع

٥٨

الرسل : اندراوس ويعقوب ويوحنا

العاشر

٦٣

بقية الرسل

الحادي عشر

٦٩

القديس بولس الرسول

الثاني عشر

٧٣

البشيران مرقس ولوقا

الثالث عشر

٧٥

تأسيس كرسى انطاكية

الرابع عشر

٧٨

حدود الابوشية الانطاكية ، ميزاتها

الخامس عشر

٨١

مبشرو الابوشية الانطاكية الاولون

السادس عشر

٨٣

توما الرسول يرفع علم الصليب فوق البلاد الهندية

السابع عشر

٨٤

ابجر الخامس ملك الرها وادى البشير

الثامن عشر

٨٧	البشير ميليا وكنيسة السيدة في حمص	الفصل التاسع عشر
٨٩	مار يعقوب اخو الرب	» العشريون
٩٢	بيت يوحنا مرقس اول كنيسة مسيحية	» الحادي والعشرون
٩٥	كنيسة اورشليم في اثناء خراب المدينة	» الثاني والعشرون
٩٧	كتب العهد الجديد	» الثالث والعشرون
	نصيب الكنيسة الانطاكية من الاضطهادات	» الرابع والعشرون
٩٩	في القرن الاول	

الباب الثاني

من سنة ١٠٠ - ٢٢٥ م

١٠٢	مار اغناطيوس ثاوفوروس النوراني	الفصل الاول
١٠٥	علماء الكنيسة في فلسطين	» الثاني
١٠٧	الفيلسوف ططيانس السرياني	» الثالث
١١٠	القديس ثاوفيلس الانطاكي	» الرابع
	نصيب الكنيسة الانطاكية من الاضطهادات	» الخامس
١١٤	في القرن الثاني	
١١٧	الكنيسة السريانية وترجمة الكتاب المقدس البسيطة	» السادس
١١٩	قضية عيد الفصح	» السابع
١٢٣	القديس نرقيسوس اسقف اورشليم	» الثامن
١٢٥	القديسان سرافيون واسقليفياديس الانطاكيان	» التاسع
١٢٨	الفيلسوف برديصان السرياني	» العاشر
١٣١	الكتب المنحولة او المزورة	» الحادي عشر

الباب الثالث

من سنة ٢٢٥ - ٣١٢ م

١٣٣	انتشار المسيحية في المشرق	الفصل الاول
١٣٥	اساقفة ابرشيات المشرق	» الثاني
١٣٧	القديس بابولا الانطاكي	» الثالث

١٣٩	فابوس الانطاكي وشقاق كنيسة رومة	الفصل الرابع
١٤٢	المنازعة لأجل معمودية الهرطقة	» الخامس
١٤٤	البطريك بولس الاول السمساطي	» السادس
١٤٧	مدرسة قيصرية فلسطين اللاهوتية واسانذتها	» السابع
١٥١	اسقفية سليق وقطيسيفون (المدائن)	» الثامن
١٥٣	الفيلسوف ماني السرياني	» التاسع
١٥٥	ازدهار المسيحية في لبنان	» العاشر
١٥٨	مدرسة انطاكية اللاهوتية	» الحادي عشر
١٦١	انوار المسيحية في قصور القيصرية الرومان	» الثاني عشر
١٦٥	الكنيسة وزوابع المملكة	» الثالث عشر
١٦٨	اشهر تلامذة مدرسة قيصرية فلسطين	» الرابع عشر
١٧٠	تنصر بلاد الارمن واستعمالها الابجدية السريانية	» الخامس عشر
١٧١	الكنيسة ابان الاضطهاد العاشر	» السادس عشر
١٧٥	اشهر شهداء الكنيسة الانطاكية ابان الاضطهاد العاشر	» السابع عشر

الباب الرابع

من سنة ٣١٢ - ٣٧٩ م

١٨٠	الملكة هيلانة السريانية الرهاوية	الفصل الاول
١٨٢	تنصر قسطنطين ابن الملكة هيلانة	» الثاني
١٨٣	مار فيطاليوس الانطاكي يعقد مجمعا في انقرة سنة ٣١٤	» الثالث
١٨٦	» » » » » قيصرية الجديدة	» الرابع
١٨٧	فيطاليوس وفيلوجونيوس بطريركا انطاكية	» الخامس
	الملكة هيلانة السريانية تستحث ابنها على عقد	» السادس
١٨٨	مجمع مسكوني	
١٩٠	البطريك بولينس الانطاكي	» السابع
١٩١	قسطنطين يعقد مجمع نيقية المسكوني الاول سنة ٣٢٥	» الثامن
١٩٣	اشهر الآباء الذين حضروا مجمع نيقية من ابرشية انطاكية	» التاسع

١٩٧	اعمال مجمع نيقية	الفصل العاشر
١٩٩	قوانين مجمع نيقية	» الحادي عشر
٢٠٢	دستور الايمان النيقاوي	» الثاني عشر
٢٠٥	الملكة هيلانة تكتشف الصليب المقدس	» الثالث عشر
٢٠٧	همة الملكة هيلانة وابنها في تشييد الكنائس	» الرابع عشر
٢٠٨	مطرانبة سليق وقطيسيفون	» الخامس عشر
٢١٠	مجمع انطاكية الخامس سنة ٣٣٠	» السادس عشر
٢١١	استيلاء الآريوسيين على الكرسي الانطاكي	» السابع عشر
٢١٣	القديس اوسطاثاوس الانطاكي	» الثامن عشر
٢١٤	مجمع صور سنة ٣٣٥	» التاسع عشر
٢١٦	تشييد كنيسة القيامة وتكريسها	» العشرون
	مار يعقوب اسقف نصيبين السرياني يقترح	» الحادي والعشرون
٢١٧	صوماً ضد اريوس	
٢١٩	مجمع انطاكية السادس سنة ٣٤١	» الثاني والعشرون
٢٢٣	الاضطهاد الاربعيني في بلاد الآراميين	» الثالث والعشرون
٢٢٥	مار شمعون برصاعي مطران المشرق	» الرابع والعشرون
	القديسان الشهيدان شهدوست وبربعشمين	» الخامس والعشرون
٢٢٧	مطران المشرق	
٢٢٩	ذبول مجمع انطاكية السادس	» السادس والعشرون
٢٣١	الجالية السريانية الرهاوية في الهند	» السابع والعشرون
٢٣٣	افرهاط السرياني الملقب بالملكيم الفارسي	» الثامن والعشرون
٢٣٥	القديس ملاطيوس يتبوأ عرش انطاكية	» التاسع والعشرون
	نفي القديس ملاطيوس ، الأول وشقاق	» الثلاثون
٢٣٦	كنيسة انطاكية	
	عودة القديس ملاطيوس من منفاه ونفيه	» الحادي والثلاثون
٢٣٨	الثاني وعودته	
٢٤٠	مدرسة نصيبين السريانية	» الثاني والثلاثون

٢٤٢	القيصر يوليانس الجاحد يضطهد الكنيسة	الفصل الثالث والثلاثون
٢٤٥	فشل يوليانس الجاحد في استئثافه بناء هيكل اورشليم	» الرابع والثلاثون
٢٤٧	ابرسية انطاكية تجابه اضطهاد واليس الآريوسي	» الخامس والثلاثون
٢٤٩	واليس يضطهد كنيسة الرها السريانية	» السادس والثلاثون

الباب الخامس

من سنة ٣٧٩ - ٤٠٠ م

٢٥٢	الكنيسة ترتع في مروج السلام	الفصل الاول
٢٥٣	اسباب انعقاد المجمع المسكوني الثاني	» الثاني
	القيصر ثاودوسيوس الكبير يعقد المجمع	» الثالث
٢٥٦	المسكوني الثاني في القسطنطينية سنة ٣٨١	» الرابع
٢٥٨	اعمال مجمع القسطنطينية	» الخامس
٢٦١	تأبين غريغوريوس النوسي القديس ملاطيوس الانطاكي	» السادس
٢٧١	بعض شهداء بلاد الآراميين	» السابع
٢٧٤	تومر صا وقيوما مطرانا المشرق	» الثامن
٢٧٥	القديس فلبيانس الاول بطريرك انطاكية	» التاسع
٢٧٧	غيرة مار فلبيانس الرسولية	» العاشر
٢٧٩	الكنيسة في لبنان	» الحادي عشر
٢٨١	الرهبنة في ولاية الكرسي الانطاكي	» الثاني عشر
٢٨٣	اشهر النساء في ولاية الكرسي الانطاكي	» الثالث عشر
٢٨٧	فضل السريان في نصرانية العرب والارمن	» الرابع عشر
٢٩٠	اشهر آباء الشرق في القرن الرابع	» الخامس عشر
٢٩٦	القديس يوحنا الذهبي الفم نابغة انطاكية الفذ	» السادس عشر
٢٩٩	مدرسة الرها السريانية، بعض اساتذتها وتلامذتها	» السابع عشر
٣٠٣	مدرسة انطاكية اللاهوتية، اشهر اساتذتها وتلامذتها	» الثامن عشر
	معتقدات الكنيسة في التثليث والتوحيد	
٣٠٥	والتهجسد الاله في القرون الاربعة الاولى	

٣٠٨	بعض تعاليم الكنيسة في القرون الاربعة الاولى	» التاسع عشر
٣١١	الأسرار السبعة في القرون الاربعة الاولى	» العشرون
٣١٤	عبادة الكنيسة في القرون الاربعة الاولى	» الحادي والعشرون
٣١٩	تممة عبادة الكنيسة	» الثاني والعشرون
٣٢٣	كيفية ممارسة الأسرار السبعة	» الثالث والعشرون

اصلاح الخطأ

صواب	خطأ	سطر	صفحة
دوقما	دوقما	١٦	١٤
East	Easl	٣٠	٢٩
القديسين	لقديسين	٢٤	٤٠
التمس	مس	١٢	٤٠
ص ٨٢١	ص ٤٨٢١	٢٢	٥٧
فسيقا	فسيق	١٤	٦٠
الطالبين	الطالبين	٢١	٦٥
١٨٥٣	١٩٥٣	٢٥	٧٦
of	ol	٢٥	٧٩
النفيسة	النفسية	٢٥	٩٧
ببطير كية	ببطير كة	٢٤	١١٠
اسقف الرها	الاسقف فالوط الرهاوي	٢١	١١٨
وصاحبيه	وصاحباه	٨	١٢٤
المشرق	المشرق	٩	١٣٥
فرغبت	فرغيت	١٨	١٤٤
قد	فد	٢٠	١٥٥
مجدبون	مجدبون	١٦	١٦١
٤٠٤	٤٤٠	٧	١٧١

صواب	خطأ	سطر	صفحة
٣٧٩	٤٠٠	٦	١٨٠
ابعدا	ابعد	٦	١٨٧
اغان	أغاني	٢٣	١٨٩
وصلت	وصل	١٧	١٩٦
فيها	عليها	١٨	١٩٧
المجمع	المجلس	٤	١٩٨
ويشارك بالتوبة ذوي الزيجة	ويشارك ذوي الزيجة	١٨	٢٠١
بعد	بعد	١٩	٢٠١
المجمع	المجمع	١٧	٢٠٤
السرياني	السرياني	١٣	٢٠٧
يحظر	يحذر	١	٢٢٣
واراضي	واراض	٦	٢٣٢
الايمان	بالايمان	١٦	٢٣٧
القسوسية سنة ٣٦٣ فالا سقفية	القسوسية سنة ٣٦٣ فالا سقفية	١٢	٢٣٩
مغدونيا	مقدونيا	٢١	٢٤٠
مغدونيس	مقدونيس	٢١	٢٤٠
اوائل	ايلول	٨	٢٤٩
الى	على	١٦	٢٥٥
المساوي	المساوي	٩	٢٥٦
الى القديس	بالقديس	١	٢٧٨
بالسريانية	بالسريانية	٢٣	٢٨٣
دنحا	رنحا	١٧	٢٨٥
وانتقل	وانتقل	١١	٢٨٦
وفي سنة ٣٦١	وفي ٣٦١	٥	٢٩٣
والمنجمين	والمنجمين	١٥	٢٩٤
انجز	انجز	١٩	٢٩٤

281.5:T92taAiv.1:c.1

توما، (مار سويريوس) يعقوب
تاريخ الكنيسة السريانية الانطاكية
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01001485

American University of Beirut



C17

281.5

T92ta A

General Library

